أجاثا كريستي

١

القاتل الغامض

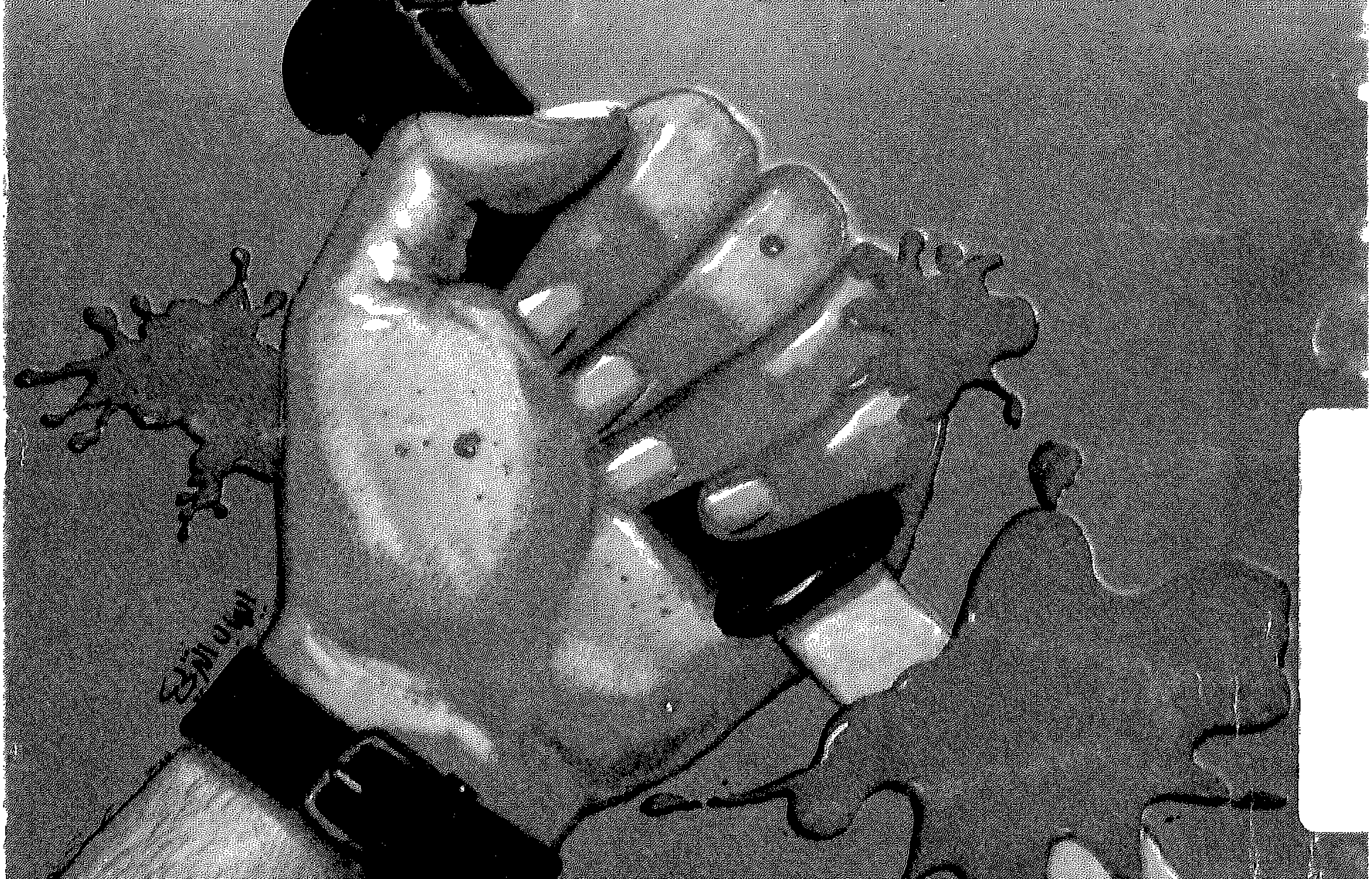

اجاثا كريستى

القاتل الغامض

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف إخوان

اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨

القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٧٤٣٦١١

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمركز العربى للنشر بالاسكندرية
معروف اخوان

* غلاف واشراف فنى :

أيهاب التركى

إخراج فنى :

منى سليم

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

الفصـــل الأول

الخطـــاب

هبطت من الباخرة إلى إنجلترا فى أحد أيام شهر يونية سنة ١٩٣٥ لتمضية بضعة شهور فيها . ولم نكن قد نجونا من الأزمة العالمية كغيرنا . فعهدت بمزرعتنا فى أمريكا الجنوبية إلى زوجتى وقدمت إلى أوروبا لتسوية بعض المسائل الخاصة .

وغنى عن البيان أن أقول أن أول زيارة لى كانت لصديقى الحميم هركيول بوارو ، وكان يقيم فى شقة مفروشة بمسكن حديث مبنى على أحدث طراز . وأردت مداعبته فعتبت عليه إختياره لهذا المسكن بسبب شكله الهندسى فقال :

انني أوافقك يا عزيزى . ولكن لماذا لا يروقك هذا التناسق ؟

أجبته بأننى أراه كثير الزوايا . وتذكرت احدى دعاباته القديمة فسألته إذا كانت الدجاجات فى هذا البيت تبيض بيضا مربعاً فضحك من قلب خلى وقال :

- آه .. أمازلت تتذكر هذه المزحة ؟ ... كلا للأسف فإن العلم لم يتمكن بعد من حمل الدجاج على أن ينتج لنا بيضا بأحجام وألوان مختلفة .

وتأملت صديقى فوجدته يزخر صحة وعافية . لم يظهر عليه الكبر منذ أن تركته تقريباً . وقلت :

- بوارو .. يبدو أنك تتمتع بصحة جيدة . بل أراك تبدو أصغر سنا ، وأستطيع أن أقول أن الشيب لم يدب إلى شعرك بعد .

تألق وجه بوارو بابتسامة وقال : هذا صحيح .

- هل تزعم أن شعرك يزداد سواداً بدلا من أن يشيب ؟

- هو ذلك .

- ولكن هذا غير ممكن علميا .

- بل ممكن

- هذه ظاهرة غريبة على كل حال ، وضد الطبيعة .

- مازلت ساذجا كسابق عهدى لك ياهاستنجز ، ولم تغيرك السنون .. إذا ما أدهشك أمر فإنك تعطيه الحل الذى يرضيك دون أن تحاول معرفة السبب .

ذهلت وحدقت فيه . ومن غير أن ينطق مضى إلى غرفة نومه وعاد بعد لحظة وفى يده قنينة بها سائل ما كدت اراه حتى ضحكت وقلت :

- هل تصبغ شعرك ؟

- هأنت قد فهمت أخيراً .

- هذا هو السبب إذن فى أننى أرى شعرك أشد سوادا عنه قبل رحيلى من انجلترا .

وغيرت مجرى الحديث عندئذ فسألته إذا كان لا يزال يزاول نشاطه وقلت : أعرفك أنك تقاعدت منذ بضعة أعوام .

- آه . هذا صحيح ... لكنى أعنى بزراعة الكرنب ! ... ولكن إذا عرضت علىّ جريمة مثيرة فلن أحفل عندئذ بالكرنب . وأظن أنك ستقارن بينى وبين البريمادونا التى اذا ما بلغت السن التى يجب أن تعتـزل فيها أقامت حفلة الوداع الأخيرة مرات لا تحصى .

ضحكت فى حين عاد هو يقول : هذا هو ما حدث بالنسبة لى ، فقد كنت أقول لنفسـى بعد كل قضية : هذه هى القضية الأخيرة ، ولكن لا تلبث أن تقع جريمة جديدة . وأعترف يا صديقى أنه لا يحق لى أن أشكو فإن خلايا مخى إذا لم تزاول نشاطها لا تلبث أن يعلوها الصدأ .

- آه ... فهمت أنك تلجأ الى العمل لكى تعمل خلايا مخك باعتدال .

- تماما ، وأنا الآن لا أهتم الا بالقضايا المثيرة .

- ولكن هل هناك جرائم مثيرة ؟

- طبعا ، وقد نجوت أخيراً بأعجوبة .

- هل فشلت ؟

أجاب بوارو فى استياء : كلا . ولكن كدت أنا ، هركيول بوارو ، أن أموت .

أطلقت صفيراً خافتا وقلت : لا ريب أن القاتل كان شجاعاً .

بل كان متهورا يا صديقى . ولكن دعنا من هذا الآن . هل تعلم يا هاستنجز أننى أعتبرك تعويذتى .

حقاً ؟ ... وكيف هذا ؟

ولكنه لم يرد على مباشرة وإنما قال :- ما إن علمت بقدومك حتى قلت لنفسى لابد أن شيئاً ما سوف يقع . وأننا سننطلق للصيد معا كما كنا نفعل فى الماضى . ولكننا لن نقنع بجريمة عادية . ولابد لنا من جريمة نادرة ... غريبة ... لا مثيل لها .

يبدو لى يابوارو أنك تطلب صنفا معينا من الطعام من فندق ريتز .

مع فارق بسيط وهو أننا لا نستطيع أن نطلب جريمة معينة .

وتنهد وقال : ومهما يكن فاننى أومن بالحظ ، أو اذا اردت بالقدر . والقدر يضعك أنت يا ها ستنجز . بجوارى لكيلا أقدم على حماقة لا تغتفر .

ماذا تعنى بحماقة لا تغتفر ؟

هو أن لا أرى ما هو ظاهر للعيان .

وأخذت أقلب كلماته على كل وجوهها دون أن أفهم لها معنى وقلت أخيراً : حسنا وهل وقعت على هذه الجريمة العجيبة . النادرة ؟

ليس بعد ... مالم ...

وأمسك ، وقطب حاجبيه . وكنت قد نقلت تحفتين من مكانهما دون أن أدرى . فأعادهما إلى وضعهما الأول وقال فى بطء : حتى الآن لا أستطيع القول .

وكانت لهجته غريبة بحيث رفعت عينى إليه فوجدته لا يزال مقطبا ، وفجأة اجتاز الغرفة وأسرع الى مكتبه بجوار النافذة ثم عاد وفى يده رسالة ناولها لى بعد أن قرأها وهو يقول :

- ما رأيك فى هذه يا صديقى ؟

أخذت الرسالة فى فضول ، وكانت مكتوبة بحروف المطبعة ، على ورق سميك ، وهذا نصها :

مستر هركيول بوارو .

يقال انك ذكى ولا يستعصى عليك شىء مما يستعصى على رجال بوليسنا الإنجليز المساكين ذوى العقول البليدة . سنمتحن الآن ذكاءك أنت ايها الأريب . إن اللغز الذى نقدمه لك قد يثير حيرتك . لا يفوتنك ما سوف يحدث فى الحادى والعشرين من هذا الشهر فى أندوفر على كل حال ...

وتفضل ...

ألقيت نظرة على العنوان ... كان هو الآخر مكتوبا بحروف المطبعة .

قال بوارو : وطابع البريد مختوم بخاتم بريد و .س . مارأيك ؟

هززت كتفى وأعدت الخطاب وأنا أقول : لا شك أنه هذيان مجنون .

- أهذا كل ما تستطيع قوله ؟

- لا يمكن أن يصدر مثل هذا الكلام إلا من مجنون ، فهل تزعم العكس ؟

- أبداً يا صديقى العزيز .

وتظاهر بالجدية وهو ينطق بهذه العبارة بحيث حدقت فيه فى دهشة وقلت : أنك تأخذ الأمر مأخذ الجد يا بوارو .

- يجب أن تأخذ أقوال المجنون مأخذ الجد دائماً يا صديقى لأنه شخص شديد الخطر .

- لم أفكر فى ذلك بالطبع ... أردت أن أقول أن هذا الخطاب دعابة سخيفة .... دعابة رجل أفرط فى الشراب .

- لعلك على حق يا هاستنجز ... لا يجب أن نرى فيه شيئاً آخر .

سألته إذ رأيت استياءه : وهل ترى فيه شيئاً آخر ؟

ولكنه لم ينطق واكتفى بأن هز رأسه فقلت : حسناً .. ما رأيك أنت فيه ؟

- رأيى ؟ .. أننى عرضت الخطاب على جاب ، ولم ير فيه هو الآخر غير دعابة سمجة . إن اسكوتلانديارد تأتيها كل يوم خطابات مماثلة ، وأنا أيضا جاءنى منها نصيبى .

- ولكنك تعلق على هذا الخطاب بالذات أهمية خاصة ؟

أجاب : هناك شيء فيه يقلقنى ياهاستنجز .

قلت وأنا أشعر بالأهتمام رغماً عنى : وما هو ؟

لم يرد وإنما أخذ منى الخطاب وأعاده مكانه بدرج مكتبه فقلت : إذا كنت تأخذ هذا التهديد مأخذ الجد فلماذا لا تتصرف ؟

- آه .. وماذا تريد منى أن أفعل ؟ ... إننى عرضت الخطاب على بوليس المقاطعة ولكنه رفض الإهتمام به ، فليست به أية بصمات ، كما أنه ليس لديه أية معلومات عمن يكون قد أرسله .

- الغريزة وحدها هى التى تثير حذرك اذن ؟

- أرجوك يا هاستنجز ... يمكنك أن تستخدم كلمة أخرى غير كلمة الغريزة ... إن معرفتى وتجاربى تجعلنى استشعر شيئاً مريبا فى هذا الخطاب .

وراح يحرك يديه وهو لا يجد الكلمات المناسبة للتعبير عما يدور فى ذهنه .

- لعلنى أهتم به أكثر من اللازم ، ومهما يكن فلا يسعنا إلا الإنتظار .

- إن يوم ٢١ الجارى هو الجمعة القادم ... فإذا ما وقعت سرقة كبيرة فى انحاء الدولر ...

- لو كان الأمر كذلك لشعرت بارتياح كبير .

- إرتياح ؟

بدا لى أن الكلمة لا تتناسب كثيراً مع الموقف فقلت : إن السرقة تتسبب فى انفعال لا فى ارتياح .

هز بوارو رأسه فى قوة وقال : إنك تخطىء يا صديقى ... أنت لا تفهم ما أعنيه . إن السرقة ستسبب لى ارتياحاً كبيراً لأنها ستزيل عنى الخوف من وقوع شىء أكثر خطراً .

- أى شىء ؟

- جريمة قتل .

٢

هذا الفصل لا ينتمى إلى مذكرات الكابتن هاستنجز

نهض مستر الكسندر بونابرت تاست من مقعده وأخذ يدور بعينيه القصيرتى النظر فى أنحاء غرفة النوم . وكان قد مضى مدة طويلة وهو جالس فى مقعده لا يتحرك بحيث أحس أن جسده قد تيبس ففرد نفسه وتمطى وكان طويل القامة ولكن ظهره المقوس وعينيه القصيرتى النظر أوحت بعكس ذلك

وأخرج من جيب معطفه المعلق لصق الباب علبة من السجائر من النوع العادى الرخيص وأخرى من الثقاب . وبعد أن أشعل سيجارة وتناول دليلاً لمواعيد القطارات وراح يفحص قائمة من الأسماء المكتوبة على الآلة الكاتبة ، وبجرة قلم وضع علامة أمام أحد الأسماء الأولى بهذه القائمة .

وكان ذلك فى اليوم العشرين من شهر يونيه .

٣

أندوفر

أثارتنى هواجس بوارو بخصوص الخطاب المجهول فى ذلك الوقت بالطبع ، ولكننى أعترف أننى لم ألبث أن نسيت أمره ولم أفكر فيه بعد ذلك ، وعندما أقبل اليوم الحادى والعشرون من يونيه أعاده الى ذاكرة المفتش جاب لصديقى البلچيكى .

وجاب هو كبير المفتشين بإدارة اسكوتلانديارد ، وكنا نعرفه منذ وقت طويل ، وقد استقبلنى بحرارة كبيرة قائلاً :

آه أهذا هو الكابتن هاستنجز ؟ إذن فقد عاد من البلاد البدائية المتخلفة . يسرنى أن أراك مع مستر بوارو . أراك فى صحة جيدة وإن كان الصلع قد بدأ يدب فى رأسك . ولكن هذا مصيرنا جميعاً . وأنا نفسى لم أفلت من ذلك .

قطبت جبينى ، فقد كنت أتصور أننى ، بعنايتى بشعرى وتصفيفه وإعادته الى الأمام أستطيع إخفاء الصلع الخفيف الذى يشير إليه جاب .

ولما كنت أعتقد أن الأخير يفتقر إلى الكياسة فإننى لم أعر قوله أية أهمية وأكتفيت بأن قلت له أننى ، أنا وهو ، نتقدم فى السن فقال :

إلا بوارو ... فى الإمكان استخدام رأسه فى الدعاية للإعلان عن أحد مستحضرات نمو الشعر إن شاربه باق كما هو لم يتغير على الرغم من كبر سنه ، وإنما ازداد لونه سوادا كما إزداد شهرة عجيبة إنك تجده فى كل الجرائم المشهورة ... فى جرائم الجو ، وفى جرائم السكك الحديدية ، وفى جرائم المجتمع ... إنك تجده فى كل مكان ... وقد كثر الحديث عنه منذ تقاعده

قال بوارو وهو يبتسم : لقد قلت لهاستنجز منذ أيام أننى أشبه البريمادونا التى تقدم حفلتها الأخيرة مراراً كثيرة .

قال جاب وهو يضحك : سينتهى بك الأمر إلى أن تكتشف قاتلك أنت نفسك .. هذه فكرة رائعة يمكن أن تضمها فى كتاب .

قال بوارو وهو يغمز لى بعينيه : سأترك هذه المهمة لهاستنجز .

هتف جاب : آه ... آه ... هذه نكتة مضحكة .

ولكننى والحق يقال لم أجد ما يستحق الضحك . بل إن النكتة نفسها بدت لى سمجة ، فقد كان بوارو المسكين يتقدم فى السن وكل إشارة إلى نهايته ، سواء كانت قريبة أو بعيدة ، كانت تدل على قلة ذوق ولم تكن لتروق له .

ولا ريب أن جاب رأى فى عينى ما ينم عن امتعاضى لأنه أسرع يقول :

هل علمت بأمر ذلك الخطاب الذى أرسله مجهول لبوارو ؟

قال صديقى : إننى عرضته عليه أنا نفسى .

- هذا صحيـــح ، ولكننى نسيت أمره . ولكن ما هو اليوم المذكور فى ذلك الخطاب ؟

قال جاب : « ٢١ » ، وقد جئت لكى أذكرك به بالذات ... كان أمس هو اليوم الحادى والعشرون ، وقد أتصلت بأندوفر بدافع الفضول ... إن الأمر لا يعدو أن يكون دعابة طبعاً لأنه لم يقع شىء غريب ... أحجار قذفها بعض الصبية وفترينة محطمة

وبعض السكارى وسرقات صغيرة تافهة ... هذا هو بيان ما وقع أمس . أن صديقنا البلجيكى قد جازت عليه الخدعة .

قال بوارو : إننى أشعر بارتياح كبير الآن .

قال جاب : ولكنك أخذت هذا الخطاب مأخذ الجد ، ولم يكن هناك أى داع لذلك ... كل يوم تأتينا عشرات الخطابات من ذلك النوع ... من أناس عاطلين مخبولين لا يجدون ما يشغلون به وقتهم غير كتابة مثل هذه الرسائل السخيفة .. ولا هم لهم إلا اللهو ولا أكثر .

قال بوارو : إننى أخطأت فى الواقع اذ علقت على هذا الخطاب كل هذه الأهمية .

قال جاب : سأنصرف الآن . إننى أحقق في سرقة مجوهرات وقعت فى الشارع المجاور ، ورأيت أن أنتهز الفرصة لكى أطمئنك يا عزيزى بوارو فلم أشأ أن أجعل خلايا مخك تعمل سدى .

وقال بوارو هذا العزيز جاب ... انه لم يتغير .

اننى أراه قد كبر فى السن ، وقد وخط المشيب شعره كله . ثم اننى أراه وقحا وقليل الذوق .

ابتسم بوارو ولم يعلق أما أنا فقد قلت : يؤسفنى أن تنتهى مسألة هذا الخطاب الى لا شىء .

أعترف أن الخدعة جازت علىّ . خيل لى أننى أرى فيه شيئاً مريباً ، فى حين أن الامر لم يكن أكثر من دعابة سمجة .

قلت وأنا أضحك : اذا كان ولابد أن أتعاون معك فلنكن يقظين لكى نهتدى الى الجريمة المثيرة .

هل تذكر تلك الملاحظة التى قلتها فى ذلك اليوم ؟ ... إذا كنت تستطيع أن تطلب جريمة قتل كما تفعل حين تطلب طعام الغذاء فماذا تختار ؟

ورأيت أن أشارك بوارو فى مرحه فأجبت : دعنا نفحص القائمة أولاً . سرقة ؟ أو شيك بدون رصيد ؟ كلا . ليس فى هذا أية اثارة . تلزمنى جريمة قتل جريمة قتل دامية ومعها كل التوابل طبعاً .

- طبعاً ... والمشهيات كذلك ؟

- ومن يكون الضحية ؟ .. رجل أو امرأة ؟ ... رجل ثرى .. مليونير أمريكى أو رئيس وزراء أو صاحب صحيفة كبيرة ... وأين تقع الجريمة ؟ ... لماذا لا تقع فى غرفة المكتبة التى تزخر بالكتب المجلدة الجميلة ... ليس هنالك أفضل من هذا الجو ... أما عن سلاح الجريمة ... فسوف يكون خنجراً ذا قبضة غريبة الشكل .

تنهد بوارو واستطردت أقول : وهناك السم أيضاً ... ولكن السم يستلزم فناً خاصاً ... ثم هناك المسدس الذى ينطلق فى جوف الليل أضف الى كل هذا فتاة أو فتاتين جميلتين .

تمتم صديقى يقول : لهما شعر أحمر !

- ليكن . وتقع الشبهة على أحديهما بدون وجه حق ، ويحدث سوء تفاهم بينها وبين خطيبها . ويجب أن تحوم الشبهة حول امرأة أخرى ... أكبر سناً ، سمراء ، من النوع الفتاك ... وكذلك حول صديق أو غريم للقتيل ... سكرتيره مثلاً ... يكون كبش الفداء ... رجل بشوش ، غريب الأطوار ... وبعض الخدم المطرودين ... ومع كل هؤلاء مفتش بوليس غبى كالمفتش جاب ... وهذا كل شىء .

- هل هذه هى الجريمة المثيرة فى رأيك .

- ألست معى فى ذلك ؟

نظر بوارو إلىّ فى حزن وقال : إنك ذكرت موجزاً لأغلب الروايات البوليسية التى ظهرت حتى اليوم .

قلت : حسناً ... وماذا تطلب أنت ؟

اطبق بوارو عينيه ، وأضطجع فى مقعده إلى الوراء ، وخرج صوته من بين شفتيه كالهدير يقول :

- جريمة بسيطة جداً ... بدون أية تعقيدات ... جريمة من تلك الجرائم التى تقع فى الحياة العامة ... جريمة ذات طابع شخصى ...

- ماذا تعنى ؟

- لنفرض أن هناك أربعة أشخاص حول مائدة يلعبون البريدج وأن شخصاً خامساً يجلس بجوار النار وجد قتيلاً فى نهاية السهرة .. واحد من الأربعة نهض أثناء اللعب وقتله . والثلاثة الآخرون مستغرقون فى اللعب . ويتضح من التحقيق أن كلا من الأربعة غادر مكانه فى وقت من الاوقات .. آه .. هذه جريمة مثيرة ..

- من منهم القاتل ؟

- ولكننى لا أرى فى هذه الجريمة شيئاً مثيراً .

رمانى بوارو بنظرة كلها عتاب وقال : لأنه ليس فيها لا خنجر غريب ، ولا تهديد ، ولا زمردة مسروقة من اله فى معبد ، ولا سم شرقى لا يترك وراءه أثراً ...

إن لك ذوقاً ميلودرامياً يا هاستنجز . لا تكفيك مأساة واحدة فتطلب سلسلة من المآسى .

- إعترف أن جريمة ثانية فى الرواية تثير الاهتمام فى الغالب ، فإن جريمة القتل إذا ارتكبت فى بداية الرواية واستمر التحقيق حتى الفصل قبل الأخير ، فإن القصة تصبح مملة شيئاً ما . صلصل جرس التليفون فى هذه اللحظة فنهض بوارو لكى يرد وقال :

- آلو ... نعم . أنا هركيول بوارو ... من الذى يتكلم ؟

وأصغى دقيقة أو دقيقتين ، ورأيت ملامح وجه تتغير ، واقتصر رده على كلمات وجيزة دون أى رابط بينها ، وأخيراً قال :

- نعم ... نعم طبعاً ، نعم ، نعم ، سوف نذهب ، طبعا ... لعلك على صواب .

نعم . سأتى به معى ... الى الملتقى .

ووضـع السـماعة مكانها ، وعاد اليّ وهـو يقول : كان جـاب هو الذي يتحدث يا هاستنجز .

- حسناً ؟

- عاد الى اسكوتلانديارد ووجد رسالة من أندوفر فى انتظاره .

- أندوفر ؟

قال بوارو فى بطء : قتلت امرأة عجوز تدعى مسز آشير ، صاحبة محل صغير لبيع السجائر .

خفت حدة الاهتمام الذى أثارته كلمة « أندوفر » فى نفسى بشكل ملحوظ ، فقد كنت أنتظر جريمة عجيبة ... تخرج من المألوف ... ولهذا بدا لى أن مقتل امرأة عجوز صاحبة محل صغير جريمة قذرة مبتذلة .

واستطرد بوارو يقول بصوته الخفيض البطىء :- ويعتقد بوليس أندوفر أن فى استطاعته القبض على القاتل .

أحسست بخيبة أمل جديدة . فى حين أردف بوارو : يبدو أن القتيلة لم تكن على وفاق مع زوجها ، وهو عربيد أفسد حياتها وهددها بأن يقتلها أكثر من مرة .

ومع ذلك ، ونظراً الى ما حدث فإن البوليس يريد أن يفحص من جديد الرسالة التى جاءتنى . وقد قلت أننا سنذهب ، أنا وأنت ، فوراً الى أندوفر .

واستعدت شجاعتى ، فعلى الرغم من بساطة هذه الجريمة إلا أنها كانت جريمة على اى حال ، ولم أكن قد وجدت الفرصة منذ وقت طويل للاهتمام بالجرائم أو المجرمين .

ولكننى لم أبد أى اهتمام فى ذلك الوقت بالكلمات التالية لبوارو ، غير أنها لم تلبث أن عادت الى ذاكرتى فيما بعد بكل ما فيها من معنى .

ذلك أنه قال : ليست هذه إلا البداية .

٤

مسز آشير

وفى اندوفـــر اســـــتقبلنا المفتـــش جلين ..وهو شاب أشقر طويل القامة باسم الوجه .

واظن أنه لابد لى أولاً من تقديم موجز بسيط لكى أزيد الأمور توضيحاً . فقد اكتشف الشرطى دوفر الجريمة فى الساعة الواحدة صباحاً من يوم ٢٢ يونيه ... كان يقوم بداوريته ، وأمسك بأكرة الباب ، ورأى أنه مفتوح ، فدخل ، وهو يظن أن المحل خال . وسدد ضوء مصباحه الى المكتب فرأى جثة المرأة العجوز . وعندما أقبل الطبيب الشرعى صرح بأن القتيلة تلقت ضربة قوية على قفاها فى نفس اللحظة التى همت فيها بأن تأخذ علبة سجائر من الرف الكائن خلف المكتب ، كما تدل الشواهد ، وأن الموت يرتد إلى سبع أو تسع ساعات .

وقال المفتش : وقد أفلحنا فى تحديد وقت الوفاة بدقة ، فقد عرفنا أن عميلاً دخل واشترى علبة سجائر فى الخامسة والنصف ، وأن عميلاً آخر دخل فى الساعة السادسة وخمس دقائق ، ولكنه لم يلبث أن أسرع بالخروج - ولم أستجوب حتى الآن أحداً رأى آشير فى هذا المكان ، ولكننا مازلنا فى بداية التحقيق . كان زوجها موجوداً فى الساعة التاسعة فى حانة التيجان الثلاثة ، وكان ثملاً جداً ، وما أن نضع أيدينا عليه حتى نحتفظ به كمتهم .

- أظنه شخصا غير جدير بالإحترام أيها المفتش ؟

- تماماً .

- هل يعيش منفصلاً عن زوجته ؟

- نعم . انهما انفصلا منذ سنوات كثيرة ، وهو ألمانى الجنسية . كان يعمل خادماً ، ولكنه أدمن الشراب ، وأصبح عاجزاً عن مزاولة مهنته . وكانت زوجته تعمل طاهية ، وكانت تعطيه جزءاً من أجرها ، ولكنه داوم الشراب ، وراح يطارد زوجته ويلاحقها حتى محل عملها ، ويتشاجر معها ولهذا التحقت مسز آشير بخدمة مس روز فى الجرانج فى وسط الريف ، على بعد ثلاثة كيلو مترات من أندوفر ، بحيث تعذر على زوجها أن يمضى إليها كثيراً . ، ولما ماتت مسز روز تركت ميراثاً بسيطاً لمسز آشير استغلته هذه الأخيرة فى إدارة محل لبيع السجائر والصحف ، وكانت تكسب منها ما يكاد يسد رمقها . وراح زوجها - يسبها ويهددها ، فكانت تعطيه بعض النقود . بالإضافة إلى الخمسة عشر شلنا التى تمنحه إياها كل أسبوع بصفة مستمرة لكى تتخلص منه .

سأله بوارو : هل لهما أولاد ؟

- كلا . ليس لها غير ابنة أخت تعمل عند آل أوفرتون ... وهى امرأة ذكية جادة .

- تقول أن آشير هذا كان يهدد زوجته باستمرار ؟

- هو ذلك . لقد أحاله الشراب مجنوناً ، وكان يسىء معاملة زوجته ويقسم أنه سيقتلها ذات يوم . إن مسز آشير المسكينة لم تكن سعيدة أبداً .

- كم كانت تبلغ من العمر ؟

- نحو ستين عاماً ... انها امرأة شريفة نشيطة .

سأله بوارو : هل تعتقد أيها المفتش أن اشير هو الذى ارتكب الجريمة ؟

تنحنح المفتش وأجاب دون أن يورط نفسه : من السابق للأوان أن أؤكد ذلك يا مستر بوارو ، ومع ذلك فإننى أتوق إلى سماع أقواله ، والى أن أعرف أين قضى ليلة الأمس . إذا قدم لىُ تفسيراً مرضياً فإن هذا يكون أفضل له .

ولزم الصمت مدة طويلة وسأله بوارو أخيراً : ألم ينقص شىء من المحل ؟

- كلا يبدو أن النقود التى فى الخزينة لم تمس ، ولا تدل الظواهر على أنه وقعت أية سرقة .

- هل تشتبه فى أن المدعو آشير دخل المحل وهو سكران وسب زوجته ثم قتلها بعد ذلك ؟

- هذا هو التفسير الوحيد المعقول . ولكننى أحب أولاً أن القى نظرة على ذلك الخطاب الذى جاءك يا مستر بوارو . ألا يمكن أن يكون آشير هو الذى كتبه ؟

ناول بوارو الخطاب للمفتش فقرأه هذا الاخير وهو عابس الأسارير ثم قال : لم يكتب آشير هذا الخطاب فإنه ما كان يكتب رجال بوليسنا الانجليز « إلا إذا كان قد أبدى ذكاء لا أتوقعه منه » . ثم أنه ليس أكثر من حطام تهتز يده باستمرار بحيث لا يستطيع أن يكتب بهذا الوضوح ... والورق من نوع جيد ... وأغرب ما فى الأمر هو التاريخ المذكور ... « ٢١ » الجارى ... لكن ليس هذا إلا مجرد مصادفة طبعاً .

هذا جائز .

- ولكن هذا النوع من المصادفات لا يروق لى أبداً يا مستر بوارو .

وسكت المفتش وعبست أساريره لحظة ثم قال : أ.ب.ت ... من يكون أ.ب.ت. هذا ؟ ... ربما تستطيع مارى دورير أن توضح لنا ذلك .

ما أغربها قصة ! ... لولا هذا الخطاب لراهنت على أن القاتل هو آشير .

- هل تعرف ماضى مسز آشير .

- انها من مواليد مدينة هامبشاير وعملت خادمة فى لندن فى سن مبكرة ، وهناك تعرفت بآشير وتزوجته . ولكن زواجهما لم يلبث أن فشل أثناء الحرب ، وانفصلا ثانياً فى سنة ١٩٢٢ ، وكانا يقيمان فى لندن عندئذ ، وقد جاءت إلى هذه المدينة لتبتعد عن ذلك الوحش ، ولكنه اكتشف مكانها وأسرع خلفها يبتز نقودها .

وفى هذه اللحظة دخل شرطى فقال المفتش يسأله : ماذا هناك يابريجز ؟

- إن آشير هنا ياسيدى .

- حسناً . ادخله . أين وجدته ؟

- كان يختفى فى مقطورة بجوار أحد الجراجات .

كان فرانز آشير نوعا غريباً من الجنس البشرى . كان يبكى ويكثر من العويل والصياح من وقت لآخر . ونظرت عيناه المعمصتان الينا خلسة وقال :

- ماذا تريدون منى ؟ اننى لم أرتكب أى سوء ... عار أن تعاملوا رجلا شريفاً مثلى هكذا أيها الأوغاد .

ولكنه سرعان ما غير لهجته وقال : كلا ... كلا ... لم أقصد أن أقول هذا ... انكم لن تسيئوا إلى رجل مسكين مثلى ... لا تكونوا أشراراً ... يبدو أن الجميع هنا لا يرحمون العجوز المسكين فرانز .

وراح يبكى . وقال المفتش :

- حسناً يافرانز . كف عن هذا العويل . اننى لا أتهمك بشىء فى الوقت الحاضر ، ولا يرغمك أحد على الإدلاء بأقوالك رغماً عنك ، إلا إذا كنت تريد أنت ذلك ، وإذا لم يكن لك ضلع فى مقتل زوجك .

صاح آشير يقول مهتاجاً : إننى لم أقتلها ... لم أقتلها ... هذه فرية كريهة أيها الخنازير الإنجليز ... إنكم جميعا ضدى . كلا . اننى لم اقتلها ، أقسم لكم على ذلك .

- ولكنك هددتها بالقتل كثيراً يا آشير .

- كلا . كلا ... انكم لا تفهمون ... لم يكن الأمر أكثر من مزاح ... مزاح برىء بينى وبينها ... كانت اليس تعرف تماما اننى ما كنت لأرفع يدى عليها .

- إن لك طرقــاً غريبة للمزاح . هل لك أن تقول لى أين كنـــت مســـاء أمس يا آشير ؟

- نعم ، نعم ، سأقول لك . إننى لم أذهب لرؤية أليس . كنت مع بعـــض

الأصدقاء ، وهم أصدقاء فاضلـــون ... فى حـــانة النجـوم السبع . وبعد ذلك فى حانة الكلب الأحمر .

وكان يتكلم مسرعا تجرى الكلمات بعضها أثر بعض واستطرد : كنت مع ديك ويلوز والعجوز كوردى وبلات وكثيرين غيرهم . أقول لكم أننى لم أذهب لرؤية اليس ، وأقسم لكم على ذلك .

وازداد هياجه فقال المفتش للشرطى : اذهب بهذا الرجل وضعه فى الحبس الاحتياطى كمتهم .

وأردف يقول عندما اختفى الرجل المرتعش ذو النظرة الزائغة : لا أدرى ماذا أقـــول ... لولا هذا الخطاب لأكدت للجميع أنه هو القاتل .

- ومن هم الرجال الذين ذكر أسماءهم ؟

- طغمة من الأشرار على غراره لن يتردد أى منهم على الادلاء بشهادة الزور ، وأنا لا أشك فى أنه قضى معهم الجزء الأكبر من السهرة ، ولكن لابد لى أن أتحقق إذا كان قد رآه أحد يحوم حول المحل فيما بين الساعة الخامسة والنصف والساعة السادسة .

هز بوارو رأسه فى تفكير وقال : هل أنت واثق أن شيئاً من المحل لم يسرق ؟

أجاب المفتش وهو يهز كتفيه : الحق أننا لا ندرى . ربما أخذ القاتل علبة أو علبتين من الســجائر ... ولكن لا اظن أن أحداً يرتكب جريمة قتل فى سبيل هذه الغنيمة الهزيلة .

- ألم تلحظ شيئاً ما بالمحل ؟ .. شيئاً بدا لك مريبا ... فى غير موضعه ؟

- كان هناك دليل لمواعيد القطارات .

- دليل لمواعيد القطارات ؟

- نعم . كان مفتوحاً ومقلوباً فوق المكتب كما لو أن أحداً أراد أن يتحقق من موعد قيام قطار من أندوفر ... إما المرأة العجوز وإما أحد العملاء .

- هل كانت تبيع مثل هذا النوع من الدليل ؟

هز المفتش رأسه وقال : كلا . كانت تبيع نوعاً أصغر منه . ببنس واحد . أما هذا فحجمه أكبر ولا يوجد إلا فى المكتبات .

ومض بريق فى عينى بوارو وقال وهو ينحنى إلى الأمام : دليل لمواعيد القطارات ؟ .. أمن طبعة براد شو هو أم طبعة أ.ب.ت ؟

ومض بريق مماثل فى عينى المفتش وهتف : يا إلهى ! .. إنه من طبعة أ.ب.ت.

٥

أستطيع القول إننى بدأت أهتم بهذه القضية بمجرد أن سمعت عن وجود دليل أ.ب.ت. ، وكنت حتى ذلك الوقت قد تبعت بوارو دون أى حماس ، فان مقتل امرأة عجوز فى زقاق صغير بدا،كما تدل الظواهر جريمة عادية من تلك الجرائم التى تتحدث عنها الصحف كل يوم ، بحيث لم أعلق عليها أية أهمية . وقد اعتبرت توافق ارتكاب الجريمة مع « ٢١ » الجارى الذى جاء ذكره فى الخطاب المجهول مجرد صدفة ، وكنت أظن أن مسز آشير إن هى إلا ضحية لزوجها السكير . ولكن وجود دليل المواعيد أ.ب.ت. المعروف فى انجلترا بهذا الاسم لأنه يقدم كشفاً . بجميع محطات السكك الحديدية بترتيب الحروف الهجائية أثار فضولى إلى حد كبير فان وجوده فى مسرح الجريمة كان لا يمكن أن يكون مصادفة .

وهكذا اتخذت الجريمة العادية أمام عينى مظهراً آخر . من هو ذلك الشخص الغامض الذى قتل مسز آشير وترك خلفه الدليل المعروف باسم أ.ب.ت ؟ وهى

الحروف التى ذيل بها الخطاب الذى ورد إلى بوارو ، وبعد أن غادرنا مكتب البوليس مضينا ، أنا وبوارو إلى المشرحة لكى نفحص جثة القتيل ، وأحسست بإنفعال كبير وأنا أرى وجه المرأة المملوء بالغضون وشعرها الأشيب الخفيف المرفوع فوق جبينها ... كانت ملامحها تنم عن سلام وهدوء كبيرين . وقال الرقيب :

- انها لم تعرف من الذى قتلها ، ولا كيف حدث لها ذلك ... هذا هو على الأقل رأى الدكتور كير ، وهذا خير لها فقد كانت امرأة باسلة .

قال بوارو : لا ريب إنها كانت جميلة جداً فى شبابها .

بهت لقوله هذا وقلت : حقاً ؟

- انظر إلى تقاسيم وجهها وهيئة رأسها .

وأطلق تنهيدة ، وأعاد الغطاء فوق وجهها ، ثم غادرنا المشرحة . ومضينا بعد ذلك إلى الطبيب الشرعى .

كان الدكتور كير رجلاً متوسط العمر يبدو كفئا فى عمله ، وقد تكلم فى صوت غليظ حازم فقال :

- إننا لم نعثر على سلاح الجريمة بعد ، ولا أستطيع أن أجزم أى سلاح استخدمه القاتل . ربما عصا بآخرها قطعة من رصاص أو هراوة أو أية أداة ثقيلة .

هل يستطيع رجل غير قوى أن يوجه هذه الضربة القوية ؟

نظر الطبيب إلى بوارو فى حدة وقال : تعنى هل يستطيع رجل فى السبعين من عمره مرتعش اليدين أن يسدد مثل هذه الضربة ؟ . نعم ، على شرط أن يكون السلاح ثقيلا بما فيه الكفاية . إن أى رجل ضعيف يمكن أن يسدد الضربة بالقوة المطلوبة .

افلا يمكن أن تكون امرأة قد ارتكبت هذه الجريمة ؟

اثار هذا الافتراض اهتمام الطبيب وقال : امرأة ؟ ... الحق أننى لم أفكر فى أن

أربط هذه الجريمة بامرأة ... ولكن هذا ممكن تماماً . ومع ذلك فانى من الناحية السيكولوجية لا أنسب هذه الجريمة إلى امرأة أبداً .

هز بوارو رأسه يوافقه تماماً .. تماماً .. انى أوافقك . ولكن يجب أن نواجه كل الاحتمالات فى مثل هذه الظروف . كيف كان وضع الجثة ؟

شرح لنا الطبيب تفاصيل دقيقة عن وضع الجثة . وكان من رأيه أنها أصيبت بالضربة القاتلة فى اللحظة التى أدارت فيها رأسها للمكتب وللقاتل فى نفس الوقت . وقد تهاوت فوراً خلف المكتب بحيث أن أى عميل آخر ، كان لا يستطيع رؤيتها وهو واقف بالباب .

وبعد أن شكرنا الطبيب وانصرفنا قال بوارو : اننا نملك حجة جديدة فى صالح آشير ، فلو أنه ذهب وسب زوجته أو هددها لواجهته لكى ترد عليه ، ولكنها بدلا من ذلك أولته ظهرها ... وهذا يدل على أنها أرادت أن تأخذ علبة سجائر لكى تعطيها لأحد العملاء .

- هذا فظيع .

هز بوارو رأسه فى جديه وقال : يا لها من امرأة مسكينة !

ثم نظر إلى ساعته وقال : إن أوفرتون تقع على بعد بضعة كيلو مترات . فما رأيك فى أن نذهب لرؤية ابنة اخت القتيل ؟

- ألا تنوى الذهاب إلى الموقع الذى وقعت فيه الجريمة ؟

- اننى أؤجل هذه الزيارة إلى ما بعد ... لدى سبب يحملنى على هذا التصرف .

ولم يقدم إلىّ أى تفسير ، وبعد بضع دقائق كنا ننطلق فى الطريق المؤدى إلى أوفرتون .

وكان العنوان الذى ذكره لنا المفتش عبارة عن بيت كبير يدل على ثراء صاحبته ، ويقع على بعد نحو خمسمائة متر من القرية .

وقرع بوارو الجرس . وفتحت الباب فتاة سمراء ذات عينين محمرتين لفرط البكاء . وقال لها فى صوت هادىء :

- هل أنت مس مارى درورير ، الخادمة ؟

- نعم يا سيدى . أنا مارى .

- هل أستطيع أن أتحدث معك بضع دقائق ... هذا إذا لم تمانع سيدتك ... اريد أن أتحدث معك عن خالتك مسز آشير .

- إنها خرجت يا سيدى ، وإننى واثقة أنها كانت تسمح لى بأن أدعك تدخل . وفتحت بابا يؤدى إلى صالون صغير ، وأفسحت لنا الطريق . وجلس بوارو بجوار النافذة وحدق فى القناة وقال :

- لا شك أنك علمت بموت خالتك ؟

انهمرت الدموع من عينى الفتاة وقالت : نعم يا سيدى - لقد أقبل البوليس هنا صباح اليوم . أوه ... هذا فظيع ! مسكينة خالتى ... بعد كل هذه الحياة القاسية تموت هكذا !

- ألم يطلب منك البوليس الذهاب إلى أندوفر ؟

- قالوا لى أنه لابد من حضور الجنازة التى تحدد لها يوم الاثنين ياسيدى . ولكننى لا أدرى أين أذهب فى أندوفر ، فاننى لا أريد الإقامة فى تلك الغرفة التى فوق المحل ... ثم إن الخادمة فى أجازة ولا أريد أن أثقل على سيدتى .

سألها بوارو فى هدوء : هل كنت تحبين خالتك كثيراً يا مارى ؟

- نعم ياسيدى . انها كانت طيبة دائماً معى . ماتت أمى وأنا فى الحادية عشرة فذهبت إليها فى لندن . وقد التحقت بالخدمة وأنا فى السادسة عشرة من عمرى ، ولكننى كنت أذهب لزيارتها فى أيام العطلة . كانت تعيسة جداً مع ذلك الألمانى ، وكانت تدعوه « شيطانها العجوز » . لم يتركها هذا الوغد وشأنها أبداً ... تبا له من رجل فظ .

وكانت الفتاة تتكلم فى عنف . وسألها بوارو : ألم تفكر خالتك أبداً فى أن تتخلص منه بالوسائل القانونية ؟

أجابت فى بساطة : ولكنه كان زوجها ياسيدى ... ماذا كنت تريد منها أن تفعل ؟

- قولى لى يا مارى ... هل كان يهددها بالقتل كثيراً ؟

- أوه ، نعم يا سيدى . كان يصرخ دائماً ويقول إنه سيقطع رقبتها . كان يقسم على ذلك بالألمانية والإنجليزية ، ومع ذلك فقد كانت خالتى تقول إنه كان طيبا جداً معها عندما تزوجها ، إن الناس يتغيرون بشكل فظيع .

هذا صحيح . ألم تشعرى بأية دهشة عندما سمعت بنبأ الجريمة مع علمك بتهديداته .

- أوه ، بلى ياسيدى . ولكننى ما كنت أظن أبداً أنه يجد فى قوله . كنت أعتقد أنه يسره أن يهددها هكذا فحسب . ثم إن خالتى لم تكن تخشاه قط ، فقد كان يتراجع بمجرد أن تنظر إليه شذرا ... بل إننى أقول أنه كان يخشاها .

- ولكنها كانت تعطيه نقوداً مع ذلك ؟

- أنه كان زوجها يا سيدى ؟

- نعم ، نعم . إنك قلت لى ذلك .

وسكت سكته قصيرة ثم قال : لعله هو الذى قتلها .

- ولعله لم يقتلها .

ونظرت إليه بعينين متسعتين فقال : نعم ... نعم ... لنفرض أن رجلاً آخر هو الذى قتلها ... ولكن ألا تشتبهين فى أحد ؟

أجابت الفتاة وقد ازدادت دهشتها : كلا ياسيدى .

- ألم تكن خالتك تخشى أحداً ما ؟

هزت مارى رأسها وأجابت : إن خالتى لم تكن تخشى أى أحد ، فقد كانت سليطة اللسان ، وكانت تعرف كيف توقف كل شخص عند حده .

- ألم تسمعيها تتكلم أبداً عن عدو ما ؟

- كلا يا سيدى .

- هل جاءتها رسائل من مجهول ؟

هزت الفتاة رأسها نفيا فعاد يقول : هل لخالتك أقارب غيرك ؟ - ليس لها أحد غيرى ياسيدى . كانت واحدة من عشرة أولاد بلغ منهم سن الرشد أربعة فقط . وقد قتل خالى فى الحرب ، ورحل خالى الثانى إلى أمريكا الجنوبية ولم نسمع عنه بعد ذلك وماتت أمى بحيث أصبحت وحدى .

- هل كانت خالتك تملك ثروة ما ؟

- كانت تملك قليلا من النقود فى دفتر التوفير ... ما يكفى لدفنها بما يليق بها . وقد ذكرت لى ذلك مراراً . وفيما عدا هذا المبلغ كانت تربح ما يكاد يسد رمقها ... مع شيطانها العجوز الذى كان يعيش عالة عليها .

قال بوارو فى تفكير كما لو كان يحدث نفسه : اننا نتخبط فى الظلام الآن ، ولا أعرف لى وجهة ما ... لو أن الحقائق تتحدد ...

ونهض واقفا وقال : إذا احتجت إليك فى أية لحظة يا مارى فسوف أكتب لك .

- سيدى . يجب أن أقول لك أننى قدمت استقالتى . انى لا أحب الريف وقد بقيت فى هذه البلد لأننى كنت أعتقد أننى أرضى خالتى بالبقاء على مقربة منها . أما الآن (واغرورقت عيناها بالدموع من جديد) فليس هناك ما يمنعنى من أن أعود إلى لندن فان الحياة هناك أكثر مرحاً لفتاة مثلى .

- أرجو أن تذكرى لى عنوانك إذا ما استقامت لك الإقامة هناك ... هاك بطاقتى .

* * *

٦

مسرح الجريمة

وقعت المأساة فى زقاق صغير يقع محل مسز آشير فى منتصفه ، على الرصيف الأيمن .

وعندما بلغنا ذلك الزقاق تطلع بوارو إلى ساعته ، وأدركت عندئذ لماذا أجل زيارته إلى مسرح الجريمة حتى ذلك الوقت ، فقد كانت الساعة الخامسة والنصف ، وأراد بوارو بقدر المستطاع أن يستعيد جو الأمس .

وإذا كان هذا هو غرضه فقد أخفق تماماً ، فإن مظهر الزقاق فى هذه اللحظة لم يكن يشبه فى شىء مظهره بالأمس ، فقد كانت هناك بعض المحلات الصغيرة ملحقة ببيوت حقيرة استنتجت عندما رأيتها أن أناساً من الطبقة الكادحة يلتقون فيها فى الأوقات العادية لشراء لوازمهم وأن بعض صبية الحى يلعبون فوق الأرصفة وعلى الطريق .

وفى هذه الساعة كان هناك جمع من الناس أمام أحد المحلات ، ولم نكن بحاجة الى ذكاء كبير لكى نعرف أنهم يتأملون المكان الذى قتلت فيه واحدة منهم .

وفيما نحن نقترب رأيناهم يتأملون محلاً ذا واجهة قذرة وبابه مغلق ، وأمامه يقف شرطى شاب مرهق يحاول تفرقة المارة ، وقد أفلح مع زميل له فى أقصاء جمهور الفضوليين ، فمضى بعضهم لمباشرة أعمالهم وهم يتذمرون . وبقى البعض الآخر وقوفاً ينظرون إلى المحل المغلق حيث وقعت الجريمة .

وتوقف بوارو على مسافة من هؤلاء الناس . ومن المكان الذى وقفنا فيه رأينا فى وضوح فوق الباب لافتة قرأها بوارو فى صوت خافت قائلاً :

آشير ... نعم . هذا هو المكان .

وتقدم وهو يقول : تعال ياهاستنجز ... سوف ندخل .

وأسرعت خلفه .

شققنا طريقنا بين جمهور الفضوليين واقتربنا من الشرطى ، وعرض عليه بوارو التصريح الذى زوده به المفتش ، فهز الشرطى رأسه وفتح لنا الباب وتركنا ندخل ، الأمر الذى زاد من فضول المتسكعين .

وكانت النوافذ مغلقة والمكان معتماً ، فأدار الشرطى مفتاحاً وأضاء مصباحاً كهربياً خافت الضوء بدد ظلمة المحل .

ورددت البصر حولى .

رأيت بضعة مجلات عادية ، وجرائد الأمس فوق طاولة صغيرة عليها طبقة من الغبار ، وخلف المنضدة رفوف صفت فوقها علب السجائر حتى السقف وبرطمانان كبيران يحتوى أحدهما على أقراص من النعناع والآخر على بعض الحلوى ... صفوة القول كان محلاً متواضعاً كغيره من آلاف المحلات فى انجلترا .

وحاول الشرطى أن يشرح لنا ما حدث فقال : وجدناها خلف المكتب ويؤكد الطبيب أنها ماتت على الفور متأثرة بالضربة التى أصابتها دون أن تدرى ما وقع لها . ولا ريب أنها كانت تولى ظهرها للقاتل لكى تتناول شيئاً من الرف العلوى .

- هل كانت تمسك فى يدها شيئاً ؟

- كلا يا سيدى . ولكن كان بجوارها علبة سجائر «بلايرز» .

هز بوارو رأسه ، وراح ينظر إلى زوايا المحل وهو يدون ملاحظاته .

- أين كان دليل السكك الحديدية ؟

- قال الشرطى وهو يشير إلى طرف المكتب : هنا ياسيدى . كان مفتوحاً على صفحة أندوفر ومقلوباً فوق المكتب . ويبدو أن القاتل كان يريد أن يعرف موعد

القطار المنطلق الى لندن . وإذا صح هذا فإنه ليس من أهالى أندوفر ، الا إذا كان الدليل ملكاً لشخص آخر لا صلة له بالجريمة ونسيه هنا .

سألته : وبصمات الأصابع ؟

هز الشرطى رأسه وقال : أننا فحصنا كل شىء بمجرد أن إكتشفنا الجريمة ، ولم نعثر على أى أثر .

سأله بوارو : ولا حتى فوق المكتب ؟

- كانت فوقه بصمات كثيرة ياسيدى وقد اختلط بعضها ببعض .

- أليس بينها بصمات آشير ؟

- لم نتحقق من ذلك بعد ياسيدى .

وسأله بوارو عما إذا كانت المرأة العجوز تقيم فوق المحل فأجاب : نعم ياسيدى .. والباب فى المؤخرة ... وأرجو أن تلتمس لى العذر اذ لا أستطيع مرافقتك ، فإن الأوامر التى لدى تحتم علىّ البقاء هنا .

مضى بوارو إلى الباب المذكور وفتحه . وكانت هناك ، خلف المحل ، غرفة تستخدم مطبخاً وغرفة أخرى للطعام . وكان كل شىء فيها نظيفاً ولكن أثاثها كان رخيصاً. ورأيت فوق المقعد بضع صور فاقتربت منها لكى أفحصها .

كانت عبارة عن ثلاث صور إحداها للفتاة التى التقينا بها بعد ظهر اليوم وأعنى بها مس درووير، وكانت تلبس ثوباً جميلاً وتبتسم فى خجل . أما الصورة الثانية فكانت من نوع أجود لامرأة مسنة ذات شعر أبيض ، حول جيدها ياقة من الفرو ، ادركت أنها صورة مس روز التى تركت لمسز آشير ذلك الميراث الصغير الذى استغلته فى ادارة محلها ، وكانت الصورة الثالثة قديمة لشاب وفتاة يرتديان ثياباً قديمة ، ويتأبط كل

كل منهما ذراع الآخر . وكان الرجل يضع وردة فى عروة جاكتته ، وكانا يبتسمان ابتسامة تدل على السعادة .

وقال بوارو : إنها صورة زواج بلا شك . أرأيت يا هاستنجز ؟ ... ألم أقل لك أن هذه المرأة كانت جميلة ؟

والواقع أنه لم يخطىء . فعلى الرغم من أنها كانت تصفف شعرها على المودة الشائعة فى ذلك الوقت ، وعلى الرغم من الثياب القديمة المضحكة ، فقد كانت على قسط كبير من الجمال وخفة الروح . وفحصت زميلها ، وأعترف أنه تعذر على أن أعرف ذلك الشاب الأنيق المتكبر العجوز آشير .

وإذ تذكرت العجوز السكير ذا النظرة الماكرة المتهربة وزوجته ذات الوجه المتغضن لفرط الارهاق والتعب ارتجفت أمام قسوة الزمن الذى لا يرحم .

ووجدنا فى آخر هذه الغرفة سلماً أفضى بنا إلى غرفتين فى الطابق الأعلى كانت إحداهما خالية ومجرده من الأثاث ، أما الأخرى فكانت غرفة نوم مسز آشير ، وقد فتشها رجال البوليس بكل عناية . وكان الفراش نظيفاً يعلوه غطاءان قديمان ، وبأحد الأدراج ملابس داخلية مكوية ، وبدرج آخر كتاب فى الطهى ورواية عنوانها « الواحة الخضراء » وزوج جديد من الجوارب ، وتحفتان من الصينى لقطة وكلب ومظلة سوداء وبلوفر من الصوف معلق على شماعة خلف الباب ... كانت هذه هى كل ممتلكات مسز آشير ، ولسوء الحظ كان البوليس قد أخذ معه جميع الأوراق الخاصة .

وتمتم بوارو : يا للمرأة المسكينه . تعال ياهاستنجز . لا يوجد هنا ما يستدعى بقاءنا .

وفى الخارج تردد بوارو لحظة ثم اجتاز الشارع . كان أمام محل مسز آشير تقريباً

محل بقالة وخضروات من ذلك النوع الذى يعرض كل ما فيه من البضائع تقريباً فوق الافريز فى الخارج أكثر منه فى الداخل . وأصدر بوارو تعليماته لى بصوت خافت ثم دخل المحل . وتبعته بعد دقيقة أو دقيقتين ، وكان يساوم فى سبيل شراء بعض الفاكهة أما أنا فقد اشتريت رطلاً من الفراولة .

وكان بوارو يتكلم فى حماس كبير مع المرأة التى تقوم على خدمته فقال : تلك المرأة المسكينة قتلت فى المحل الذى أمامك ... أليس كذلك ؟

- يا له من أمر محزن ! .. لا ريب أنك أصبت بإنفعال شديد .

ويبدو أن المرأة كانت قد لقيت كفايتها من هذه الجريمة ، فما لاشك فيه أن كل الزبائن استجوبوها طوال اليوم . وقد أجابت :

- أولى بكل هؤلاء المتسكعين أن يمضوا إلى عملهم ، فيم يجديهم البقاء والتحديق فى ذلك الباب المغلق ؟

قال بوارو : لا ريب أن الأمر كان مختلفاً مساء الأمس . من يدرى ؟ .. ربما رأيت القاتل وهو يدخل محل السجائر ... شاب طويل القامة يبدو أنه روسى .

- إية ؟ ... هل تقول أنه روسى ؟

وحدقت المرأه فيه طويلاً فقال : وقد سمعت أن البوليس القى القبض عليه .

- أرأيت إلى هذا ؟ ... روسى !

- نعم . ظننت أنك ربما رأيته مساء أمس .

- إذا أردت الحق فإننى لا أستطيع أن أقول ماذا يحدث فى الشارع لأنها ساعة يكثر فيها العمل . وهناك عملاء يدخلون دائماً فى عودتهم من العمل ... تقول شاب طويـل القامة أشقر ... وله لحية ... لا أرى أحـداً من الجيران ينطبق عليه هذا الوصف .

قطعت عليهما الحديث عندئذ قائلاً : معذرة ياسيدى . أن معلوماتك خاطئة فقد

قيل لى أنه شاب أسمر قصير القامة .

وتبعت ذلك مناقشة حامية اشتركت فيها المرأة العجوز وزوجها وصبى له صوت « أبح » ، وأجمعوا على أنهم لاحظوا أربعة شبان سمر ، وقال الصبى ذو الصوت المبحوح إنه رأى شاباً طويل القامة أشقر ، وأردف يقول فى آسف : ولكنه كان حليق الذقن لسوء الحظ .

وأخيراً بعد أن فرغنا من مشترواتنا غادرنا المحل . وقلت لبوارو أسأله فى عتاب : - لم كل هذه المهزلة ؟

- ذلك اننى اردت أن أعرف اذا كان فى استطاعه أحد دخول محل السجائر خفية دون أن يلاحظه أحد .

- أما كنت تستطيع أن تسألهم دون اللجوء الى هذا اللف والدوران ؟

- كلا ياصديقى . فلو أننى أكتفيت باستجوابهم لما حصلت على أى رد . وانت نفسك ، على الرغم من أنك انجليزى يبدو أنك لا تفهم رد الفعل الذى يحدثه السؤال المباشر فى نفسية الرجل الانجليزى . أن الشك يرقى إليه على الفور ، ويؤدى ذلك إلى صمت عنيد . لو أننى طلبت من هؤلاء الناس أية معلومات لأطبقوا فمهم ، فى حين أننى اذا افترضت رأيا واتبعت آخر مناقضاً ، انطلقت ألسنتهم على الفور . والنتيجة أننا نعرف الآن أن الجريمة وقعت فى وقت من النهار يزخر بالحركة ، وأن كل شخص كان منهمكاً فى عمله الخاص ، وأن كثيراً من المارة كانوا يروحون ويغدون ... أن القاتل اختار الوقت المناسب تماماً .

وكان المحل والبيت اللذان يقعان على يمين محل مسز آشير شاغرين ، وقد علقت باحدى نوافذه لافتة « للايجار » وفى الناحية الأخرى يقع بيت صغير علقت على نوافذه ستائر من الموسلين ، ومضى بوارو إليه ودق الجرس أكثر من مرة .

وبعد بضع دقائق فتحت الباب طفلة غير نظيفة بادرها قائلاً :

صباح الخير ... أين أمك ؟

نظرت الطفلة إليه فى تبلد ثم صاحت تقول : ماما ... بالباب رجل يسأل عنك .

ثم أسرعت واختفت فى البيت . وانحنت امرأة ضامرة الوجه فوق سياج السلم. ثم هبطت بضع درجات وهى تقول :

- لا داعى لأن تضيع وقتك .

ولكن بوارو رفع قبعته وقاطعها قائلا : مساء الخير ... إن صحيفة نجمة المساء تقدم لك خمسة جنيهات نظير مقال نرجو أن تزودينا فيه بما تعرفين عن جارتك مسز آشير .

- تفضل بالدخول ... من هنا ، على اليسار ... تفضل بالجلوس .

كانت الغرفة مزدحمة بالمفروشات المتجانسة الأشكال والألوان . وجلسنا فى شىء من الصعوبة فوق أريكة غير مريحة . وقالت :

- أرجو المعذرة إذا كنت قد أسأت استقبالكما ، ولكنكما لا تعرفان ما آلاقيه من مشقه فى التخلص من المزعجين الذين يأتون لبيع مختلف الأصناف ، وهم اناس شرفاء مهذبون يعرفون اسمى ... مسز فولر ، ألا تريدين غسالة ، أو مكنسة كهربائية ، أو جوارب ، أو صابونا وغير ذلك ...

وتلقف بوارو القنبلة فى مهارة فقال : أرجو أن تقبلى عرضى يا مسز فولر .

أجابت السيدة وهى تفكر فى الجنيهات الخمسة : لا أدرى ... كنت أعرف مسز آشير طبعاً ، أما أن أكتب عنها ..

أسرع بوارو يطمئنها : - أننى سأطلب منك الرد على بعض الأسئلة وسأتكفل أنا نفسي بكتابة المقال .

وإذ اطمأنت مسز فولر من هذه الناحية أخذت تذكر له ذكرياتها وتردد على مسمعه أقوال الجيران فيما يتعلق بالقتيلة .

كانت مسز آشير تعيش على انفراد دائماً ... لم تتصادق مع أية جارة ، ومع ذلك

فقد كانت مسز فولر تعرف أن المرأة المسكينة كانت تعانى من مشاكل جمة ؛ كان يجب أن يسجن مستر آشير منذ وقت طويل ، لا لأن مسز آشير كانت تخشاه ... فهى عندما كان يتملكها الغضب كانت تصبح شرسة جداً ، وكانت ترد له الصاع صاعين ... ولعلها قست عليه هذه المرة أكثر من ذى قبل . وكانت مسز فولر نفسها تقول لها مراراً « أن هذا الرجل سوف يقتلك يا مسز آشير فاحترسى منه » وقد حدث ما توقعته . أما مسز فولر فلم تسمع شيئاً على الرغم من أنها جارتها .

وسكتت لحظة ، وانتهز بوارو الفرصة وسألها : هل جاءت لمسز آشير خطابات بدون امضاء ... أعنى من مجهول ... أو بتوقيع أ.ب.ت. مثلاً .

أجابته المرأة على الفور : لا أدرى ... لا أعتقد ... لأنه لو صح ذلك لحدثتنى مسز آشير بأمرها ... دليل السكك الحديدية المعروف باسم أ.ب.ت ؟ كلا ... لم أر لديها دليلاً من هذا النوع ... كاد أن يغمى علىّ عندما سمعت هذه القصة ... لقد نادتنى ابنتى وقالت : « ماما ... تعالى وانظرى ... إن رجال البوليس عند الجارة » . وقد دهشت عندما علمت بما حدث . وهذا يدل على أنه لم يكن يجب أن تعيش بمفردها . كان يجب أن تعيش ابنة خالتها معها . إن الرجل الذى يدمن الشراب يمكن أن يتحول إلى ذئب وقدحذرتها أكثر من مرة . وحدث ما توقعته . وانت ترى الآن علام يقدر الرجل الذى يدمن الشراب .

وندت على صدرها تنهيدة كبيرة . وسألها بوارو : ألم ير أحد فرانز آشير يدخل المحل ؟!

أجابت المرأة وهى تضحك ساخرة : أنه ما كان ليدع أحداً يراه . ولكنها لم تقل له كيف كان بمقدور مستر آشير أن يدخل دون أن يراه أحد، وأن كانت قد أعترفت بأنه لا يوجد للبيت أو للمحل غير باب واحد ، وأن فرانز آشير كان معروفاً من الجميع فى الحى ، وأردفت تقول :

- ولكنه لم يكن يريد أن يشنق طبعاً ، ولابد أنه تمكن من الدخول خلسة .

واستأنف بوارو الحديث بضع لحظات أخرى ، ولكنه وضع حداً لذلك حين أدرك أن مسز فولر قد ذكرت له كل ما تعرفه وأعطاها المبلغ الموعود .

وقلت بعد أن خرجنا إلى الشارع : خمسة جنيهات ... إنه مبلغ كبير .

- حتى الآن نعم .

- هل تظن أنها تعرف المزيد ؟

- أى صديقى ، أننا لا نعرف الآن نوع الأسئلة التى يجب أن نلقيها .

أننا أشبه بالأطفال الذين يمارسون لعبة الاستغماية أثناء الليل . ونسير على غير هدى . لقد قالت لنا مسز فولر ما تعتقد أنها تعرفه ... بل حتى كل ما تظن أنها تعرفه ، وستفيدنا شهادتها فى المستقبل . اننى دفعت لها هذه الجنيهات الخمس عمداً .

لم أدرك وجهة نظره تماماً ، ولكننا فى هذه اللحظة بالذات التقينا بالمفتش جلين .

٧

مستر بارتريدج ومستر ريدل

كان المفتش جلين عابس الأسارير ، فقد قضى طوال الأصيل فى محاولة اعداد بيان بالأشخاص الذين شوهدوا يختلفون إلى محل السجائر .

وسأله بوارو : حسناً ؟ .. هل شوهد أحد ؟

- ثلاثة رجال طوال القامة لهم نظرات متلصصه ، وأربعة قصار القامة لهم شوارب سوداء ... ولحيتان ... وثلاثة سمان جميعهم مجهولون . وإذا صدقنا الشهود فان كلا منهم يبدو مريضاً ... وأنه ليدهشنى أنهم لم يروا عصابة من الرجال المقنعين المسلحين .

ابتسم بوارو فى هدوء وقال : هل رأى أحدهم فرانز آشير ؟

- كلا . وهذه نقطة فى صالحه . قلت للرئيس أنه يجب أن نعهد بهذه القضية إلى اسكوتلانديارد لأنها ليست جريمة محلية .

قال بوارو بلهجة الجد : اننى أوافقك .

وأردف المفتش : هذه جريمه بشعة ... بشعة جداً ...

لا تبشر بأى خير .

وقبل أن نعود إلى لندن ذهبنا لزيارة شاهدين .

أولهما مستر جيمس بارتريدج ، وهو الرجل الذى رأى مسز آشير على قيد الحياة لآخر مرة ، والذى اشترى علبه سجائر فى الساعة الخامسة والنصف .

ومستر بارتريدج هذا موظف فى أحد البنوك . ضامر الجسم نحيف البنية ويلبس نظارة . ودقيق جداً فى أقواله . وهو يقيم فى بيت صغير . وقال وهو ينظر إلى البطاقة التى قدمها له مستر بوارو :

- هل أنت قادم من قبل المفتش جلين ؟ ... ماذا أستطيع أن أؤدى لك يا مستر بوارو ؟

- يبدو أنك آخر من رأى مسز آشير على قيد الحياة يا مستر بارتريدج .

ضم مستر بارتريدج أطراف أنامله وتأمل بوارو كما لو كان يفحص شيئاً مريباً وقال : هذه نقطة قابلة للاعتراض يا مستر بوارو ، فلا ريب أن كثيرين غيرى دخلوا المحل بعدى لشراء لوازمهم .

- لو صح ذلك فهم لم يأتوا للادلاء بأقوالهم .

سعل مستر بارتريدج وقال : أن بعض الناس لا يفهمون معنى الواجب المدنى .

وراح ينظر إلينا من خلال نظارته بعينيه الشبيهتين بعينى البومة . وقال بوارو :

هذا صحيح . والأرجح انك ذهبت إلى البوليس من تلقاء نفسك .

- طبعاً ياسيدى ، فما أن سمعت بنبأ الجريمة البشعة حتى أدركت أن شهادتى يمكن أن يكون لها فائدتها ، وتصرفت طبقاً لذلك .

قال بوارو : اننى اهنئك . هل تتفضل وتعيد على أقوالك ؟

- بكل سرور . كنت عائداً إلى بيتى فى تمام الساعة الخامسة والنصف ...

- عفوا ... كيف عرفت الوقت بمثل هذه الدقة ؟

بدأ لى أن هذه المقاطعة ضايقت مستر بارتريدج وأجاب يقول : كانت ساعة الكنيسة قد دقت لتوها معلنة النصف . ونظرت إلى ساعتى ورأيت أنها تؤخر دقيقة . وفى تلك اللحظة بالذات كنت ادخل محل مسز آشير .

- هل تشترى منها احتياجاتك دائماً ؟

- نعم . فى أغلب الأحيان .. أشترى أوقيتين من التبغ مرتين كل أسبوع .

- هل كنت تعرف مسز آشير ؟ ... هل كانت تطلعك على مشاكلها ؟

- أبداً . فيما عدا الحديث عن مشترواتى وملاحظاتى عن الطقس لم يكن يجرى بيننا حديث آخر .

- هل كنت تعلم أن لها زوجا سكيراً دائم التهديد لها ؟

- كلا لم أكن أعرف أى شىء يتعلق بهذه المرأة المسكينة .

- ولكنك كنت تعرفها شخصياً على كل حال . ألم تلحظ شيئاً غير عادي فى تصرفاتها أمس ؟ ... ألم تكن مرتبكة أو مضطربة ؟

فكر مستر بارتريدج لحظة ثم قال : الواقع أنها بدت لى كعادتها . نهض بوارو وقال : اشكرك على معلوماتك يامستر بارتريدج . ألا أجد لديك مصادفة دليلا لمواعيد القطارات . أريد أن أرى إن كان هناك قطار أستطيع اللحاق به اليوم لأننى أود العودة الى لندن الليلة .

- إنه وراءك فوق الرف يا مستر بوارو ..

وكان فوق الرف بضعة كتب من بينها دليل لمواعيد القطارات طبعة برادشو ، وتظاهر بوارو بأنه يتصفحه ثم اعاده مكانه ، وشكر مستر بارتريدج واستأذنه فى الانصراف .

* * *

كانت زيارتنا التالية من نوع مختلف فقد مضينا إلى مستر البيرت ريدل ، وهو يعمل محولجى بالسكة الحديدية ، وكان الرجل عملاقاً عريض الوجه ، له عينان يقظتان ، وكان بادى العداء . وكان يلتهم فطيرة مع جرعات صغيرة من الشاى . وراح ينظر إلينا فى غضب وقال :

اننى أدليت بكل ما أعرف ... ذكرت كل شىء لرجال البوليس الذين لا يفهمون شيئاً . فلماذا أدلى بها لاثنين من الأجانب الملاعين من جديد .

رماه بوارو بنظرة مرحة وقال : لا ريب أنك على حق ، ولكن ماذا تريد ؟ اننا إزاء جريمة قتل ، ولابد أن نتخذ احتياطاتنا ، أليس كذلك ؟

وقالـت زوجتـه فـى شىء من الخجل : من الأوفق أن تذكر للسيد مايريد معرفته يا بيرت .

صاح العملاق : اصمتى .

قال بوارو : ارى أنك لم تذهب للادلاء بأقوالك لرجال البوليس من تلقاء نفسك .

- ولماذا أذهب ؟ ... لا شأن لى بهذه الجريمة أبداً .

قال بـوارو : انها مسألة تقدير . لقد وقعـت جريمة قتل ... ويريد البوليس أن يعرف ... ماذا أقول ؟ .. من الطبيعى أن تتقدم من تلقاء نفسك دون أى تأخير .

- وعملى ؟ ... من يقول لك أننى لن أذهب إلى البوليس ، عندما يسمح لى وقتى بذلك .

- مهما يكن فقد ذكر أحدهم اسمك لرجال البوليس ، وكان لابد لهم من أن يأتوا

لسؤالك . هل استراحوا إلى قصتك على الأقل ؟

سأله بيرت فى شراسة : ولماذا لا يستريحون .

اكتفى بوارو بأن هز كتفيه فقال الرجل : ما الذى تهدف إليه أيها السيد ؟ .. هل هناك من يشتبه فى ؟ ... إن الجميع يعرفون أن مسز آشير العجوز إنما قتلها زوجها العربيد .

– ومع ذلك فان أحدا لم يره فى الشارع فى تلك الليلة . فى حين أنهم رأوك أنت .

– آه هل تحاول أن تورطنى فى هذه الجريمة ؟ لن تستطيع ذلك ؟

ولماذا أقتلها . ألكى أسرق علبة من تلك السجائر الكريهة ؟

.. لعلك تظن أننى من هؤلاء المجانين الذين يقتلون لا لشىء إلا حبا للقتل ... هل تظن ؟ ..

ونهض متوعدا ولكن زوجته أسرعت تقول : برت ... برت ... لا تقل هذا ... وإلا اعتقدوا ...

قال بوارو : اهدأ أيها السيد ... أننى إنما آتيت لكى أسمع أقوالك فحسب ... ولكننى أرى أن رفضك غريب بعض الشىء .

– ومن يقول لك أننى أرفض الكلام ؟

وعاد مستر ريدل فجلس وسأله بوارو : هل دخلت المحل فى الساعة السادسة ؟

– نعم . بعد السادسة بدقيقة أو دقيقتين فى الواقع ... دفعت الباب ...

– هل كان مغلقاً ؟

– نعم . وقد ظننت فى بادىء الأمر أنه موصد ، ولكنه لم يكن كذلك . ودخلت بيد اننى لم أر أحداً . وضربت بيدى على المكتب ، وانتظرت قليلاً ولكن لم يأت أحد ، فخرجت . هذه هى القصة .

– ألم تر الجثة خلف المكتب ؟

- كلا . وما كنت لتلحظها أنت نفسك إلا إذا تعمدت ذلك .

- هل رأيت فوق المكتب دليلا لمواعيد القطارات ؟

- نعم وكان مقلوبا . وقد خطر لى أن العجوز أرادت أن تستقل القطار وخرجت . وفاتها أن توصد الباب بالمفتاح .

- ألم تلمس الدليل أو تنقله من مكانه ؟

- أبداً لم أفعل شيئاً أكثر مما قلت لك .

- ولم تر أحدا يغادر المحل قبل أن تدخله أنت نفسك ؟

- كلا ولكننى أسألك لماذا تتهمنى .

- لا أحد يتهمك ... حتى الآن . طابت ليلتك أيها السيد . وترك الرجل مذهولا ، وتبعته أنا إلى الخارج .

وفى الشارع نظر إلى ساعته ثم قال : إذا أسرعنا استطعنا اللحاق بقطار الساعة السابعة . هلم بنا إلى المحطة .

٨

الخطاب الثانى

قلت لبوارو والقطار يغادر محطة أندوفر : حسناً ؟

كنا لجلس وحدنا فى مقصورة بإحدى عربات الدرجة الأولى . وبدأ صديقى يقول : إن القاتل رجل متوسط القامة ، أحمر الشعر ، مريب النظرات ، يعرج عرجا خفيفاً بقدمه اليمنى . ويشكو من غضروف فى ظهره .

صحت بوارو .

وكنت على وشك أن أصدقة لولا غمزة عينه فهمت منها أنه يسخر بى ، فعدت أقو
فى عتاب : بوارو !

- ماذا تريد يا صديقى . انك تنظر إلى كالكلب الأمين ، وتطلب منى أن أدلى ل
ببيان على طريقة شرلوك هولمز . ولكن دعنى أتكلم بصراحة ، اننى أجهل أوصا
القاتل ، ولا أعلم أين يقيم ، ولا كيف أضع يدى عليه .

- ليته ترك خلفه أثراً يدلنا إليه .

- نعم ... هذا هو ما يخطر لك دائماً . ولكن للأسف أن القاتل لم يدخن سيجارة
ولم يترك رمادها خلفه ، أويلبس حذاء به مسامير من نوع خاص .كلا ، إنه لم يتر
وراءه أى أثر ، ولكن لا تنس دليل مواعيد القطارات يا صديقى ... ويجب أن ع
عزاءنا فيه .

- هل تظن أنه تركه سهوا ؟

- كلا طبعاً . بل تركه عامدا ، والبحث عن البصمات يؤكد لنـ
ذلك .

- ولكنهم لم يجدوا به أية بصمة .

- هذا ما أعنيه . كيف كان الجو أمس ؟ .. كان رائعاً ، وبالأحرى كان دافئا ، فه
يعقل أن يمشى أحد فى شهر يونية فى مثل هذا الجو الدافىء وفى يديه قفاز ؟ .
كلا طبعاً ، وذلك حتى لا يثير انظار الناس إليه . ومعنى عدم وجود أية بصمة ع
الدليل هو أن البصمات التى انطبعت عليه قد أزيلت . والرجل البرىء يترك بصمات
أما الجانى فلا ، ومن هذا نفهم أن القاتل ترك الدليل خلفه كأثر لكى نهتدى به .
شخصا ما قد اشترى الدليل .. وهذا الشخص قد جاء به إلى المحل .

- هل تظن أن هذا الدليل سيهدينا الى أثر الجانى ؟

- اننى لا أجرى وراء الأوهام إذا أردت الصراحة ياهاستنجز . أن ذلك الرجل .

ذلك القاتل المجهول يعتمد كما تدل الظواهر على ذكائه الخارق ، وعلى هذا فهو ليس بالرجل الذى يترك خلفه أثراً يمكننا من الأهتداء إليه بسهولة .

- هذا الدليل لا يفيدنا فى أى شىء اذن .

- ليس بالمعنى الذى تظن .

- بأى معنى إذن ؟

لم يجب بوارو على الفور ، ولكنه قال بعد لحظات فى بطء : أننا أمام قاتل مجهول يقبع فى الظل . ويريد البقاء فيه . ولكن طبقاً لطبعه لن يسعه إلا أن يظهر فى الضوء . أننا نجهل عنه كل شىء ومن ناحية تعرف عنه الكثير . إنه بدأ يتشكل أمام أعيننا . أنه رجل يلجأ الى حروف المطبعة ، ويستخدم نوعا جيداً من الورق ، ويشعر برغبة قوية فى إظهار شخصيته . وأراه فى حداثته مهملاً لا يكترث به أحد ، ثم يكبر وهو يحس بعقدة نقص ويكافح ضد ظلم القدر . ويزداد احساسه بالظهور ، ويلفت الأنظار إليه ، ولكن الظروف تسحقه ويعانى كل أنواع الأذلال والتحقير ، ويضع عندئذ ، فى عقله الباطن ، الشرارة فوق الديناميت .

قلت معترضاً : كل هذا مجرد نظريات لا تؤدى بنا إلى أية نتيجة إيجابية .

- إنك تفضل عيدان الكبريت ورماد السجاير والأحذية ذات المسامير الخاصة ... ستبقى دائماً كما أنت ، ومع ذلك فإن فى مقدورنا أن نلقى على أنفسنا أسـئلة علمية ... لماذا أ.ب.ت ؟ ... ولماذا مسز أشير بالذات ؟ ... ولماذا أندوفر ؟

قلت : أن ماضى هذه المرأة يبدو بسيطا . وحديثنا مع هذين الرجلين كان مخيبا لآمالنا ، فلم نعرف منهما شيئا جديداً .

- الواقع أننى لم أكن أنتظر منهما الكثير ، ولكن لم يكن بمقدورنا إهمال هذين القاتلين المحتملين .

- كيف ؟ ... هل تقصد ؟ ...

- يمكننا أن نفترض أن القاتل يقيم فى اندوفر أو على مقربة منها . وهذا هو الرد على احد أسئلتنا وهو لماذا أندوفر ؟ ... وهذان الرجلان دخلا للمحل فى الوقت الذى ارتكبت فيه الجريمة ، ومن المحتمل أن يكون أحدهما القاتل ، وحتى الآن لم نتأكد أن أحدهما ليس القاتل .

- لعل هذا الرجل الشرس المدعو ريدل ...

- بل إننى ، على العكس ، أميل إلى تبرئته ، فقد كان يبدو منفعلا وبادى الإنزعاج ، وهذا يدل على أنه من طبع يختلف تماما عن طبع صاحبنا الذى أرسل الخطاب الذى مهره بتوقيع أ.ب.ت .. فهو مغرور وشديد الثقة بنفسه ، ويجب ألا يغيب عنا هاتان الميزتان .

- ألا تشتبه فى مستر بارتريدج ؟

- إن هذا الرجل له كل الصفات التى تحدونا إلى الاشتباه فيه ، فإنه ما كان ليتصرف بغير ما تصرف به مرسل الخطاب ، ثم يذهب بعد ذلك إلى البوليس ، ويبدو مسروراً بلفت اهتمامهم اليه .

- إذن فأنت تعتقد ؟ ...

- كلا يا هاستنجز ... إننى أعتقد أن القاتل لا يقيم فى أندوفر . ولكن لا يجب أن نهمل أى شىء . وعلى الرغم من أننى أتكلم عن قاتل فلا يجب أن يغيب عن نظرنا أن الجريمة ربما ارتكبتها امرأة .

- إننى أوافقك .

- أن طريقة القتل تدل على أن القاتل رجل ، ولكن لا تنس أن النساء يرسلن خطابات مجهولة أكثر من الرجال فى أغلب الأحيان .

خيم الصمت بضع لحظات ثم قلت أسأل بوارو : وما الذى سنفعله الآن ؟

أجاب بوارو وهو يبتسم : ما هذا النشاط العجيب ياهاستنجز ؟

- أننى سألتك ماذا نفعل الآن ؟

- لا شىء .

- لا شىء ؟

واسرع يقول وهو يرى أمارات الخيبة التى ارتسمت على وجهه : ما الذى تريد منى أن افعله ؟ ... إننى لست ساحراً .

تعذر على الرد طبعا ، ومع ذلك فقد أحسست بأننا يجب أن نقدم على شىء ، وألا نترك الكلا ينمو تحت اقدامنا ، وقلت : —

- ولكن ... دليل المواعيد وورق الخطابات ؟

- اطمئن يا صديقى . أن رجال البوليس يهتمون بهذه النقاط ، وهم يملكون كل الوسائل التى تكفل لهم أن يتحروا مثل هذه المسائل . وإذا كان ولابد من اكتشاف شىء فسوف يكتشفونه .

وهكذا كان لابد لى من الانتظار والصبر .

وخلال الأيام التى تلت تظاهر بوارو بأنه لا يهتم بالقضية . وبمجرد أن أحاول التحدث فى هذا الموضوع كان يسارع الى إسكاتى بحركة من يده .

وأظن أننى خمنت سبب صمته ، فقد فشل ، لقد تحداه أ .ب.ت. وانتصر عليه . ولما كان بوارو قد اعتاد على النجاح والفوز دائما فقد ساءه هذا الفشل بحيث لم يعد يحتمل أية إشارة إلى هذا الموضوع . فهل يدل ذلك على نقطة ضعف فى هذا الرجل العظيم ؟ ... إن المجد يمكن أن يدير رأس أشد الناس تواضعاً ، فما بالك وبوارو يظن فى نفسه كل الظنون .

وبدافع الصداقة احترمت هذه النقيصة فى بوارو . وتحاشيت الاشارة إلى هذه المسألة الشائكة . ورحت أقرأ تحليلات الجرائد للقضية . وكانت كلها وجيزة ، ولم تشر أية صحيفة الى الخطاب الموقع باسم أ.ب.ت. وكان قرار المحكمة جريمة قتل ارتكبها مجهول

أو مجهولون .

ولم تحظ هذه الجريمة التى تفتقر إلى الإثارة باهتمام الجمهور ، وسرعان ما نسى الجميع مقتل المرأة العجوز المسكينة . ويجب أن أعترف أننى أنا نفسى بدأت أفقد الاهتمـام بهـا . ولعل ذلك لأنه شق على أن أرى صديقى يفشل فى إحـدى قضايـاه لأول مـرة .ولكننى لم ألبث أن تذكرتها فى يوم ٢٢ يوليو وبطريقة غريبة غير متو قعة .

لم أكن قد رأيت بوارو منذ يومين ، وكنت قد قضيت عطلة نهاية الأسبوع فى يوركشاير ، وعدت إلى لندن بعد ظهر يوم الاثنين ، وجاء الخطاب فى بريد الساعة السادسة من نفس اليوم ، واتذكر ذهول بوارو عندما عرف المظروف ، فقد صاح يقول : ها هو !

نظرت إليه غير فاهم وسألته : ماذا ؟

- الفصل الثانى من قضية أ.ب.ت.

وكنـت قد طرحتها على بالى فلم أدر عما يتكلم ، فقال وهو يعطينى الخطاب : اقرأ .

وكـان مكتوبا بحروف المطبعة كالخطاب الأول ، وعلى ورق من نوع جيد ، وهذا نصـه :

« عزيزى مستر بوارو .

« ما رأيك ؟ .. يبدو لى أننى الرابح . لقد تمت جريمة أندوفر على أحسن وجه ، أليس كذلك ؟

« ولكن ما فات لم يكن إلا بداية المزاح ، وقد حان الجد الآن . وألفت نظرك الى مدينة بكسهيل على شاطىء البحر يوم ٢٥ الجارى .

« إننا نمرح ونلهو كثيراً .

المخلـــص

أ.ب.ت.

- يا إلهى بابوارو ... هل يجب أن نستنتج من هذا أن ذلك المجرم سيرتكب جريمة قتل جديدة ؟

- طبعاً ياهاستنجز ... ماذا كنت تنتظر غير ذلك ؟ ... هل تظن أن جريمة اندوفر ستبقى هى الوحيدة ... تذكر كلماتى ! ... ليست هذه إلا البداية .

- ولكن هذا فظيع .

- نعم . هذا فظيع .

- إننا نواجه رجلا مجنوناً .

- بدون أى شك .

وكان هدوءه غريباً ، وأعدت إليه الخطاب والرعشة تسرى فى جسدى .

وفى صباح اليوم التالى حضرنا اجتماعاً ضم رئيس بوليس سوسكى ورئيس قسم المباحث فى ادارة سكوتلانديارد والمفتش جلين من أندوفر وكبير المفتشين كارتر من بوليس سوسكى والمفتش جاب ومفتش شاب يدعى كروم والدكتور طومسون طبيب الأمراض العقلية المشهور .

كان الخطاب يحمل خاتم بريد هابستيد ، ولكن طبقا لرأى بوارو لم يكن ينبغى أن نعلق أية أهمية على هذه النقطة .

ونوقشت القضية من كافة وجوهها . واكتفى الدكتور طومسون . وهو رجل ظريف بأن يستخدم لغة عادية محاولا الابتعاد عن الاصطلاحات الفنية التى تزخر بها مهنتــه . وقال القوميسير المساعد .

- نفس اليد هى التى كتبت الخطابين ... وليس هناك أى شك فى هذا .

- ويمكننا أن نؤكد دون أى خوف أن كاتبه هو الذى ارتكب جريمة اندوفر .

- تماما . وهو يقول لنا أن جريمة ثانية سوف نرتكب فى ٢٥ الجارى ... أى بعـد

غد .. فى بكسهيل ، فما العمل ؟

نظر رئيس بوليس سوسكى الى مساعده قائلاً : حسناً يا كارتر ... ما رأيك ؟

هز كارتر رأسه فى جدية وقال : هذه مسألة معقدة يا سيدى . إننا لا نعرف من ستكون الضحية ... فأى قرار نتخذه ؟

قال بوارو : اسمحوا لى أن أبدى نظرية .

تحول الجميع اليه فقال : - أظن أن اسم الضحية التالية سيبدأ بحرف الباء .

قال المفتش : هذه نقطة نعرفها .

وقال الدكتور طومسون فى تفكير : إننا أمام مهووس الأبجدية .

- ما أقول الآن ليس أكثر من اقتراح ... خطر ببالى وأنا أرى اسم آشير مكتوبا على محل المرأة المسكينة التى قتلت فى اندوفر فى الشهر الماضى ... وعندما جاءنى هذا الخطاب وتكلم عن بكسهيبل أستنتجت أن الضحية اختيرت هى والمدينة طبقاً للحروف الهجائية .

قال الطبيب : هذا جائز ... ومن المحتمل أن يكون اسم آشير مجرد صدفة كذلك . وقد تكون الضحية هذه المرة امرأة عجوزاً تدير محلا ما . تذكر أننا نواجه مجنوناً لم يكشف لنا عن الدافع حتى الآن .

قال رئيس البوليس متشككا : وهل يعمل المجنون طبقاً لدافع ؟

- طبعا . إن المنطق السليم هو الذى يدفع أسوأ المجانين الى ارتكاب جرائمهم فبعضهم يعتقد أن الله اختاره لكى يقتل الكهنة أو الأطباء أو النساء المسنات اللاتى يبعن السجائر ... ووراء انفعالهم يوجد دائماً سبب معقول بالنسبة لهم ، فلا يجب أن تضللنا الحروف الهجائية . ربما جاءت بكسهيبل بعد اندوفر بطريق الصدفة .

- نستطيع أن نتخذ بعض الاحتياطات على الأقل يا كارتر ، كأن نعد مثلاً بياناً بأسماء الأشخاص الذين تبدأ اسماؤهم بحرف الباء . وأن نقيم حراسة مشددة على

محلات بيع السجائر والجرائد - ليس أمامنا عمل أفضل من هذا .ويجب مراقبة كل الأجانب الذين يأتون إلى البلد طبعا .

زمجر المفتش وقال : مع بداية الاجازات السنوية سوف يمتلىء الشاطىء بالمصيفين هذا الأسبوع .

قال الرئيس فى صوت جاف : فلنتصرف بقدر طاقتنا .

وتكلم المفتش جلين وقال : سأراقب كل الذين اقترن اسمهم بقضية آشير ... الشاهدين بارتريدج وريدل وآشير نفسه طبعا . لو ابتعد أحدهم عن اندوفر فسأبعث خلفه من يقتفى أثره .

وبعد عدة اقتراحات جديدة وحديث لارابط له انفض الاجتماع .

وقلت ونحن نسير على ضفاف التايمز : بوارو ... فى استطاعتنا الحيلولة دون وقوع جريمة قتل ثانية على كل حال .

نظر صديقى البليجكى الى فى شرود وقال : أخشى أننا لا نستطيع ذلك يا هاستنجر ، كيف نستطيع أن نصون بلدا تعداده آلاف من الأشخاص من جنون رجل واحد . هذا محال يا هاستنجز ... تذكر سلسلة الجرائم التى ارتكبها جاك السفاح .

قلت : ولكن هذا فظيع !

- أن الجنون مرض خطير ياهاستنجز ... إننى خائف ... خائف جداً .

* * *

٩

جريمة بكسهيل

مازلت أذكر كيف صحوت من نومى فى صباح الخامس والعشرين من شهر يولية ، وكانت الساعة قد أشرفت على السابعة والنصف .

كان بوارو واقفا بجوار فراشى يهزنى من كتفى فى رفق . ونظرة واحدة إلى وجهه كانت كفيلة بأن استرد وعيى تماما . وقلت وأنا أجلس فى الفراش :

- ما الذى حدث ؟

وكـان رده بسـيطا ، ولكن صوته كان ينم عن تأثر بالغ . قال : وقع ما كنا نخشاه .

صحت : ماذا تعنى / ... ولكن اليوم هو الخامس والعشرون .

- وقعـت الجريـمة مسـاء أمـس ، أو بالأحـرى فى فجـر اليـوم .

وثبت من فراشى ، ورحت أرتدى ثيابى على عجل ، فى حين راح هو يروى لى ما عرفه عن طريق التليفون :

- اكتشفت جثة فتاة فى شاطىء بكسهيل وتدعى بيتى بارنارد ، وكانت تعمل جرسونة فى إحدى مقاهى المدينة ، وتقيم مع أهلها فى كوخ حديث البناء . ويقول الطبيب أن الجريمة وقعـت فيما بين الحادية عشرة والثلـث مساء والساعة الواحدة صباحاً .

قلت وأنا أجرى بالموس على خدى : هل أنت متأكد من أنها « الجريمة » التى ننتظرها ؟

- عثروا على دليل لمواعيد القطارات مفتوحاً على صفحة الباء تحت جثتها .

قلت وأنا أرتعش : هذا فظيع .

- حذار يا هاستنجز . لا أريد أن تقع مأساة في مسكني .

جففت الدم الذى سال من ذقنى وقلت : وماذا تنوى أن تفعل ؟

- ستأتى عربة لكى تقلنا بعد قليل . سأبعث اليك بفنجان من القهوة ، ثم نمضى بعد ذلك .

وبعد عشرين دقيقة كنا نغادر لندن فى سيارة سريعة من سيارات البوليس .

وكان المفتش كروم يرافقنا . وكان قد حضر أجتماعنا الأخير وكلف بالتحقيق فى القضية رسمياً .

كان أكبر سنا من جاب بكثير ، ويختلف عنه كل الأختلاف . وكان يلتزم صمتا متعاليا . كان أنيقا فى تصرفاته طبعا ، وعلى ثقافة واسعة ، ولكننى كنت أراه مغروراً إلى حد كبير ، وكان قد تفوق أخيراً فى سلسلة من جرائم قتل الأطفال ، وتسنى له بفضل صبره وذكائه القبض على القاتل وايداعه سجن برادمور .

كانت الظواهر تدل على أن لهذا المفتش الشاب كل المؤهلات التى تؤهله لكشف الغموض عن الجريمة الحالية ، ولكننى رأيت أنه شديد الثقة بنفسه . وكان يتحدث إلى بوارو بلهجة متعطفة لم ترق لى أبداً . وقال :

- إننى تبادلت حديثا طويلا مع الدكتور طومسـون ، وهو يهتم بنوع خاص بالجرائم التى يجمع بينها صفة التكرار ، ومن رأيه أن القاتل يعانى من جنون ذهنى خاص ، وطبعا ، لا يمكن أن نفهم ، نحن الجاهلين ، خصائص هؤلاء الأشخاص كما يفهمهـا هـو من وجهة النظر الطبية . وبهذه المناسبة فإن قضيتى الأخيرة ، ولا ريب أنك سمعت عنها من الجرائد ، وأعنى بها مقتل مابل هومر ، ثم مقتل تلميذة صغيرة بموزويل هيل ... كان القاتل فيها غريب الأطوار فى الواقع ، وقد لقيت مشقة كبيرة فى القبض عليه فقد كانت الجريمة الأخيرة جريمته الثالثة ، وكان يبدو سليما معافى ،

مثلى ومثلك . ولكننا نملك فى الوقت الحاضر وسائل حديثة تحمل المتهمين على الأعتراف ، وهى وسائل كانت غير معروفة فى وقتك . وأنك إذا حملت شخصا على أن يفضح نفسه مرة فقد ظفرت به ، لأنه يعرف أنك كشفت أمره ، فيفقد شجاعته ويعترف لك عندئذ بكل ما تريد .

– هكذا كانت الأمور تجرى فى وقتى أنا أيضاً .

نظر المفتش إلى صديقى لحظة ثم تمتم يقول : آه ... هذا عجيب !

وخيم الصمت علينا برهة ثم قال كروم أخيراً : إذا كانت لديك اسئلة عن قضية بكسهيل فلا تتردد .

أظن أنك لم تعرف أوصاف الفتاة بعد .

– إنها فى الثالثة والعشرين من عمرها ، وتعمل جرسـونة فى مقهى القطة الشقراء .

قال بوارو : كلا ... إنما أردت أن اسأل إذا كانت جميلة .

أجابه المفتش فى غير اكتراث : لا أعرف ذلك .

وكان لسان حاله يقول : عجيب أمر هؤلاء الأجانب – لكنهم كلهم متشابهون – تظن أن هذه نقطة لا أهمية لها ، أما أنا فأرى ، على العكس ، أنها على جانب كبير من الأهمية ، فإن جمال المرأة يقرر مصيرها .

أجاب كروم : آه ... هذا عجيب !

وخيم علينا الصمت من جديد .

وبينما كنا نقترب من سيفن أولاً طرق بوارو الحديث فقال : هل تعرف مثلا كيف قتلت وبأية وسيلة ؟

أجاب المفتش فى إيجاز : أنها قتلت بواسطة حزامها ... وهو حزام من الحرير المجدول .

اتسعت عينا بوارو وقال : آه ! ... أخيراً ... هذه معلومات ثمينة ، فهى تدلنا على شىء على الأقل .

ولكن المفتش أجاب فى برود : إننى لم أستدل منها على شىء ... بعد .

أثارنى أفتقار هذا الرجل إلى الخيال وقلت : ألا ترى أن القاتل ترك توقيعه ؟ .. حزام الفتاة بالذات ... أن هذا يكشف لنا عن خسته .

. رمانى بوارو بنظرة غامضة خيل لى إننى أتبين فيها شيئاً من المزاح لا يريد أن يظهره ، واعتقدت عندئذ أنه لا يريدنى أفيض فى الحديث أمام المفتش .

ولزمنا الصمت من جديد .

وفى بكسهيل ، استقبلنا كبير المفتشين كارتر ومعه مفتش شاب تبدو عليه مخائل الذكاء ويدعى كلى كان يتعين عليه مساعدة المفتش كروم .

وقال كارتر :

لا ريب أنك تريد أن تقوم بتحقيق خاص يا كروم . سأطلعك على الخطوات الرئيسية للقضية ، ويمكنك أن تباشر عملك بعد ذلك .

أجاب كروم : شكراً لك ياسيدى .

استطرد كبير المفتشين يقول : أننا أبلغنا والدى الفتاة بالنبأ المحزن ، وأنها لصدمة عنيفة لهما . أننى تركتهما يتمالكان نفسيهما قليلا قبل أن استجوبهما . ويمكنك أن تقوم أنت بذلك .

قال بوارو : هل تتكون الأسرة من أفراد آخرين ؟

- نعم . أن لها أختا تعمل على الآلة الكاتبة فى لندن ، وقد اتصلنا بها . وهناك خطيب القتيلة أيضاً ... وقد حسب الوالدان أنها خرجت معه .

سأله كروم : ألم تهتد إلى أى شىء عن طريق الدليل أ . ب.ت.؟

أجاب كارتر وهو يلقى نظرة إلى المائدة : ها هو . ليس به أيه بصمات ، وكان

مفتوحاً على صفحة بكسهيل ، ويبدو أنه جديد ، وأن القاتل لم يتبعه من المدينة ، فقد استجوبت جميع أصحاب المكتبات بها .

- ومن الذى أكتشف الجثة ؟

- جنـدي مسن يدعى الكولونل جيروم يحب المشى فى الساعات المبكرة من الصباح . كان يمشى فى حوالى الساعة السابعة صباحاً بصحبة كلبه على الشاطىء ناحية كودن . وتركه كلبه وأسرع يتشمم شيئاً فوق الرمال . وناداه الكولونل ، ولكن الكلب لم يتحرك ، واستغرب سيده الأمر ولحق به. وما إن رأى نفسه أمام الجثة حتى تصرف كما يجب فاستدعانا على الفور دون أن يلمسها .

- هل أرتكبت الجريمة فى نحو منتصف الليل ؟

- بين منتصف الليل والساعة الواحدة ... ولك أن تتأكد من ذلك . أن قاتلنا المجهول يفى بكلمته . أنه أعلن أنه سيرتكب الجريمة فى اليوم الخامس والعشرين ، وقد أرتكبها فعلا فى اليوم المذكور . بعد منتصف الليل بدقائق .

هز كروم رأسه موافقا وقال : نعم ، هذه هى عقليته . أليس هناك شىء آخر ؟ ... ألم يدل أحد بأية معلومات تفيدنا فى شىء .

- ليس بعد ، ولكن التحقيق قد بدأ بالكاد ، وقد دعونا كل الأشخاص الذين التقوا بفتاة ترتدى ثيابا بيضاء برفقة رجل أن يسارعوا بالأدلاء بأقوالهم ، ولما كنا نعرف أن هناك نحو خمسمائة فتاه كن يرتدين ثيابا بيضاء تنزهت كل منهن أمس برفقة حبيبها ، فسوف يكون المشهد ظريفاً .

قال كروم : من الأوفق أن أهتم بالأمر منذ الآن يا سيدى . سأذهب إلى المقهى الذى كانت الفتاة تعمل به ، ويمكن لكلسى أن يرافقنى .

سأله كبير المفتشين : ومستر بوارو ؟

قال مستر بوارو يخاطب كروم وهو يحييه بإنحناءة كبيرة : إننى سأرافقك .

وبدأ الأستياء على كروم شيئاً ما ، أما كلسى ، ولم يكن قد عرف بوارو إلا بالسماع فقد ابتسم ابتسامة كبيرة .

وقال كروم : ماذا حدث للحزام الذى ارتكبت به الجريمة ؟ ... أن مستر بوارو يجده دليل أثبات هام ، ولا ريب أنه يريد أن يراه .

قال بوارو على الفور : ابداً . أنك اسأت فهمى .

قال كارتر : أن هذا الحزام لن يهديك إلي شيء . لو أنه كان من الجلد لا ستطعنا أن نرفع ما قد يكون عليه من بصمات ، ولكنه من الحرير المجدول ، والحرير لا تنطبع عليه البصمات .

مضينا إلى مقهى القط الأشقر ، وهو يقع على شاطيء البحر ... كان يشبه غيره من المقاهى ، صفت به مناضد تغطيها مفارش من القماش المنقوش بمربعات بيضاء وسوداء ، ومقاعد مريحة من القش فوقها وسائد برتقالية اللون . وكان هناك أشخاص كثيرون يتناولون طعام الأفطار والشاى .

ودخلنا المقهى وقت الأفطار ومضت بنا صاحبة المقهى إلى المؤخرة ، وخاطبها كروم قائلاً : مس ... مس مربون ؟

أجابت المرأة فى صوت باك : أنا هى ياسيدى ... يالها من فضيحة كبيرة ... أن هذه القضية ستسىء إلى المقهى حتما .

كانت مس مربون امرأة نحيفة ، فى نحو الأربعين من عمرها ، ذات شعر أشقر ، تطبق بأصابعها على مئزرتها فى عصبية :

وقال المفتش : على العكس ياسيدتى . سوف تكون هذه القضية دعاية كبيرة لك . سترين ... لن تجدى مكاناً شاغراً بعد قليل . قالت مس مربون : هذا يثير الأشمئزاز ... أن الطبيعة البشرية أمرها غريب حقا !

ومع ذلك فقد كانت عيناها تتألقان غبطة وسروراً .

- ما هى المعلومات التى تستطعين أن تقدميها لنا عن الفتاة المسكينة ؟

- ولكننى لا أعرف شيئا عنها .. لا أعرف شيئاً حقاً .

- منذ متى وهى تعمل عندك ؟

- هذا هو عامها الثانى .

- وهل كنت راضية عن خدمتها ؟

- كانت جرسونة قديرة ... نشيطة وظريفة .

سألها بوارو : كانت جميلة ، أليس كذلك ؟

رمته مس مريون بدورها بنظرة كأنها تقول : ما أغرب هؤلاء الأجانب !

وقالت : كانت فتاة جميلة وشريفة .

سألها كروم : ومتى غادرت عملها أمس ؟

- فى الساعة الثامنة ... أننا نغلق المقهى فى ذلك الوقت ، فنحن لا نقدم وجبة العشاء ... بعض العملاء يأتون لتناول وجبة خفيفة من البيض والشاى فى نحو الساعة السابعة ، ولكننا نبدأ « التشطيب » بعد ذلك على الفور .

- هل قالت لك أين كانت تنوى قضاء السهرة ؟

صاحت مس مريون : كلا طبعا ، فلم تكن صداقتنا قد بلغت هذا الحد .

- ألم يأت أحد ليسأل عنها ... أو هل أنتظرها أحد ؟

- كلا .

- هل كانت تبدو كعادتها ؟ ... أعنى هل كانت مرحة أو كئيبة ؟

أجابت مس مريون فى شرود - لا أستطيع القول .

- كم جرسونة تعمل عندك .

- اثنتان فى الوقت العادى ، واثنتان أخريان ابتداء من ٣٠ يولية حتى آخر

أغسطس .

- ألم تكن بيتى برتارد بين الفتاتين الأضافيتين ؟

- كلا كانت تعمل هنا طوال السنة .

- والأخرى ؟

- مس هيجلى ؟ .. هى فتاة لا غبار عليها .

- هل كانت هى ومس بارنـــارد صديقتين ؟

- الحق أننى لا أســتطيع أن أؤكـد ذلك .

- ربما من الأوفق أن نسمع أقوالها .

نهضت مس مربون وهى تقول : سأرسلها اليكم . ولكن أرجو ألا تحتجزوها أكثر من اللازم .

ولم تلبث أن أقبلت فتاة بدينة ، ذات شعر أسود ، متوردة الوجنتين ، ذات عينين كســتنائيتين متسعتين لفرط الأنفعال . ودخلت كالقنبلة وقالت دون أن تسترد أنفاسها :

- أرسلتنى مس مربون إليكم .

هل أنت مس هيجلى ؟

نعم ياسيدى .

- هل تعرفين بيتى بارنارد ؟

- نعم . كنت أعرفها ... ما أفظع هذا . لا أستطيع أن أصدق أن مصابا كهذا قد وقع . أننى اتساءل عما إذا لم أكن فى منام ... اضطررت أن أشك نفسى خمس أو ست مرات لكى اتأكد اننى لست نائمة ... بيتى مقتولة ! ... هذا غير معقول .

قال كروم . هل كنت تعرفين الفقيدة جيداً ؟

- كانت هنا قبلى . اننى التحقت بالعمل هنا فى مارس الماضى . وكانت هادئة جداً

. لم تكن تلهو أو تضحك مع أحد . ولكننى لا أقصد أن أقول أنها كانت حزينة . كانت تحب أن تمرح وتضحك كالجميع ، ولكنها كانت رزينة ...

ويجب أن أقول أن المفتش كروم أبدى صبراً كبيراً فى استماعه لاقوال مس هيجلى البدينة ، فقد كانت تكرر كل عبارة ست مرات على الأقل . وكان هذا الأستجواب مخيباً لكل الآمال .

لم تكن صديقة حميمة للقتيلة الشابة ، فقد كانت بيتى بارنارد تعتبر نفسها من طبقة أرقى من طبقة مس هيجلى . وكانت ظريفة مع زميلاتها أثناء العمل ولكنها لم تكن تخالط أيا منهن بعد ذلك . وكانت مخطوبة لموظف بشركة كورت وبرانسكيل العقارية ... لا تعرف أسمه ولكنها قالت أنه شاب وسيم أنيق . وكان واضحاً أن مس هيجلى تتكلم عنه والغيرة تأكل كل قلبها .

صفوة القول يمكن أن نلخص زيارتنا هكذا . لم تذكر بيتى بارنارد نواياها لأحد فى المقهى ، ولكنها طبقا لرأى مس هيجلي ذهبت لكى تلحق بخطيبها ، والواقع أنها كانت ترتدى ثوبا أبيض له باقة كبيرة على حسب الطراز الشائع .

واستجوبنا كلا من الجرسونتين الأخريين ولكن دون جدوى . لم تذكر بيتى بارنارد نواياها لأى منهما ، ولم يرها أحد منهما بعد ذلك .

* * *

١٠

أسرة بارنارد

كانت اسرة بارنارد تقيم فى كوخ صغير حديث البناء على مشارف المدينة ضمن خمسين كوخا .

ومستر بارنارد رجل قوى طويل القامة ، فى الخمسين من عمره ، وقف بعتبة الباب وقد بدأ عليه الأنزعاج عندما رآنا نقترب . وقال : تفضلوا بالدخول .

وبدأ المفتش كلسى الحديث فقال : أقدم لك المفتش كروم من اسكوتلانديارد ، وقد جاء لكى يساعدنا فى التحقيق .

قال الرجل وهو يتمالك نفسه : اسكوتلانديارد .. حسناً . يجب العثور على هذا القاتل الوغد بكل طريقة ... ابنتى المسكينة !

وتقلص وجهه لفرط الألم . وعاد كلسى يقول : وأقدم لك مستر بوارو من لندن و ...

قال بوارو : والكابتن هاستنجز .

قال مستر بارنارد فى صوت ميكانيكى : يسرنى أن أتعرف بكم . تفضلوا بالجلوس . لا أدرى إذا كانت زوجتى المسكينة تستطيع استقبالكم ... لقد هزها المصاب . ومع ذلك ، وما أن دخلنا غرفة الطعام حتى ظهرت مسز بارنارد ، وكانت محمرة العينين . وتقدمت وهى تتحامل فوق ساقيها كما لو كانت ترزح تحت وطأة ألم شديد .

وقال زوجها وهو يربت على كتفها ويساعدها على الجلوس : حسنا ..

هل تشعرين بتحسن الآن ؟

وتحول إلينا واستطرد يقول : كان كبير المفتشين كريما معنا ، فبعد أن أبلغنا بالنبأ الفظيع وعد بأن يستجوبنا فيما بعد ... بعد أن تخف حدة الصدمة .

أنتحبت مسز بارنارد قائلة : هذا فظيع ... هل يمكن أن يقع مثل هذا المصاب ؟

قال المفتش كروم : إننى ادرك مبلغ ألمك ياسيدتى ، ونحن جميعا نتعاطف معك ، ولكننا بحاجة إلى بعض المعلومات لكى نبدأ العمل على الفور .

قال مستر بارنارد وهو يهز رأسه : هذا مفهوم .

- كانت ابنتك فى الثالثة والعشرين من العمر ، وكانت تقيم هنا معكما ، وتعمل فى مقهى القط الأشقر ، فهل هذا صحيح ؟

- نعم .

- أنك تقيم الآن فى بيت جديد ، أليس كذلك ؟ ... أين كنتم تقيمون من قبل ؟

- - كنت أعمل مندوبا لشركة خردوات فى كيننجتون ، واعتزلت العمل منذ سنتين ، وقد تمنيت دائماً أن أعيش على شاطىء البحر .

- هل لك ابنتان ؟

- نعم والكبرى موظفة فى لندن .

- ألم تشعر بأى قلق عندما لم تعد ابنتك مساء أمس ؟

قالت مس بار نارد وعيناها مغرورقتان بالدموع : لم نكن نعلم أنها لم تعد ، فاننا نأوى إلى الفراش ، أنا وزوجى فى وقت مبكر ... لا نسهر بعد التاسعة أبداً .. وقبل أن يأتى ضابط البوليس لم نكن نعلم أن بيتى لم تعد إلى البيت .

- هل أعتادت ابنتكما العودة فى وقت متأخر ؟

- أجاب بارنارد : أنك تعرف فتيات اليوم أيها المفتش . أنهن لا يحلمن إلا بالحرية . وفى الصيف لا نراهن فى وقت مبكر من الليل . ومع ذلك فإن بيتى كانت

تعود دائما فى نحو الساعة الحادية عشرة .

- وكيف تدخل ؟ ... هل يبقى الباب مفتوحاً ؟

- أننا نضع المفتاح دائماً تحت المسحة .

- يبدو أن ابنتك كانت مخطوبة ، وتوشك أن تتزوج ؟

قالت مسز بارنارد : نعم . هذا صحيح ... أنه يدعى دونالد فريزر ، وكان يروق لى كثيرا . سينزعج المسكين لهذا النبأ ، وأننى اتساءل عما اذا كان قد عرف .

- أنه يعمل بشركة كورت وبرونسكيل ، أليس كذلك ؟

- نعم ... وهى شركة عقارية .

- هل اعتاد أن يذهب للقاء ابنتك بعد الفراغ من عملها ؟

- ليس كل ليلة .. مرتان فى الأسبوع .

- هل تعرفين إذا كانا قد خرجا معا أمس ؟

- أنها لم تقل لنا شيئاً . أنها كانت لا تذكر لنا شيئاً أبداً ، ولكن فيما عدا ذلك فهى فتاة فاضلة ... أوه ... لا استطيع أن أتصور ...

وازداد نحيبها فقال زوجها : أهدئى ... حاولى أن تتغلبى على حزنك ... يجب أن يعرف هؤلاء السادة كل شىء .

تمتمت مسز بارنارد : إننى واثقة أن دونالد ما كان أبداً ... عاد زوجها يقول : أهدئى بالله .

وتحول إلى المفتش وقال : لا أبغى إلا مساعدتكم ، ولكننى لا أعرف شيئاً . لا أعرف أى شىء يمكن أن يهديكم إلى أثر هذا القاتل الزنيم ... كانت بيتى فتاة مرحة لا يهمها شىء ... ومخطوبة لشاب رزين ... وكانت تخرج معه ... فمن الذى يستفيد

من قتلها ... إنني لا افهم شيئاً .

قال المفتش كروم : مستر بارنارد ... أننا نريد أن نلقى نظرة على غرفة مس بارنارد ... فعلنا نجد فيها بعض الرسائل أو المذكرات ... أو أى شىء يمكن أن يهدينا فى أبحاثنا .

قال مستر بارنارد : تفضلوا معى .

وتبعه كروم . ثم بوارو وكلسى ، وسرت أنا فى المؤخرة . ولكننى أضطررت أن أتوقف لكى أربط شريط حذائى . ووقفت سيارة أجرة بباب الحديقة فى هذه اللحظة ، وهبطت منها فتاة نقدت السائق أجره ، ثم أسرعت نحو البيت وهى تعدو . وكانت تحمل فى يدها حقيبة صغيرة ، وعندما دخلت ورأتنى توقفت على الفور .

وارتسم القلق على وجهها ، وقد دهشت لذلك ، وسألتنى تقول : من أنت ؟

وارتبكت ولم أدر بماذا أرد . هل اذكر لها اسمى أو أقول لها أننى قدمت مع رجال البوليس . ولكنها لم تترك لى الوقت لكى أتخذ أى قرار فقد صاحت :

- أوه ... إننى خمنت .

ونضت قبعتها الخفيفة عن رأسها ، وطوحت بها فوق الأرض . وسقط عليها ، فاستطعت أن أراها بصورة أفضل .

خيل لى فى بادىء الأمر أنها عروس هولندية ، من تلك العرائس التى يلعب الأطفال . كان شعرها قصيراً ووجنتاها مستديرتين متوردتين ، وكانت جذابة ولكنها تكن جميلة . وسألتها :

- هل أنت مس بارنارد ؟

- نعم ، أنا ميجان بارنارد .. لعلك من رجال البوليس ؟

- كلا ، ليس تماماً .

أسرعت تقول : هذا كل ما أستطيع أن أقول عن أختى كانت فتاة فاضلة جميلة

جداً ، ولم تكن تخالط الشبان ... إلى اللقاء ياسيدى .

وزمجرت ثم نظرت إلى فى تحد وقالت : أما هكذا يجب أن أتحدث ؟

- إننى لست صحفيا إذا كنت تعنين ذلك ؟

- من أنت أذن ؟

وألقت نظرة نحو المطبخ وأردفت : وأين أبى وأمى ؟

- أن أباك صعد مع رجال البوليس إلى غرفة أختك ، وأمك فى غرفة الطعام . أن المسكينة مضطربة جداً .

وبدا كأن الفتاة أتخذت قراراً فقالت : تعال هنا .

وفتحت بابا ودخلت . وتبعتها . ووجدت نفسى فى مطبخ نظيف مرتب . وفيما أنا أغلق الباب أحسست بمقاومة غير متوقعة ، ولم يلبث أن تسلل بوارو بدوره وأغلق الباب خلفه . وقال وهو ينحنى فى رشاقة :

- مس بارنارد !

قلت : أقدم لك مستر هركيول بوارو .

نظرت ميجان إليه فى أعجاب وقالت : إننى سمعت عنك ياسيدى .

ألست أنت ذلك المخبر السرى المعروف ؟

وجلست على حافة المنضدة ، وبحثت فى حقيبتها عن سيجارة أشعلتها ، وقالت بعد أن أخذت منها نفسا :

- لا أرى سببا لوجود مستر بوارو فى جريمة تافهة كهذه .

قال بوارو : فى الإمكان تأليف كتاب بما لا نراه ، لا أنا ولا أنت يا آنسه ،

ولكن لا أهمية لكل هذا . أن ما يهمنا فى الوقت الحاضر لن يكون من السـهل أكتشافه .

- وما هو ؟

- أن الموت يحيط الموتى بهالة كبيرة يا آنسة ، وقد سمعت الآن ما قلت لصديقى هاستنجز « كانت أختى فتاة فاضلة وجميلة ، ولم تكن تخالط الشبان » . وقد نطقت بهذه العبارة بلهجة ساخرة ظنا منك أن صديقى من الصحفيين .، والواقع أن هذه هى الكلمات التى يرددها الجميع عندما تموت أية فتاة ... كانت ذكية ومرحة ، ولا تعانى من أيه مشاكل ، ولا تخالط الشباب ... أننا نبدو كرماء جداً نحو الموتى ... ولكن ، هل تعرفين ما الذى أتمناه الآن أكثر من أى شىء آخر ... إننى أتمنى أن أتكلم مع شخص يعرف بيتى بارنارد ولا يعلم أنها ماتت . ربما أعرف عندئذ شيئا أتوق إلى معرفته ، وأعنى به الحقيقة .

راحت ميجان تدخن وهى تحدق فى بوارو ، وأخيرا تكلمت وادهشتنى كلماتها لأنها قالت:

- كانت بيتى فتاة حمقاء .

١١

ميجان بارنارد

هز بوارو رأسه فى استحسان وقال : مرحى يا آنسة ! ...انك ذكية . راحت ميجان تقول فى غير اكتراث : كنت أحب بيتى كثيراً ، ولكـن هذا لـم يمنع من أن أدينهـا وأن أرى أنهـا حمقـاء . كنت أنصحهـا كثيـرا ، والأخوات يتصارحن

دائماً .

- وهل كانت تعمل بنصائحك ؟

أجابت ميجان وهى تهز كتفيها : كلا طبعا .

- أكون شاكرا لك لو ذكرت لى الوقائع يا آنسة .

ترددت الفتاة لحظة . وابتسم بوارو مشجعا وقال : سأساعدك . انك قلت لهاستنجز ان اختك كانت فتاة فاضلة ، وأنها كانت لا تخالط الشبان ، وهذا غير صحيح ، اليس كذلك ؟

قالت ميجان فى بطء : أفهمنى جيداً . لم تكن بيتى تفعل شراً . كان سلوكها لا غبار عليه . لم تكن من أولئك الفتيات اللاتى ينقدن الى الشبان فى عطلة آخر الأسبوع ... ابداً ... غير أنها كانت تعبد الخروج والأختلاف الى الحفلات الراقصة والاستماع الى عبارات المديح والثناء .

هل كانت جميلة ؟

القى بوارو سؤاله هذا للمرة الثالثة . وجاء الرد فى هذه المرة ، فقد نهضت ميجان من مكانها ومضت إلى حقيبتها وأخذت منها شيئاً أعطته لبوارو .

كان هذا الشيء عبارة عن إطار من الجلد يضم النصف العلوى لفتاة شقراء ترتسم فى عينيها ابتسامة متكلفة ، وتصفف شعرها طبقاً للموضة الشائعة ، تاركة هالة من خصلات الشعر تحيط بوجهها ، ولم تكن على جانب كبير من الجمال ، ولكنها كانت مليحة فيها فتنة وجاذبية ساحرتان .

وأعاد بوارو الصورة وهو يقول : انك لا تشبهينها يا آنسة .

- أوه ... اننى الفتاة الدميمة فى العائلة ، وأنا أعرف ذلك منذ وقت طويل . وأتت بحركة من يدها تقصى عنها هذه الفكرة ، كما لو كانت لا تعلق عليها أية أهمية .

- ومـا الذى كان يحمـلك على الظن بأن أختك كانت تتصرف كما لو كانت حمقـاء ؟ .. معاملتها لمستر دونالد فريزر مثلاً ؟

هو ذلك . أن دونالد هادىء ... ولكنه لا يستطيع احتمال بعض الأمور ... وعندئذ ...

- ماذا يا آنسة ؟

وحملق فيها . وترددت بضع لحظات ثم قالت : كنت أخشى أن يتخلى عن أختى كلية ، وهذا أمر يؤسف له ، فهو شاب باسل نشيط كان فى الامكان أن يكون زوجا صالحا لها .

راح بوارو ينظر إليها فى اصرار . وقابلت نظرته بكل ثبات . ولكنها أحدقت فيه بطريقة ذكرتنى بطريقتها الساحرة التى استخدمتها معى فى البداية . وقال بوارو أخيراً :

- أنك تبتعدين عن الحقيقة يا آنسة .

هزت كتفيها ومضت نحو الباب قائلة : اننى بذلت جهدى لكى اساعدك على كل حال .

قال بوارو : انتظرى يا آنسة . أريد أن أقول لك شيئاً .

وما كان أشد دهشتى حين روى لها قصة الخطا بين اللذين أرسلهما اليه أ.ب.ت. ، وجريمـة القتـل التى وقعـت فى أندوفر ووجود دليل السكة الحديدية مع كل ضحية .

واستمعت الفتاة إلى قصته فى اهتمام كبير ، وقد تألقت عيناها ثم قالت :

- هل هذا صحيح يا مستر بوارو ؟

- نعم يا آنسة .

- اختى قتلها مجنون اذن ؟

- تماما .

ندت عن صدرها تنهيدة كبيرة وقالت : أواه يا بيتى ! .. بيتى ... هذا فظيع ... فظيع !

لعلك تفهمينى الآن يا آنسة انك تستطيعين أن تصارحينى بكل شىء دون أن تخشى الاساءة إلى أى أحد ؟

- نعم . أرى ذلك الآن .

- لنستأنف حديثنا اذن . أن دونال فريزا غيور جداً بطبيعته ، فهل هذا صحيح ؟

راحت ميجان بارنارد تقول : مستر بوارو . اننى أثق بك الآن ، وسأعترف لك بكل الحقيقة ، إن دونالد شاب هادىء جداً ، بل يكاد يكون منطويا على نفسه ، لا يعرف ابداً كيف يعبر عما يريد . ولكنه ذو حساسية كبيرة ، ويميل إلى أن يأخذ كل شىء مأخذ الجد ... كان دائماً شديد الغيرة على بيتى ... كان يعبد أختى ، وكانت بيتى تحبه كثيراً ولكن على طريقتها هى ، لم يكن من طبيعتها أن تحب شخصا ولا تنظر إلى غيره ... كانت على استعداد دائماً لكى تخرج مع أى شخص . وفى مقهى القط الأشقر لم تكن تنقصها الفرص ، وخصوصا أيام أجازات الصيف ، كانت حاضرة الجواب . وإذا ضايقها أحد تعرف كيف ترده . وكان الأمر معها لا يزيد عن نزهة على شاطىء البحر أو قضاة السهرة فى السينما ، ولم يكن ينتج عن ذلك كله أى شىء جاد . كان كل ما تنشده هو اللهو والمرح ، وكانت تقول أن من الخير أن تستفيد من حريتها قبل أن تتزوج .

سكتت ميجان ، فقال بوارو : اننى أفهم . استمرى .

- لم يكن دونالد يطيق هذا التصرف بالذات ، وكان من رأيه أنه لا يحب أن تخرج مع غيره إذا كانت تحبه حقاً ، وقد نشب شجار بينهما فى هذا الشأن مرة أو مرتين .

- وخرج دونالد عن هدوئه عندئذ ؟

- نعم . كان بخلاف الرجال المنطوين على أنفسهم ، يفقد السيطرة على نفسه إذا ما غضب ، ولا يفكر إلا فى الانتقام ، وفى تلك الأوقات كان يغدو عنيفاً جداً بحيث كانت بيتى تخشاه .

- ومتى وقعت تلك المشاجرات ؟

دب بينهما خلاف منذ سنة ، وتشاجرا حديثا منذ نحو شهر ، كنت أقضى عطلة نهاية الأسبوع فى البيت عندئذ ، وقد بذلت جهدى لاصلاح ما بينهما ، وحاولت أن أنصح أختى بعد ذلك ، وقلت لها أنها غبية صغيرة ، فقالت انها لم ترتكب أية غلطة ، وهذا صحيح ، ولكننى كنت أرى أنها كانت تسعى إلى أن تضيع نفسها ، ومنذ أن نشب بينهما ذلك الشجار فى العام الماضى اعتادت بيتى أن تكذب على خطيبها بحجة أن القلب لا يؤلمه ما يجهله العقل ، فقالت له مرة أنها ذاهبة إلى هاستنجز للقاء صديقة لها ، ولكنه اكتشف فيما بعد أنها مضت إلى ايستبورن مع رجل ... رجل متزوج ... وقد أنكر الرجل الواقعة فأفسد الجو بذلك ، وتسبب فى وقوع شجار عنيف بين أختى ودونالد ، وزعمت بيتى عندئذ أن لها كل الحق فى الخروج مع من يروق لها قبل الزواج ، واصفر وجه دونالد فجأة وهددها وهو يرتعش بأنه ذات يوم .. ذات يوم ..

- حسناً ؟ .

قالت ميجان فى صوت أجش : هددها بأنه سوف يقتلها ، وسكتت ونظرت إلى بوارو .

هز صديقى رأسه مراراً ثم قال : وكنت تخشين طبعا ...

- لم أصدق ابداً انه سيضع تهديده موضع التنفيذ ، ولم أشك فيه لحظة واحدة . وانما خشـيت على الخصوص أن يذيع الأشخاص الآخرون الذين يعلمون سر ذلك الشجار . ومن جديد راح بوارو يهز رأسـه فى خطـورة ثم قال : انك كنت على حق يا آنسة . كان لابد أن يحدث هذا لولا علمنا بوجود ذلك القاتل المجهول المغرور الذى يحلو له أن يوقع خطاباته بحروف أ.ب.ت.

وبقى صامتا لحظة ثم استطرد : هل تعلمين إذا كانت اختك قد التقت أخيراً بأحد من معارفها الشبان ؟

هزت ميجان رأسها وقالت : كلا ، فانني لم أكن موجودة .

- ولكن ما رأيك ؟

- ربما . الم تخرج مع ذلك الرجل المتزوج ؟ لا ريب أنه عزف عن لقائها خوفا من الفضيحة ولكنني لن أدهش إذا كانت بيتى روت بعض الأكاذيب لدونالد ، فقد كانت تحب الرقص والسينما كثيراً ، ولم يكن باستطاعه دونالد أن يوفر لها هاتين الرغبتين دائماً.

- ألا يحتمل أن تكون قد أفضت بأسرارها لصديقة ما ؟ ... احدى جرسونات المقهى مثلا .

- لا أظن ذلك . فان بيتى لم تكن لتطيق مس هيجلى . كانت تراها مبتذلة أما الفتاتان الأخريان فجديدتان فى المقهى ، وبيتى تكره أن تفضى بأسرارها لأحد .

صلصل جرس كهربائى فوق رأس ميجان ، فأسرعت إلى النافذة ، وأطلت منها إلى الخارج ، ثم أعادت رأسها إلى الداخل وقالت .

- ها هو دونالد .

أسرع بوارو يقول : دعيه يدخل . أريد أن أقول له كلمة قبل أن يلتقى به صديقنا العزيز المفتش .

خرجت ميجان من المطبخ مسرعة ، وبعد ثانيتين عادت وهى تمسك دونالد فريزر من يده .

* * *

١٢

دونالد فريزر

ما كـدت أرى الشـاب حتى أحسست بميل كبير نحوه ... كان وجهه الحائر وعيناه الشاردتان ينمان عما يشعر به من حزن بالغ .

كان شابا قويا ، له شعر أحمر ، وبوجهه نمش ، ولم يكن وسيما ، ولكن قسماته كانت لا بأس بها . وقال .

ما الخبر ياميجان ؟ .. تكلمى بالله ! ... سمعت أن ... بيتى ... وتحطم صوته .

قدم بوارو مقعدا ، ثم أخرج من جيبه قنينة صغيرة صب بضع قطرات منها فى فنجان تناوله فوق البوفيه وقال له ..

أشرب هذا يا صديقى ... سوف تشعر بتحسن كبير .

أطاعه الشاب ، وأعاد البراندى اللون إلى وجنتيه ، واعتدل فى جلسته ، ونظر إلى ميجان ، وقال فى صوت هادىء .

أهذا صحيح ؟ .. هل ماتت بيتى ... مقتولة ؟

- نعم يادونالد ... هذا صحيح .

عاد يتولى فى صوت خال من كل تعبير : وهل أتيت من لندن الآن ؟

- نعم . فقد كلمنى أبى فى التليفون .

وهل أتيت فى قطار التاسعة والنصف ؟

كان يلقى هذه الأسئلة التى لا أهمية لها لكى يبعد عن ذهنه الحقيقة البشعة

وأجابته ميجان : نعم .

وسألها يقول بعد لحظة صمت : والبوليس ؟ ... هل انتهى إلى نتيجة ؟

- انهم يفتشون غرفة بيتى فى الوقت الحاضر .

- ألا يشتبهون فى أحد ؟ ... ألا يعرفون من ؟ ...

وأمسك .. كره أن يترجم الحقائق الفظيعة إلى كلمات ، مثله فى ذلك مثل جميع الخجولين ، وتقدم بوارو وسأله فى غير اكتراث كما لو كان يطلب شيئاً تافهاً :

- هل قالت لك مس بارنارد أين ذهبت أمس ؟

أجاب : قالت انها ذاهبة لزيارة صديقة لها فى سنت ليونارد .

- وهل صدقتها ؟

انني ...

وفجأة دبت فيه الحياة فقال : ماذا تعنى بحق الشيطان ؟

واستطعت أن أفهم من الوعيد الذى بدأ فى عينيه ومن تقلصات وجهه كيف تتردد أية فتاة فى اثارة غضبه ، وقال بوارو فى صوت قاطع :

- ان بيتى بارنارد قتلها مجنون ، واذا كنت ذكرت كل الحقيقة فقد تساعدنا فى الاهتداء اليه .

نظر دونالد فريزر إلى ميجان فقالت : هذا صحيح يا دونالد ، لا يجب أن تعبأ الآن بمشاعرنا الخاصة أو بمشاعر الآخرين ، وانما يجب أن تتكلم بصراحة .

رمى دونالد فريزر بوارو بنظرة متشككة وسأله : من أنت ؟ ... من رجال البوليس ؟

أجاب بوارو دون أن يدرك مدى وقاحته : بل أفضل منهم . وبدا كأنه يبدى ملاحظة بسيطة ، وقالت ميجان : يمكنك أن تتكلم دون أى خوف .

وتراجع هذا الأخيـر فقال : نـعم .. لم أكن واثقا ... عندما حدثتنى بيتى صدقتها ... دون أى شك ... ولكن شيئاً فى تصرفاتها حيرنى فيما بعد وارتبت فى قولها .

قال بوارو : وماذا فعلت عندئذ ؟

وكان قد جلس فى مواجهة دونالد ، وراح يحدق فى الشاب كما لو كان يحاول تنويمة مغناطيسياً :

- شعرت بالخجل لشكوكى من ناحيتها ... ولكن كان الأمر أقوى منى . وقررت أن أذهب إلى الشاطىء وأن أراقبها عندما تخرج . ومضيت فعلاً ، ولكننى لم البث أن عدلت عن فكرتى ، فقد خشيت أن ترانى فتغضب ، لأنها ستفهم عندئذ أننى أراقبها .

- وماذا فعلت ؟

- ذهبت إلى سنت ليونارد ، وبلغتها فى الساعة الثامنة ، وهناك انتظرت عند موقف الاتوبيس لكى أرى أن كانت ستأتى ... ولكننى لم أرها .

- عندئذ .

- فقدت عقلى عندئذ ، واقتنعت انها برفقة رجل ... أخذها بلا ريب فى سيارته إلى هاستنجز ، وأسرعت إلى هاستنجز ، ورحت استعلم فى الفنادق والمطاعم ، وأبحث عنها فى صالات السينما والبلاج ... صفوة القول كنت مجنونا ... إذ كيف أعثر عليها بين كل هؤلاء الناس ؟ ... فضلا عن أن هناك أماكن أخري كان يمكن أن تذهب اليها غير هاستنجز .

وسكت محتفظا بكل هدوئه ، ولكننى حدست أن خلف هذا الهدوء الظاهر هوة سحيقة من الألم والقلق . واختتم حديثه قائلاً :

- وبعد أن أعيتنى الحيل عدت إلى سكنى .

- فى أية ساعة ؟

- لا أدرى ، فقد مشيت كثيراً ، ولا ريب أن الوقت كان قد بلغ منتصف الليل أو تجاوزه .

- وبعد ذلك ؟

وفتح باب المطبخ عندئذ وقال المفتش كلسى : آه .. أأنت هنا ؟ دخل المفتش كروم قبله ، وألقى نظرة إلى بوارو وإلى الزائرين المجهولين فقال بوارو :

- مس ميجان بارنارد ومستر دونالد فريزر ... المفتش كروم من لندن .

ثم خاطب المفتش قائلا : بينما كنت أنت تقوم بتحرياتك فوق أستجويت مس بارنارد ومستر فريزر فى محاولة للاهتداء إلى ما قد ينير لنا الطريق .

قال كروم وهو يركز اهتمامه على الشابين : آه .. حسن جداً .

ونهض بوارو الى الردهة ، وسأله المفتش كلسى فى رفق : هل اكتشفت شيئاً جديداً .

ولكن اهتمامه كان منصبا على زميله ولم ينتظر رد صديقى ، ولحقت ببوارو فى الردهة قلت له : هل اكتشفت شيئاً يا بوارو ؟

- لا شىء غير كرم القاتل العجيب يا هاستنجز .

ولم أجد من نفسى الجرأة لكى اعترف له بأننى لا أدرى ما الذى يعنيه .

* * *

١٣

اجتماع

الجزء الأكبر من ذكرياتى الخاصة بجرائم أ.ب.ت عبارة عن اجتماعات ... اجتماعات فى ادارة اسكوتلانديار أو فى مسكن بوارو .. سواء كانت رسمية أو خصوصية .

وكان يجب أن يتقرر فى هذا الاجتماع الذى اتحدث عنه الآن هل ننشر الحقائق المتعلقة بخطابات أ.ب.ت فى الصحف أم لا .

فقد أثارت جريمة بكسهيل الفضول أكثر مما فعلته جريمة أندوفر . لأن القتيلة فتاة شابة جميلة ، ولأن الجريمة ارتكبت على شاطىء البحر .

وأخذت تفاصيل الجريمة تظهر كل صباح فى الصحف مع تغييرات طفيفة ، وأثار وجود دليل مواعيد القطارات الاهتمام العام ، واستنتج الكثيرون أن القاتل اشتراه من بكسهيل بالذات ، وأن فى الاستطاعة الاهتداء إليه لهذا السبب ، فى حين قال آخرون أن القاتل جاء إلى بكسهيل فى القطار ، وأنه عاد إلى لندن بعد ارتكابه جريمته .

وفى الأنباء القليلة التى نشرتها الصحف عن جريمة أندوفر لم تكن هناك أية إشارة لوجود دليل مواعيد القطارات ، ولهذا لم يربط الجمهور بين الجريمتين .

وقال مدير البوليس : حان الوقت لاتخاذ قرار فى هذا الشأن . من الضرورى أن نعرف ما هى أفضل وسيلة للوصول إلى أحسن النتائج . هل نعرض الحقائق كلها للجمهور ، ونتأكد بذلك من مساعدته لنا ... أعنى مساعدة ملايين من المواطنين فى

البحث عن مجنون .

صاح الدكتور طوميسون : ولكن القاتل ليست له مظاهر المجانين .

- أو فى البحث عن ذلك الذى اشترى الدليلين ... ومن ناحية أخرى ، أظن أن هناك ميزة فى أن نعمل فى الظلام ، دون ان يشك صاحبنا فى نوايانا .

ولكن هنا النقطه بالذات . إنه يعرف ما نعرفه تماماً ، وهو نفسه لفت اهتمامنا اليه بخطاباته . حسنا يا كروم ... ما رأيك ؟

- إذا أعلنت الحقائق على الجمهور فكأنك تفعل ما يريده القاتل المجهول بالذات ... انه يعرف ما نعرفه نحن تماما . أنه يبحث عن الدعاية ، ويريد أن يتكلم الجميع عنه اليس كذلك يا دكتور ؟

هز الطبيب رأسه علامة الايجاب وقال مدير البوليس فى تفكير :

نعم . اننى أفهم وجهة نظره ، تريد أن تحرمه من هذه المتعة ، وترفض أن نقدم له الدعاية التى يتمناها . وانت يا مستر بوارو ؟

لم يجب بوارو على الفور . وعندما تكلم أخيراً قال فى بطء وهو يختار كلماته .

- من الحساسيه أن أذكر رأيى ، نظراً إلى أننى واحد من الأطراف المعنية ... فهو يتحدانى ، وإذا أنا قلت لا تتكلموا عنه وأخفوا أمر الخطابات عن الجمهور فربما تعتقد أن الغرور هو الذى يدفعنى إلى هذا القول ، وانى أخشى على سمعتى .. فى حين أنكم إذا ذكرتم للصحف كل نقاط القضية ، فإننا نتبع طريقة سليمة تماما ، وننبه الجمهور لكى يكون على حذر .... ولكننا ، كما قال المفتش كروم نلبى رغبة القاتل .

قال مدير البوليس وهو يحك ذقنه : آه ... وإذا لم نقدم لهذا المجنون الدعاية التى يريدها فماذا تظنه يفعل يا دكتور طوميسون ؟

أجاب الطبيب على الفور : سوف يرتكب جريمة قتل أخرى ويرغمكم على الحديث عنه .

- وإذا نشرنا النبأ فى الصحف بالعناوين فماذا يكون رد الفعل ؟

- نفس الشيء . فنحن من ناحية نفخم تعاظمه ، ومن ناحية أخرى نهينه ، والنتيجة واحدة ... جريمة جديدة .

- وما رأيك يا مستر بوارو ؟

- اننى أشارك الدكتور طومبسون رأيه .

- وكم جريمة قتل ينوى أن يرتكبها هذا المجنون ؟

نظر الدكتور طومبسون إلى بوارو وقال مبتسماً : يبدو أنه يريد أن يواصل القتل حتى ينتهى إلى حرف الياء .

واستطرد : وهو لن يصل إلى غرضه طبعاً .. فستكون قد القيت القبض عليه قبل ذلك بكثير ، واستطرد الطبيب : ومن رأيى أنكم ستستطيعون القبض عليه قبل أن يصل إلى حرف الخاء أو الدال .

هوى مدير البوليس بقبضته على المكتب وقال : هل تريد أن تقول أننا سنجد أنفسنا أمام خمس جرائم أخرى ؟

قال كروم : انه لن يصل إلى هذا الحرف طبعا .... صدقنى أيها الرئيس . وكان يتكلم عن ثقة . وقال بوارو فى لهجة ساخرة : وعند أي حرف من الحروف الهجائية ستتوقف جرائمه أيها المفتش ؟

ألقى كروم إلي بوارو نظرة بغيضه ، فقد صوته شيئاً من هدوئه العادى وهو يقول : ربما عند الحرف التالى يا مستر بوارو ، ومهما يكن فاننى أؤكد أنه لن يصل إلى حرف الجيم .

وتحول إلى رئيسه وقال : يخيل لى أننى أفهم الناحية النفسية من القضية ، وعلى الدكتور طومبسون أن يراجعنى إذا ما أخطأت فى جريمة يجب أن تزداد ثقة أ.ب.ت فى نفسه ١٠٠٪ تقريبا ، فهو يقول لنفسه حينئذ « اننى أتصرف بدهاء ، بحيث

لن يهتدوا إلى » وصحيح أن ثقته فى نفسه تزداد ، ولكن حرصه وحذره يتضاءلان لأنه سيبالغ فى تقدير ذكائه وفى غباء الغير ، ولن يلبث أن يتخلى عن حذره ، اليس هذا صحيحا يا دكتور ؟

وافقه الدكتور طومبسون بإيماءة من رأسه وقال : هذا هو ما يحدث عادة . ولا يمكن التعبير عن ذلك بأفضل مما قلت ، ولابد أنك على علم بمثل هذه المسائل يا مستر بوارو ، فما رأيك ؟

ولم يرق للمفتش كروم أن يستطلع الدكتور طومبسون بوارو رأيه ، فقد كان يعتقد أنه هو وحده الحجة فى هذه الأمور ، وأجاب بوارو فقال :

- ان الامر يقع تماما كما قال المفتش كروم .

وقال الطبيب : هذه حالة من الجنون تعرف باسم الجنون الهذائى .

تحول بوارو إلى كروم وسأله : هل توصلت إلى حقائق هامة فى جريمة بكسهيل ؟

- لا شيء محدد فى الوقت الحاضر ، لقد تعرف شاب فى فندق سيلدريد بايستبورن على القتيلة من صورة لها نشرتها الصحف . أنها تناولت العشاء فى مساء يوم ٢٤ مع رجل متوسط العمر يلبس نظارة ، وتعرفوا عليها ايضا فى حانة أخرى تقع فى الطريق بين بكسهيل ولندن ذهبت اليها فى الساعة التاسعه مساء مع رجل له هيئة العسكريين البحريين ، ولا يمكن أن تكون الشهادتان صحيحتين ، ولكن احداهما تبدو محتملة على الأقل ، وقد جاءتنا رسائل كثيرة يزعم أصحابها أنهم رأوا القتيلة ، ولكن أغلبها غير واضح ... ولكننا لم نجد أى أثر لذلك المدعو أ.ب.ت .

قال مدير البوليس : انك بذلت كل جهدك يا كروم ، وانني اهنئك .

- ما رأيك يا مستر بوارو ؟ ... ألديك اقتراح آخر ؟

أجاب بوارو فى بطء : من رأيى أنه ما زالت هناك نقطة لابد من توضيحها وهى ... الدافع إلى القتل .

- لا ريب أنه يشكو من عقدة نقص هجائية . ما رأيك يا دكتور ؟

قال بوارو : لا ريب إن صاحبنا المجنون يشكو من عقدة نقص هجائية كما تقول ، ولكن لماذا يهتم بتتبع الحروف الهجائية . إن أى مجنون لا يرتكب جريمة قتل إلا سعيا وراء غاية معينة .

قال كروم : لا تنس ستونان يا مستر بوارو ... إنه حاول فى سنة ١٩٢٩ أن يتخلص من كل الذين تسببوا فى مضايقته .

نظر بوارو اليه وقال : لا يمكن اختيار أفضل من هذا التشبيه . إذا تصورت انك رجل هـام ، فانك ستحاول بكل الطرق تجنب المضايقات ... إذا حطت ذبابة على جبينك ، وأصرت على أن تكدر صفوك بطنينها فماذا تفعل ؟ .. انك تحاول أن تقتلها عندئذ دون أن يؤنبك ضميرك ... فأنت رجل هام ... والذبابة شىء تافه بالنسبة لك ، واذا أنت قتلت الذبابة انتهى عذابك ، وهذا عمل يبدو لك معقولا ، وينطوى على العدل والانصاف ... فان اهتمامك بصحتك يعطيك دافعاً لقتل الذبابة ، بكونها مصدر خطر للجميع ... ولهذا يجب أن تختفى . هكذا يعمل مخ القاتل ، ولكنه فى هذه الحالة التى نحن بصددها يقتل ضحاياه بترتيب الحروف الهجائية ولا يمكن أن نزعم بأن قتل هؤلاء الضحايا يزعجون القاتل أو يضايقونه وأنه يقتلهم لهذا السبب . ومن هذا ترى أنه لا يمكن أن تربط بين الدافعين .

قال الدكتور طومبسون : هذا صحيح اننى اتذكر أن رجلا ادين وحكم عليه بالاعدام ، وراحت ارملته تقتل المحلفين الواحد بعد الآخر ، وكان لابد من وقت طويل قبـل اكتشـاف الدافع الحقيقى لجرائم القتل المختلفة التى نسبناها فى حينها إلى الصدفة . ولا يمكن كما يقول مستر بوارو ، أن يقتل القاتل دون تمييز . إنه يتخلص من الناس الذين يضايقونه وهذا فيما بيننا سبب تافه ، أو يقتلهم عن اقتناع ، وبعضهم يشبعون انتقامهم من رجال الدين أو رجال البوليس أو البغايا ، لأنهم يعتقدون أنهم يجب أن يقتلوا لأنهم شؤم على المجتمع . ولكن هذه النظرية لا تنطبق

على حالتنا هذه فان مسز آشير وبيتى بارنارد لا تنتميان الى هذه الطبقة . قد يكون الأمر مجرد غيرة نفسية ، فأن القتيلتين امرأتان ... لا يمكن أن نتأكد من شىء بعد ، ولكننا قد نستطيع ، بعد ارتكاب الجريمة الثالثة ..

قال سير ليونيل محنقا : أرجوك يا طومبسون ، لا تتكلم بمثل هذا التهور عن الجريمة الثالثة : سنبذل كل ما فى وسعنا لكى نتجنب هذه الجريمة الثالثة .

سـكت الدكتور : وكان يبدو كأنه يقول : لا بأس . إذا كنت تفضل ألا تواجه الحقائق ...

وقال سير ليونيل يخاطب بوارو : انى ادرك ما تريد أن تهدف اليه ، ولكننى لم أفهم رأيك بعد .

أجاب بوارو : اننى اتساءل ماذا يدور فى رأس صاحبنا القاتل . إذا صدقنا ما جاء فى خطابه ، فانه يقتل بدافع الرياضة ولكى يلهو ، فهل هذا صحيح ؟ .. وإذا صح هذا ، وبغض النظر عن الحروف الهجائية ، فبأية قاعدة يختار ضحاياه ؟ .. إذا كان يقتل لكى يلهو فلماذا ينبهنا فى حين أن فى مقدوره أن يقتل دون أن يخشى أى عقاب ؟ ... كلا . انه يحاول اثارة الجمهور وتوطيد شخصيته ، ونحن جميعا نتفق فى هذا ... ولكـن ما هـو نوع الاضطهاد الذى لقيه لكى يقع اختياره على هاتين المرأتين ؟ . ثم هناك اقتراح أخير ... هل يقتل بدافع كراهيته الشخصية لى أنا هركيول ؟ ... وهل يتحدانى علانية لأننى ، فى وقت ما ، وأثناء القيام بعمل انتصرت عليـه دون أن أرى : أو يكون عداؤه عاما ولا يقصد فى شخصى إلا الأجنبى ... إذا صح هذا فما هو السبب الأصلى وما هو الضرر الذى لحقه من ذلك الأجنبى .

قال الطبيب : كل هذه الأسئلة تحملنا على التفكير :

تنحنح المفتش كروم وقال : هذا صحيح . ولكن من العسير الرد عليها فى الوقت الحالـى . قـال بوارو وهو يحدق فيه : ومـع ذلك فالحـل موجـود فـى هـذه الأسـئلة يا صديقى ... إذا عرفنا الدافع ، وهو دافع غريب فى نظرنا ، ولكنه معقول

فى نظـره هو ويدفعـه إلى جريمة القتل فربما استطعنا أن نعرف شخصية ضحيته المقبلة ... هز كروم رأسه وقال : انه يختارهم صدفة ... هذا رأيى .

قال بوارو : لو صح ما تقول فانه يكون قاتلا شهما .

- ماذا ؟

- أقول أنه قاتل شهم ، فقد كان فى امكاننا القبض على فرانز آشير بتهمة قتل زوجته وعلى دونالد فريزر بتهمة قتل بيتى بارنارد ... لولا تلك الخطابات التى أرسلها الى ممهورة بتوقيع أ.ب.ت.. أنه قاتل شهم كريم لم يشأ أن يدع غيره يعانى مكانه .

قال الدكتور طومبسون : اننى رأيت أغرب من هذا ... رأيت رجلا ، بعد أن قتل ستة رجال يتملكه الضعف أمام آلام إحدى ضحاياه ، ولم يكن قد مات على الفور اننى لا أعتقد أن قاتلنا يشعر بأى وخز للضمير . انه يريد أن يجنى شرفا ومجدا من جرائمه التى يرتكبها ... هذا هو التفسير المعقول .

قال سيرليونيل : لم يستقر رأينا حتى الآن ... هل ننشر الخطابات أ.ب.ت فى الجرائد أم لا ؟

قال كروم : إذا سمحت لى أن أبدى نصيحة ياسيدى ، فاننى أقترح أن ننتظر الخطاب التالى قبل أن نتصرف . سنقدم لصاحبنا أ.ب.ت. كل دعاية ممكنة عندئذ .... حتى إذا اضطرتنا الظروف لطبع ملاحق خاصة ... وسوف يتسبب هذا فى احداث ذعر فى البلدة نلقى القبض عليه متلبسا بجريمته .

ولكن لم يكن بمقدورنا أن نتصور ما يخبئة لنا القدر للأسف .

* * *

١٤

الخطاب الثالث

مازلت اذكر كيف جاء خطاب أ.ب.ت الثالث .

كنا قد اتخذنا كل الأحتياطات الضرورية لتجنب كل تأخير لا داعى له بمجرد أن يبدأ « أ.ب.ت. » نشاطه من جديد ، فندبت ادارة اسكوتلانديارد شرطيا ليرابط بالبيت فى حالة خروجنا أنا وبوارو لسبب ما . وكانت مهمته الأتصال باسكوتلانديارد تليفونيا فور وصول الخطاب .

ومضت الأيام ونحن لا نملك أن نفعل شيئاً إلا الأنتظار ، وازداد المفتش كروم المتحفظ ازدراء وهو يرى آماله تخيب الواحد بعد الأخر ، ولم تؤد الأوصاف المبهمة للأشخاص الذين شوهدوا مع بيتى بارنارد إلى أية نتيجة ، وتسببت الأبحاث الخاصة ، بالرجل الذى اشترى دلائل مواعيد القطارات فى مضايقات لكثير من الأبرياء .

أما أنا وبوارو فكنا كلما دق الساعى بمطرقته دقته العادية يزداد وجيب قلبينا ، أو هذا على الأقل ما كنت أشعر به ، ولا ريب أن بوارو كان يعانى نفس الحالة .

كانت القضية تزعجه كل الأزعاج ، وقد رفض مغادرة لندن ، لا لشىء الا لكى يكون فى الميدان عند الضرورة .

وجاءنا الخطاب الثالث من أ.ب.ت مساء يوم الجمعة فى بريد الساعة العاشرة .

فما أن سمعت خطوات الساعى الخفيفة ودقة المطرق على الباب حتى أسرعت إلي صندوق الخطابات ، وأخذت منه خمس أو ست رسائل ، وكان العنوان على الرسالة الأخيرة مكتوبا بحروف المطبعة فصحت أقول : بوارو !

ولم أستطع أن أنطق بالمزيد . وفهم بوارو على الفور فقال : هل معك الخطاب ؟ .. فضه ياهاستنجز . لا داعى لان نضيع لحظة واحدة .

ومزقت حافة المظروف ، وأخرجت منه ورقة مكتوبة بحروف المطبعة . وقال بوارو : اقرأ .

وقرأت فى صوت مسموع :

« مستر بوارو المسكين » .

اعترف أنك كفء . والواقع أنك تشيخ وتتقدم فى السن . ولكن دعنا نر كيف تفلح هذه المرة . إن المعضلة من أسهل ما يكون فى ٣٠ الجارى هيا ، ابذل مجهودا صغيراً ... أن اللعبة هينة وأنا الرابح فى كل مرة . صيد موفق المخلص دائماً .

أ.ب.ت

صحت وأنا أقلب صفحات الدليل :- تورستون ... أين تقع هذه البلدة ؟ قاطعنى بوارو يقول :- هاستنجز ... متى كتبت هذه الرسالة ؟ ... هل تحمل تاريخاً ؟

أجبت : نعم ٢٧ الجارى .

- وهل يقول أن الجريمة ستقع يوم ٣٠ ؟

- تماما ... أنتظر ... أننا اليوم .

- هاستنجز .. أن اليوم هو ٣٠ .

وأشار بأصبعه الى التقويم المعلق لصق الحائط . وتناولت صحيفة اليوم لكى أتحقق من التاريخ وقلت :

- هذا صحيح .

اسرع بوارو فالتقط المظروف الممزق الذى القيت به فوق الأرض كان العنوان بحروف المطبعة قد أثارنى ، ولكننى فى عجلتى لقراءة ما جاء بالخطاب نفسه لم أعلق غير أهمية عابرة على المظروف .

كان مسكن بوارو يقع فى حى وايت هافن مانشون ، أما العنوان المكتوب على المظروف فكان مستر هركيول بوارو بوايت هورس مانسون ، ورأيت على زاوية المظروف هذه العبارة « غير معروف فى وايت هورس مانشون وغير معروف في وايت هورس كورت . يرسل الى وايت هافن للأستفهام عنه » .

وتمتم بوارو يقول : يا الهى ! ... ايمكن أن يكون الحظ قد خدم هذا المجنون ؟ .. أسرع يا هاستنجز ... تكلم مع اسكوتلانديارد .

وبعد دقيقتين كنا نتحدث مع المفتش كروم فى نهاية الخط ، ولأول مرة لم يقل ذلك الرجل الرزين « آه ! .. هذا عجيب ! » وإنما اطلق سبة من بين شفتيه وبعد أن أصغى الينا اعاد السماعة ، ثم اتصل على الفور بمدينة تورستون .

وتأوه بوارو قائلاً : فات الأوان .

وقلت دون أى أمل : ربما لم يفت بعد .

ونظـــر الى ساعة المكتب وقال : العاشرة والثلث . مازال أمامنا ساعة واربعون دقيقة . هل تظن أن أ.ب.ت سيؤجل جريمته كل هذا الوقت .

وتناولت دليل أ.ب.ت الذى قلبت صفحاته منذ قليـــل وقـــرأت فيـــه ما يأتـــى : « تورستون بلدة صغيرة تعدادها ٦٥٦ نسمة وتقع فى الديفو نشاير على بعد ٣٢٦ كيلو مترا من لندن .

وقلت : إنها ليست أكثر من قرية .. لا يمكن أن يمر بها صاحبنا دون أن يفتضح أمره .

– وما المهم ؟ .. سيكون قد ارتكب جريمته . هل هناك قطارات ؟ .. أظن أننا يمكن أن نصل بالقطار اسرع من السيارة .

– هنـــاك قطار يقوم فى منتصف الليل ، ويصل الى نيوتن ابوت فى السادسة صباحا ، ومنها الى تورستون فى السابعة والنصف .

ورحت أضع بعض الثياب فى حقيبة صغيرة ، فى حين اتصل بوارو تليفونيا باسكوتلانديارد - وبعد أن ترنح سألنى فى قلق :

- ولكن ماذا تفعل ؟

- أننى اعد حقيبتك لكى نكسب بعض الوقت .

- أنك سريع الأنفعال ياهاستنجز .. تتأثر من أى شىء . أهكذا تضع الثياب بعضها فوق بعض أنظر فى أية حال أصبحت بيجامتي .

- يا الهى يا بوارو ... أتتحسر على حالة ثيابك ونحن أمام مسألة حياة أو موت ؟

- أى عزيزى هاستنجز ... أنك تفتقر الى روح الأعتدال .. أننا لا نستطيع أن نستقل هذا القطار قبل موعده بمدة كبيرة ، واتلافك لهذه الثياب لن يمنع وقوع الجريمة .

وأخذ منى الحقيبة فى قوة وحزم ، وراح يعيد ترتيب ثيابه .

وعندما وصلنا الى المحطة ، كان المفتش كروم هو اول من رأيناه ورد على نظرة بوارو المتسائلة قائلاً :

- لم تأتنا انباء حتى هذه اللحظة . إن رجالنا على اتم يقظة .

وقد نبهوا بالتليفون كل الأشخاص الذين يبدأ اسمهم بحرف التاء . ولا تزال أمامنا فرصة . أين الخطاب ؟

وناوله بوارو اياه . ففحصه كروم وهو يقول بين أسنانه : أنه رجل محظوظ والصدفة تخدمه .

قلت : ألا يمكن أن تكون الغلطة مقصودة ؟

أجاب كروم : كلا أن لهذا الرجل مبادئه . واعترف انها مبادىء سخيفة ، ولكنه يتبعها بكل دقة . أنه يرى أن من الشرف أن يحذر الناس قبل ارتكابه الجريمة ويتباهى بذلك . واراهن أنه معجب بويسكى وايت هورس .

قال بوارو وهو يتظاهر بالإعجاب : هذا عظيم .. كان يكتب خطابه وأمامه زجاجة

من الويسكى .

قال كروم : وهكذا وقع الخطأ . ويحدث لنا جميعاً أن نكتب دون وعى منا ما نراه أمام أعيننا . أن صاحبنا بدأ بكتابة وايت ثم أتبعها بكلمة هورس بدلا من هافن .

وقال المفتش انه سيستقل نفس القطار الذى سنسافر نحن به وأردف : وحتى اذا لم يقع شيء غير عادي متوقع ، فسنذهب الى تورستون لأن القاتل موجود بها الأن أو كان بها اليوم ، وأحد رجالنا يرابط أمام التليفون بأستمرار فى انتظار الأنباء .

وبينما كان القطار يغادر المحطة رأينا رجلاً يجرى فوق الرصيف ، واذ بلغ نافذة المفتش صاح ببضع كلمات .

وأسرعت انا وبوارو الى الطرقة وطرقنا باب المقصورة التى يجلس فيها المفتش وسأله بوارو : هل جاءتك أنباء ؟

أجاب كروم فى هدوء : نعم ، وهى أنباء سيئة فقد قتل سير توماس ترنت .

وعلى الرغم من أن سير توماس ترنت لم يكن من الشخصيات المعروفة لدى الجمهور ، الا أنه كان مشهوراً بعض الشيء فقد تخصص فى امراض الحنجرة ، وكان قد انقطع عن مزاولة مهنته منذ فترة بعد أن أصبح يتمتع بثروة تتيح له أن يعيش فى بحبوحة وأن يمارس هوايته المفضلة ، وهى جمع التحف والأوانى الخزفية والصينية التى اشتهرت بها الصين . وكان قد ورث منذ بضع سنوات ثروة كبيرة من عم له أتاحت له التوسع فى ممارسة هوايته . وكان متزوجا ، ولكنه لم ينجب أولاداً ، يقيم فى بيت بناه على شاطىء الديفون ، ولم يكن يختلف الى لندن الا لحضور المزادات الكبيرة .

وجاء موته بعد مقتل بارنارد الجميلة بقليل ، فأثار ضجة كبيرة فى الصحف ، ثم أننا كنا فى شهر اغسطس وهو شهر يتسم بالهدوء ، عادة ، فوجد الصحفيون فى هذه الجريمة مادة مثيرة لقرائهم .

وقال بوارو : على كل حال من الممكن أن تزودنا الدعاية بنتائج طيبة ما كنا لنصل اليها بدونها .

قلت : هذا ما يبحث هو عنه لسوء الحظ .

- نعم ولكن هذه الدعاية التى يهفو اليها هى التى تتسبب في ضياعه ، فسيشمله النجاح ، ويقدم على بعض الحماقات .. هذا ما اعتقده على الأقل .

وخطرت ببالى فكرة فقلت : بوارو ... أننا لنجد أنفسنا لأول مرة ازاء جريمة من هذا النوع ، فحتى اليوم كانت الجرائم التى تهمنا بها من نوع خاص إذا جاز لى القول .

هذا صحيح يا صديقى ... أننا أهتممنا دائماً بجرائم قتل كان للقتيل فيها أهمية كبيرة ، وكانت المسائل التى نهتم بها هى من الذي يستفيد من موته ، ومن الذى استطاع أن يرتكب الجريمة من بين الأشخاص الذين يحيطون به . كانت كلها جرائم قتل ذات طابع خاص ، أما اليوم ولأول مرة منذ أن اشتركنا معا فأننا نواجه جرائم قتل لا طابع لها ، ارتكبت بجرأة ولا نعرف لها أى دافع .

وتنهد وهز رأسه وقال :- يجب أن نضع حدا لهذه الجرائم بكل الوسائل ، وأن نعرف الحقيقة دون أى تأخير ، وطابت ليلتك هاستنجر .

أرجو أن تنعم بنوم هادىء الليلة فأن لدينا عملاً كثيراً غداً .

١٥

سير توماس ترنت

تورستون بلدة صغيرة تقع بين مدينتى بريكهام وبيجنتون ، فى آخر خليج توركاى ، ومنذ عشر سنوات لم تكن أكثر من أرض تستخدم فى لعب الجولف وسط ريف جميل ، تمتد حتى البحر وتضم مزرعتين ، ولكن شقت فيها فى السنوات الأخيرة شوارع جديدة تصل بينها وبين بيجنتون ، واقيمت على جانبيها بعض الأكواخ والبيوت

الصغيرة .

واشـترى سير توماس ترنت قطعة أرض مساحتها عشرة آلاف متر تشرف على البحر ، شيد فوقها بيتا صغيراً ، ألحق به جناحين يضمان نفائسه من التحف التى يجمعها .

وبلغنا الفيللا فى نحو الساعه الثامنة صباحا ، وكان أحد الشرطة المحليين قد انتظرنا على المحطة ، وأطلعنا على الوقت .

كان سير توماس يقوم فى كل ليلة بنزهة قصيرة فى القرية بعد تناول العشاء ، وعندما اتصل رجال البوليس بالبيت بعد الساعه الحادية عشرة بقليل لوحظ أن رب البيت لم يكن قد عاد بعد .

ولما كـان يمشـى فى العادة فى الطريـق العام فقد عثروا على جثتـه على الفـور وقد نتج المـوت عن ضربـة قوية أصابت قفاه بآلة ثقيلة جـداً ، وعثـروا بجوار الجثة على دليل لمواعيد القطارات طبعة أ.ب.ت مفتوحا عند حرف التاء .

وكما سبق لى القول بلغنا فيللا سير توماس المعروفة باسم « كومبان » فى نحو الساعة الثامنة صباحاً ، وفتح لنا الباب خادم مسن ترتعش يداه ، ويدل محياه على ما يعانى من انفعال . وقال له الشرطى :

- صباح الخير يا دفريك ... هؤلاء السادة من لندن .

- صباح الخير يا مستر ويلز .

وتقدمنا الخادم إلى غرفة الطعام ، وهى غرفة كبيرة أعد فيها طعام الأفطار وقال : سأدعو مستر فرانكلين .

وبعـد دقيقـة أو دقيقتين دخل فرانكلين ترنت ، الأخ الوحيد للقتيل وهو شاب أشقر ، طويل القامة ، ملوح الوجه من تأثير الشمس ، وكان بادى الهدوء ، يدل مظهره

على تعوده مواجهة الصعاب . وقال :

- صباح الخير أيها الساده :

وقال المفتش ويلز - اقدم لك المفتش كروم من اسكوتلاند يارد ومستر هركيول بوارو والكابتن هايتر .

قلت مصححا فى شىء من البرود : هاستنجز .

شد فرانكلين على ايدينا وهو يحدق فينا الواحد بعد الآخر ثم قال : هل لكم أن تتناولوا طعام الأفطار معى ؟ ... سنناقش الموقف أثناء الطعام .

لم يعترض أى منا ، وتناولنا طعاما لذيذا من البيض والجامبون والقهوة ، وتعرض فرانكلين ترنت للموضوع الذى يشغلنا فقال : روى لى المفتش ويلز أمس فى إيجاز ، أغرب ما يكون ... أن عند البعض منهم رغبة فى اثبات شخصيتهم وأثارة دهشة الجماهير ... جملة القول انهم يريدون أن يتميزوا عن غيرهم من سائر البشر .

سأل ترنت فى ذهول : هل هذا ممكن يا مستر بوارو ؟

وبدا أن هذا السؤال لم يرق للمفتش كروم لأنه قطب جبينه فى حين قال صديقى البلجيكى : نعم وقال ترنت فى تفكير : لن يستطيع القاتل تحدى رجال البوليس مدة طويلة على كل حال .

- هل تظن ذلك ... أن المجانين على جانب كبير من الدهاء والحكمة ولا يميزهم شىء فى السعادة عن سائر القوم ، وينتمون إلى هذه الطبقة التى لا تعلق عليها اية أهمية ، والتى نسخر منها فى بعض الأحيان .

قال كروم : ارجوك يا مستر ترنت ان تذكر لى بعض الحقائق .

- بكل سرور .

- يبدو أن أخاك كان يتمتع بصحة جيدة ، وأنه كان فى حالة ذهنية عادية ...

- الم تصله أية رسالة مزعجة ... الم يقلقه أى شىء ؟

- كلا ... كان كعادته .

- لم يكن يعانى من أية هموم أو مشاكل من أى نوع ؟

- لـم أقل هذا أيها المفتش ... كان أخى فى أوقاته العاديه كثير الهموم والمشاغل .

- كيف هذا ؟

- اظنك لا تعرف ان زوجة اخى ، الليدى ترنت ، مريضة جداً . انها ، فيما بيننا تعانى من مرض السرطان ، ولن تعمر طويلا . كان مرض زوجته يزعجه كثيراً ، وعندما عدت من الشرق رأيت أنها تبدلت كثيراً .

قال بوارو : مستر ترنت ، لنفرض ان اخاك وجد قتيلا بجوار الشاطيء ... أو أنهم عثروا على مسدس بجواره ... فما هى أول فكرة تطرأ لك ؟

أجابه ترنت : إذا أردت الحق كنت اعتقد أنه انتحر .

تنهد بوارو وقال / ثانية !

- ماذا تعنى ؟

- أن نفس الأمر يتكرر ، ولكنها نقطة ثانوية ... لنستمر .

قال كروم فى لهجة جافة : ليس الأمر انتحاراً على كل حال . مستر ترنت ، سمعت أن أخاك اعتاد أن يتمشى كل ليلة .

- نعم . كان يقوم بنزهة قصيرة .

- كل ليلة ؟

- نعم . إلا إذا أمطرت سيلا .

- هل يعرف كل من فى البيت هذه العادة ؟

- نعم .

– والناس الذين فى الخارج ؟

– لا أدرى من تعنى بالذات . ولكن البستانى كان يعرف على كل حال ، ويمكنك أن تسأله .

– وأهل القرية ؟

– إذا أردت الحق فنحن لا ندعو تورستون قرية . أن فيها مكتباً للبريد طبعا وعددا من البيوت ولكن ليس فيها أية محال .

– إذا أخذ مجهول يحوم بالبيت فهل يفطنون إلى أمره بسهولة ؟

– ابداً . فإن المنطقة تعج بالأجانب والغرباء فى شهر أغسطس ، ويأتى من بكسهام ومن ثوركاى وبيجبنتون مئات منهم كل يوم ، سواء بالسيارات الخاصة أو بالاتوبيسات أو سيرا على الأقدام . وشاطئا برود ساندس والبورى اللذان تراهما من هنا يختلف الناس اليهما لتمضيةأجازاتهم ، وهذا أمر مؤسف لو أنك عرفت الهدوء التام الذى تتمتع به القرية فى يونية وفى اوائل يولية .

– من رأيك اذن أن أحداً لن يفطن إلى وجود أى غريب فى المنطقة ؟

– نعم . إلا إذا بدت حركاته مريبة .

قال كروم فى توكيد : هذا الرجل ليس من الجنون كما يبدو . وأرجو أن تصدقنى يا سيدى . لا ريب أنه ظل يراقب المكان اياما ، ويتحقق من الساعة التى يخرج فيها اخوك كل ليلة . وبهذه المناسبة ، هل زاره رجل غريب نهار الأمس ، أو هل طلب أحد أن يقابل سير توماس ؟

– كلا ، بقدر ما أعلم .. سأسأل ديفريل .

وقرع الجرس . وألقى السؤال على ديفريل فأجاب هذا الأخير : كلا يا سيدى . لم يأت أحد لمقابلة سير توماس . لم أر أى غريب . يحوم بالبيت ، ولم ير الخدم أحد

كذلك ، لأننى سألتهم عن هذا .

وانتظر الخادم لحظة فقال فرانكلين : حسنا يا ديفريل . يمكنك الانصراف خرج ديفريل . وفيما هو يمر بعتبة الباب أفسح الطريق لفتاة نهض فرانكلين ترنت عندما رآها وقال :

- أيها السادة ... اقدم لكم مس جراى ، سكرتيرة اخى .

كانت مس جراى شقراء ، ذات عينين رماديتين وبشرة لها ذلك الشحوب الشفاف الذى تتمتع به السويديات أو النرويجيات وكانت فى نحو السابعة والعشرين ، يبدو عليها مخائل الذكاء . وقالت وهى تجلس إلى المائدة :

- هل استطيع تقديم أية خدمة ؟

أعطاها ترنت فنجانا من القهوة ، ولكنها أبت أن تتناول أى شىء آخر وسألها كـروم :

- هل كنت تشرفين على مراسلات سير توماس ؟

- نعم .

- هل جاءته رسالة من أ.ب.ت ؟

هزت رأسها وقالت : أ.ب.ت . كلا . لم تأته أية رسالة بهذا الاسم .

- كلا . لم يشر إلى أى شىء من هذا النوع .

- وانت نفسك ؟ ... ألم نلتق بأى أحد على مقربة من البيت ؟

- هناك اشخاص كثيرون فى هذا الوقت من السنة يمرون دون هدف بأرض الجولف وبالطرقات المؤدية إلى الشاطىء . ويمكن القول بأنهم كلهم غرباء عن البلد .

واراد المفتش أن يتتبع خطوة خطوة الطريق الذى كان سير ترنت يتخذه كل ليلة ، فخرج هو وفرانكلين ترنت من النافذة الكبيرة وخرجنا معه ورافقتنا مس جراى ومشيت أنا وهى فى المؤخرة تقريباً وقلت لها : لا ريب أنك أحسست بانفعال كبير أمس ؟

- لم أستطع أن أصدق الأمر . كنت قد أويت إلى فراشى عندما اتصل البوليس تليفونيا وسمعت أصواتاً تحت فنهضت أخيراً وسألت عما يحدث . وكان ديفريل ومستر ترنت يهمان بالخروج ومع كل منهما مصباح كهربى .

- فى أية ساعة كان سير ترنت يعود من نزهته عادة .

- فى نحو العاشرة إلا الربع . كان يعود إلى البيت من الباب الجانبى ويصعد إلى غرفة نومه ، أو يقضى فتره فى الجناح الذى يضم مجموعته . ولو أن البوليس لم يتصل بنا لما تحققنا من اختفائه إلا فى صباح اليوم ، حين يذهب ديفريك لا يقاظه .

- يالها من صدمه عنيفه بالنسبة لزوجته .

- أن الليدى ترنت تقضى وقتها كله تقريبا تحت تأثير المورفين - ولا أظن أنها تدرى بما يدور حولها .

وبعد أن اجتزنا باب الحديقة ، وعبرنا أرض الجولف تسلقنا سوراً منخفضاً وهبطنا إلى طريق ضيق متعرج .

وفى نهاية هذا الطريق أخذنا طريقا آخر تحوطه الاشواك والأعشاب وبلغنا فجأة ربوه عالية تشرف على البحر ، ويحيط بها رمل ناصع البياض ، وتكسوها أشجار ذات أغصان داكنة ، وكان لهذا التباين العجيب بين بياض الرمل وخضرة الأشجار الداكنة وزرقة البحر تأثير مدهش ، وصحت : ما أجمله من منظر .

وعلى الفور تحول ترنت إلى وقال : أليس كذلك ؟ .. أننى اتساءل لماذا يذهب الناس إلـى الخارج ... إلى الريفييرا وعندهم المكان الجميل ، أننى تنقلت فى بلاد العالم أجمع ، واستطيع أن أقول بكل اخلاص أننى لم أجد أماكن أجمل من هذه أبداً .

وكأنه أحس بالخجل لاهتمامه بالطبيعة فى مثل هذه الظروف فاستطرد يقول فى هدوء .

- هذا هو الطريق الذى كان أخى يتخذه فى نزهته كل ليلة . كان يأتى حتى هذا

المكان ، ثم يصعد الربوه ، ويدور إلى اليمين بدلا من اليسار ، ويمضى إلى المزرعة ثم يعود إلى البيت من الخلف .

واستأنفنا طريقنا ، وفى الحقول ، بعد أن عبرنا سياجا ، أرانا ترنت المكان الذى عثروا فيه على جثة سير توماس . وقال كروم :

- الأمـر بسيط . كان الرجل يختفى فى الظل ، وقد فاجأ أخاك وضربه دون أن يراه .

اطلقت مس جراى صيحة وقال فرانكلين ترنت : اهدئى يا تورا .. إن هذه الجريمة بشعة جداً ... ولكن يجب أن نواجه الحقائق .

تورا جراى ! .. كان هذا الاسم يناسبها تماما .

وعـدنا إلى البيـت ، حيـث نقلت الجثة بعد إن التقطت لها مختلف الصور . وكنـا نصعد السلم عندما خرج الطبيب وبيده حقيبة سوداء من احدى الغرف فسأله فرانكلين :

- حسنا يا دكتور ؟

هز الطبيب راسه وقال : هذه حاله من ابسط الحالات . أننى احتفظ بالنقاط الفنية لجلسـة التحقيق ، ولكننى أستطيع أن أؤكد لكم الآن أنه لم يتألم وأن الموت كان سريعاً .

وابتعد وهو يقول : سأذهب الآن لمقابلة الليدى . ترنت .

وخرجت ممرضة من غرفة أخرى لحق بها الطبيب ، ودخلنا الغرفة التى خرج منها هذا الأخير . لكننى خرجت منها على الفور . وكانت تورا جراى قد بقيت فى أعلى السلم فقلت لها :

- مس جراى ... ماذا بك ؟

نظرت إلى وقالت : كنت أفكر فى ث ...

- فى ث ؟ .

ولم أفهم فقالت : نعم . أعنى الجريمة المقبلة ... يجب أن نمنعه من ارتكابها بأية وسيلة .

وخرج ترنت فى هذه اللحظة وقال : تمنعين ماذا يا تورا ؟

- هذه الجرائم البشعة .

- أننى معك فى هذا .

وكشر عن أنيابه وقال : سأذكر كلمة لمستر بوارو ... قل لى ياهاستنجز ... هل يعرف كروم مهنته ؟

بدا لى هذا السؤال غريباً ، وأجبته بأن المعروف أن كروم من اكفأ رجال البوليس ، ولكن لا ريب أن صوتى لم يكن مقنعاً بما فيه الكفاية لأن ترنت قال :

- ولكن طريقته المستبدة المتحكمة لا تروق لى أبداً . لكأنه يعرف كل شىء ... وأن كنت لم أره حتى الآن يعرف أكثر مما نعرف نحن .

وسكت لحظة ثم استطرد : أن مستر بوارو الرجل الذى احتاج إليه . سأقدم له المبلغ الذى يطلبه . سوف تعود إلى هذه النقطة .

ومشى فى الدهليز ، ودخل من الباب الذى دخل منه الطبيب . ووقفت متردداً بضع لحظات ، فقد كانت الفتاة تحدق أمامها . وقلت :

- فيم تفكرين يا آنسة ؟

ادارت عينيها إلى وقالت : أننى اتسأل أين هو الأن .. اعنى القاتل لم تمر على جريمته أكثر من اثنتى عشرة ساعة ... اوه ، أليس هناك أى وسيط يمكن أن يخبرنا عن المكان الذى يوجد به الآن ... وعم تراه يفعل ؟

قلت : أن البوليس فى أعقابه .

وأعادتها كلماتى إلى الواقع ، فتمالكت وقالت : آه . نعم . هذا صحيح ...

وهبطت السلم ، وبقيت أنا مكانى أعيد كلماتها : اين يوجد « أ.ب.ت » فى هذه اللحظة ؟ .

١٦

هذا الفصل لا ينتمى إلى مذكرات الكابتن هاستنجز

خرج مستر الكسندر بونابرت تاست مع غيره من المشاهدين من سينما توركانى بالأديوم بعد أن شاهد فيلما مثيراً بعنوان « الطيور » .

ورمش بعينه أمام أشعة الشمس ، وأخذ يردد البصر حوله فى شرود وشبه ضياع ، وتمتم يقول : آه ... فكرة !

ومر به بعض باعة الصحف فى هذه اللحظة وهم يصيحون : اقرأ جريمة تورستون .. آخر الأنباء !

وبحث تاست عن قطعة نقود فى جيبه ، واشترى صحيفة لم ينشرها على الفور ، وإنما مضى فى طريقه ، ودخل حديقة عامة ، ومشى فى خطوات بطيئة حتى بلغ ركنا يرى منه ميناء توركاى ، فجلس ونشر الصحيفة ، وقرأ عناوينها الكبيرة .

مقتل سير توماس ترنت

مأساة تورستون الفظيعة

جرائم مجنون

وتحت هذه العناوين :

« عم السخط جميع انحاء انجلترامنذ شهر تقريبا على أثر مقتل فتاة تدعى بيتى بارنارد من أهالى بكسهيل ، ولعل القراء يذكرون أن البوليس عثر بجوار جثتها على دليل لمواعيد القطارات طبعة أ . ب. ت ، وقد عثروا على دليل آخر من هذا النوع بجوار جثة سير توماس ترنت . ويشتبه البوليس فى أن الجريمتين قد ارتكبهما شخص واحد ، فهل يمكن أن يكون ذلك الشخص مخبولا ينتقل من مدينة لأخرى على الساحل الإنجليزى ؟ » .

وأقبل شاب يرتدى بنطلونا من الفانلا وقميصا أزرق ، وجلس بجوار مستر تاست وقال : هذه جريمة بغيضة ، اليس كذلك ؟

أجفل مستر تاست وقال : طبعا ، .. نعم .

وارتجفت يداه .

ولحظ الشاب أن الرجل يمسك الصحيفة بكل مشقة وقال : لا يدرى أحد ما يمكن أن يقع من هؤلاء المجانين ، وخاصة وأن لا شىء يميزهم عن غيرهم .

فهم مثلى ومثلك .

قال مستر تاست :- يجوز .

- بل هذه هى الحقيقة . أن الحرب قد اصابتهم بلوثة ، ولم يستردوا عقلهم أبداً .

- لعلك على صواب .

قال الشاب : أننى لست من أنصار الحروب أبداً .

تحول مستر تاست إليه وقال :- وأنا لا أحب الطاعون ولا المجاعة ولا السرطان ، ولكن لابد لنا من معاناتها على كل حال .

وأجاب الشاب فى توكيد :- فى الأمكان تجنب الحروب .

راح مستر تاست يضحك . . وكانت ضحكة غريبة طويلة . وقال الشاب لنفسه وقد بدأ الخوف يتملكه :- هذا رجل مجنون .

وقال فى صوت مرتفع :- أرجو أن تلتمس العذر لفضولى . ولكن لا ريب أنك اشتركت فى الحرب .

- نعم يا سيدى ... وقد أصابنى منها مس تقريبا ... ومنذ ذلك الوقت ورأسى تؤلمنى . أشد الألم .

وتمتم الشاب :- أننى أرثى لك .

- ولا أدرى فى بعض الأحيان ماذا افعل .

- حقا ؟ ... الى الملتقى يا سيدى ... يجب أن أذهب الآن .

ونهض وأسرع بالأبتعاد . كان يفر بالغريزة من الناس الذين يبدأون بالحديث عن أمراضهم.

وبقى مستر تاست جالسا فى المقعد والصحيفة فى يده .

وراح يقرأ المقال مرة وأخرى وثالثة .

وكان الناس يروحون ويغدون حوله ، وأغلبهم يتكلمون عن الجريمة .

- هذا فظيع ... ألا يمكن أن يكون الصينى هو القاتل ؟ .. الم تشتغل الجرسونه فى مطعم صينى ؟

- الآن بالذات ، على أرض الجولف .

- لا ريب أن البوليس سيلقى القبض عليه ... سيقبضون عليه حتما ما بين لحظة وأخرى .

طوى مستر تاست الصحيفة والقاها فوق المقعد .ثم نهض وسار نحو المدينة فى خطوات بطيئة .

والتقى فى طريقه ببعض الفتيات ، وكن يضحكن ويتبادلن النكات ، ومررن به

دون أن تهتم احداهن به .

أما مستر تاست فقد مضى إلى مشرب ، وطلب كوبا من الشاى .

١٧

البوليس يتخبط

شغل الغموض الذى أحاط بجرائم أ . ب . ت مكانا كثيراً من الصحف على اثر مقتل سير توماس ترنت .

فقد امتلأت أعمدة الصحف بأخبارها ، وراحت كلها تقول أن رجال البوليس يتتبعون آثاراً عديدة ، وتعلن أنهم سيلقون القبض على القاتل وشيكا وأخذت تنشر الأحاديث المختلفة وكذلك صورة كل من يزعم أنه يعرف شيئاً عن الجريمة ، إلى حد أن أحد أعضاء البرلمان القى سؤالا عنها فى البرلمان .

ولم تلبث ان ربطت الصحف بين جريمة اندروفر والجريمتين الأخيرتين وكان من رأى اسكوتلانديارد أنه كلما زادت دعاية الجرائد بهذه القضية أزدادت الفرصة فى الأهتداء الى القاتل . وتحول أهالى بريطانيا العظمى جميعا الى جيش من المخبرين الهواه .

وصدرت أحدى الصحف وبها عنوان ضخم يقول :

« لعل القاتل يتنزه فى مدينتك » .

وأفاضت كلها فى الحديث عن بوارو ، وعن الخطابات التى ارسلها اليه أ . ب . ت . نشرت صورة لكل منها . واوسعته بعضها سبا لأنه لم يستطع أن يتحاشى الجرائم قبل وقوعها ، ودعت له الصحف الأخرى متمنية له أن يهتدى الى القاتل .

ولم يتركه الصحفيون وشأنه وظلوا يلاحقونه بمقالاتهم وعناوينهم بيان لمستر بوارو .

مستر بوارو يدلى لنا بوجهة نظره فى القضية .

مستر بوارو على أبواب النجاح

الكابتن هاستنجز صديق مستر بوارو الحميم يقول لمراسلنا الخاص .

ويلى ذلك عمود كبير من الهذر والكلام الفارغ الذى لا معنى له .

وكنت أقول وأنا أقرأ ذلك الهذر :- بوارو .. صدقنى أننى لم اتفوه ابداً بمثل هذه الأقوال .

وكان صديقى يرد على دائماً فى رفق ويقول : أننى أعرف ذلك يا هاستنجز هناك هوة بين ما يقال وما يراد منك أن تقول . وهم يستخدمون طريقة معينة فى تأويل العبارات بغير معناها الأصلى تماماً .

- ولكننى لا أريد أن تظن أبداً ...

لا تقلق يا هاستنجز ... كل هذا لا أهمية له .. بل أن كل هذا الهذر قد يخدم أغراضنا .

وكيف هذا ؟

لو أن صاحبنا المجنون قرأ اعترافاتى المزعومة لهذه الصحف فسيبنى لنفسه رأيا تافها عنى .

ولا أريد أن يتصور القارىء أن البوليس كان يقف أثناء ذلك مكتوف الأيدى ، أنما كانت ادارة اسكوتلانديارد والبوليس المحلى على العكس من ذلك مرهقين بالعمل ، ويتتبعون أتفه الأثار التى تعرض لهم .

فقد استجوبوا أصحاب الفنادق وأصحاب الغرف المفروشة والبنسيونات استجوابا دقيقا وتحققوا من مئات القصص عن أشخاص واسعى الخيال رأوا رجلا يحملق بعينه بطريقة عجيبة ، أو شاهدوا شخصا له سنة مشئومة وحركات مريبة ، وقاموا بتحرياتهم

فى القطارات والأوتوبيسات والتراموايات والمكتبات الخاصة وكذلك العامة ولم يتركوا صغيرة أو كبيرة إلا تحققوا منها .

والقوا أخيرا القبض على عشرين مشبوها وابقوهم فى الحبس حتى تأكدوا من وجودهم فى اماكن مختلفة فى الوقت الذى ارتكبت فيه جرائم القتل .

ولم تذهب نتيجة كل هذه التحريات سدى ، فقد تحروا بعض هذه الأقوال وتحققوا من صحتها فيما بعد .

واذا كان كروم وزملاؤه لم يتركوا كبيرة أو صغيرة إلا وفحصوها فحصا دقيقاً فقد بدالى بوارو كسولا جداً . وحاولت أن أنفض عنه هذا الخمول فقال لى :

- ماذا تريد منى أن أفعل يا صديقى ؟ ... أن أقوم بالتحريات العادية ؟ .. أن البوليس يقوم بها أفضل منى .

- ولكنك فى أثناء ذلك لا تتحرك من البيت أبداً كما يفعل ..

- كما يفعل الرجل العاقل ... أن قوتى ياهاستنجز تكمن فى خلايا مخى لا تكمن فى قدمى ، واذا كنت ترانى لا أبدى حراكا فذلك لأننى افكر .

- تفكر ؟ .. ولكن الوقت لا يصلح للتفكير .. ثم فيم ينفعك ذلك ؟ ... أنك تعرف كل شىء عن الجرائم الثلاث .

- أننى لا أفكر فى الأحداث وانما فى عقلية القاتل ...

- عقلية معتوه ؟

- تماماً ، وهو ليس بالأمر الهين كما تظن . عندما أكون لنفسى صورة كاملة عن القاتل سأكتشف شخصيته عندئذ . أننى أعلم عنه المزيد كل يوم . ماذا كنا نعرف عنه بعد جريمة اندوفر ؟ .. أقل من لا شىء ... وبعد جريمة بكسهيل ؟ ... أكثر قليلا . وبعد جريمة تورستون ؟ .. بعض الشىء أننى بدأت أرى صورة له . لا كما تتمناها أنت يا صديقى ... هيئة جسد ووجه .. ولكن حدود عقل ... عقل يتحرك ويتجه فى

ناحية معينة .. وبعد الجريمة التالية ...

- بوارو ...

تأملنى بوارو فى هدوء وقال : نعم يا هاستنجز اكاد أكون واثقا أن جريمة جديدة فى سبيل الأعداد . وكل شيء رهن الصدفة ويبدو أنها خدمت صاحبنا المجهول حتى الآن . وقد تتخلى عنه هذه المرة . ومهما يكن فسنعرف عنه الكثير بعد الجريمة التالية . إن الجريمة تكشف عن صاحبها بطريقة مذهلة . يمكنك أن تغير طريقتك فى الحياة ولكن تصرفاتك وطباعك لن تلبث أن تفضحك . قد تبدو التصرفات احياناً ، كما لو أن عقلين يوجهان الإرادة ولكن لن يلبث أن يتضح كل شيء ... وسأعرف ...

- اسم الجانى ؟ ...

- كلا يا هاستنجز ... لن أستطيع أن أذكر اسم القاتل أو عنوانه ، ولكننى سأستطيع أن أعرف أى نوع من الأشخاص اتعامل معه .

- وعندئذ ؟

- عندئذ سأخرج الى الصيد ؟

وازاء الدهشة التى ارتسمت فى عينى استطرد بوارو يقول : أن الصياد الماهر يعرف أى طعم يجب عليه استخدامه لكل نوع من أنواع السمك . وأنا الأخر سأقدم لصاحبنا الطعم المناسب .

- ويموت الناس فى انتظار ذلك ؟

- لم يمت غير ثلاثة أشخاص ... فى حين يموت كل اسبوع أكثرمن مائتى قتيل فى حوادث السيارات .

- أنك تغير الموضوع .

أن النتيجة واحدة للذين يخطفهم الموت ، ولكن الأمر يختلف مع الأهل والأصدقاء . والشيء الذى يسرنى فى هذه القضية هو أنه ليس هناك ظل من الشك

يحوم حول الأبرياء .

– هل تظن ذلك ؟

بل أننى على يقين منه . فعندما تقع جريمة فى إحدى الأسر فليس هناك أنفع من الشك الذى يتولد عندئذ ... فالجميع يراقبونك ، وترى الحب فى عيون أهلك يتبدل إلى رعب ... أنه سم فظيع ولكن هناك يمكن أن نلوم صاحبنا أ . ب . ت على أنه سم حياة برىء .

قلت فى بهجة مريرة : لن تلبث أن تجد مبررات جرائم هذا الرجل .

– ولم لا .. سأطلعك على أمر الأن قد تجد فيه ما يسرك فقد استقر الرأى على أن نسلك فى هذه القضية طريقة فعالة تستند الى كثير من المحادثات أكثر منها الى التفكير .

قلت فى شىء من الشك ماذا تعنى ؟

– أعنى أن نحمل أهل الضحايا وأصدقاءهم على الحديث .

– هل تشك فى أنهم يخفون شيئا من الحقيقة ؟

– ليس عن عمد . ولكن اذا سرد المرء كل ما يعرفه فقد يتذكر شيئاً لم يكن قد فطن إليه ، فاننى اذا سألتك كيف قضيت يوم الأمس ، فلا شك أنك سترد على وتقول : صحوت فى الساعه التاسعة ، وفى التاسعة والنصف تناولت طعام الأفطار ثم ذهبت بعد ذلك الى النادى وهكذا ... ولكنك لن تقول لى بالطبع « وقد انكسر ظفرى واضطررت الى تقليمه ، ودققت الجرس لكى يأتوا بماء ساخن ، وانسكبت القهوة فوق المفرش ، ونفضت قبعتى قبل أن اضعها فوق رأسى » ... لا يمكن أن يقول المرء كل شىء ولكنه يختار ما يراه مناسبا واذا ما

وقعت جريمة قتل فإن المرء لا يذكر الا ما يعتقد أنه مهم وكثيراً ما يخطىء .

- وكيف تعرف الحقائق الجوهرية ؟

- من الحديث بمناقشة هذا الحدث أوذاك . وبالحديث مع شخص ما ، ومراجعة ما صدر منه من افعال فى يوم معين . .. أن بعض النقاط تعود الى الذاكرة بطريقة ذاتية .

- أى نوع من النقاط ؟

- لو أننى كنت أعرف لما اهتممت . ومع ذلك فقد انقضى ما يكفى من الوقت لكى تتشكل الأمور وتظهر قيمتها . إذا لم تأت واقعة بسيطة أو عبارة تافهة فى هذه الجرائم الثلاث وتلقى الضوء على شخصية الجانى فأننا لنشك عندئذ فى قواعد الحساب كلها .

نقطة تافهة ، أو ملاحظة عابرة يمكن أن تهدينا فى ابحاثنا واعترف لك أن عملنا هذا يبدو وكأننا نبحث عن دبوس فى كومة من التبن ... ولكن الدبوس موجود فيها وأنا واثق من هذا وناولنى خطابا مكتوباً بخط دقيق واضح هذا نصه .

« سيدى العزيز » .

أرجو أن تلتمس لى العذر إذ أكتب اليك ، ولكن منذ أن وقعت هاتان الجريمتان الشبيهتان بمقتل خالتى المسكينة قد فكرت طويلا أننا جميعا كما يبدو لا نعرف القاتل . وقد رأيت فى احدى الصحف صورة لأخت قتيلة بكسهيل المسكينة ورأيت أن أكتب اليها لكى اخبرها أننى سالحق بالعمل فى لندن ، وانها اذا وافقت على هذا فأننى أقبل أن التحق بخدمتها هى أو أمها طواعية وانا لا أطلب أجراً كبيراً وانما أريد على وجه الخصوص أن أكتشف هذا القاتل الوغد ورأيت أننا إذا وحدنا جهودنا وافكارنا فقد نصل إلى نتيجة .

وقد ردت على الفتاة ردا جميلا ، وقالت انها تعمل فى مكتب وانها تقيم فى فندق ولكنها نصحتنى أن اكتب اليك واردفت تقول أنه خطر ببالها نفس الفكرة هى الأخرى وأنه مادمنا نعانى من نفس الأمر ، فيجب أن نتحد وأن نتعاون ولهذا اكتب اليك واذكر لك عنوانى ، ارجو ألا أتسبب فى أى ازعاج لك ومازلت .

« المخلصة مارى درويز »

وقال بوارو « أن مارى درويز فتاة ذكية .

وناولنى رسالة أخرى وقال : اقرأ هذه .

وكانت من فرانكلين ترنت يقول فيها أنه قادم إلى لندن ويبدى رغبة فى لقاء بوارو صباح الغد اذا لم يكن أى مانع .

وقال بوارو : لا تيأس يا صديقى ... سوف يبدأ العمل .

١٨

بوارو يلقى محاضرة

جاء فرانكلين ترنت فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالى . ومضى الى الغرض من زيارته رأساً فقال :

- مستر بوارو ... اننى شديد الاستياء .

- لماذا يا مستر ترنت ؟

- لست أشك فى كفاءة كروم ، ولكنه يثير حنقى اذا أردت الصراحة ، فهو يزعم أنه يعرف كل شىء ، وقد قلت كلمة لصديقك ونحن فى تورتون فى هذا الصدد ،

ولكننى اضطررت بعد ذلك الى النظر في أعمال أخى ، ولم استطع أن أتحرر قبل اليوم . لا يمكن أن نقف هكذا مكتوفى الأيدى يا مستر بوارو ... يجب أن نفعل شيئاً .

- هكذا يقول هاستنجز .

- لابد أن نتخذ خطوة لكى نستعد للجريمة التالية .

اذن فأنت تتوقع جريمة أخرى ؟

وأنت ؟ .. ألا تتوقع ذلك ؟

- طبعاً .

- يجب أن ننظم أمورنا إذن .

ماذا تعنى ؟

اننى أقترح تكوين رابطة تضم أصدقاء الضحايا وأهلهم تعمل تحت إشرافك .

- هذه فكرة رائعة .

- يسرنى أنك توافقنى على ذلك . إننا إذ نوحد جهودنا نصل إلى نتيجة ما فى ذلك شك ، وبمجرد أن يصل اليك الانذار التالى سنذهب الى المكان الذى سيذكره صاحبنا هذا ، ثم أن أحدنا قد يستطيع ، وأنا لا أؤكد شيئاً ، أن يتعرف على شخص سبق أن رآه مثلاً على مقربة من مسرح احدى الجرائم السابقة .

- إننى أفهم نظريتك تماماً ، ولكن اسمح لى أن أقول لك يا مستر ترنت أن أهل وأصدقاء القتيلين ينتمون الى طبقة أخرى تختلف عن طبقتك كل الاختلاف ، منهم موظفون واذا أخذوا أجازة ...

- إنك على حق ... أنا الوحيد الذى أستطيع مواجهة النفقات وليس ذلك لأننى

ثرى بصفة خاصة ، ولكن أخى ترك ثروة طائلة يجب أن تؤدى الى وكما قلت لى فإننى أرى أن أجند أهل القتلى وأصدقاءهم على أن أعوضهم نظير خدماتهم بما يعادل مرتب شهر لكل منهم ، بالإضافة الى ما قد يتحملونه من نفقات .

- ومن هم الذين تنوى أن تجندهم ؟

- إننى فكرت فى الأمور ، وكتبت الى الآنسة ميجان بارنارد ... والواقع أن الفكرة نبعث منها هى . ، ولهذا أقترح أن تكون الرابطة مكونة منى أنا ومن آنسة بارنارد ودونالدفريزر ، خطيب الفتاة القتيلة . ثم هناك ابنة أخت قتيلة أندوفر ، والآنسة بارنارد تعرف عنوانها ، ولا أظن أن زوجها سيفيدنا فى شىء فقد سمعت أنه سكير . أما عن أبوى بيتى بارنارد فهما متقدمان فى السن .

- ومن غير هؤلاء ؟

- حسناً ... الآنسة توراجراى .

واضطرم وجهه بعض الشىء وهو ينطق باسم الفتاة .

وليس هناك من هو أقدر من بوارو فى تكييف صوته بحيث يكسب كلماته لمسة من السخرية عندما يريد ... وعلى الرغم من أن فرانكلين ترنت كان قد تجاوز الخامسة والثلاثين الا أنه بدأ عندئذ كما لو كان لا يزال طالباً صغيراً .

- نعم ... وقد كانت الآنسة جراى سكرتيرة أخى منذ أكثر من سنتين ، وهى تعرف البلد والنواحى والأهالى ، فى حين أننى قضيت بعيداً عنها أكثر من سنة ونصف .

رثى بوارو له بحيث غير مجرى الحديث وقال :- هل كنت فى الشرق ؟ .. فى الصين ؟

- نعم . فقد كلفنى أخى بالبحث عن بعض التحف النادرة .

- لا ريب أن هذه المهمة كانت على جانب كبير من الأهمية . حسناً يا مستر ترنت . اننى أجند فرقتك هذه . كنت أقول لهاستنجز أمس بالذات أنه لابدَّ من تكوين رابطة

من الذين يهمهم الأمر للمناقشة واستعادة الذكريات .. والتحدث ... فقد ينبثق النور فجأة من بعض الكلمات التى قد تبدو لنا سخيفة .

وبعد بضعة أيام أجتمعت الفرقة الخاصة .. فى مسكن بوارو جلس كل من أعضاء الفرقة فى هدوء حول المكتب ، وراحوا ينظرون إلى بوارو وكان قد تصدر المجلس كما يفعل رئيس مجلس الادارة وانتهزت هذه الفرصة لكى استعرضهم وأتأكد من الانطباعات التى تركوها فى نفسى كان لكل من الفتيات الثلاث شخصيتها وسمتها الخاصـــة .. توراجراى بجمالها الأشقر الأخاذ ، وميجان بارنارد السمراء بتعبيراتها الهادئة ، ومارى درووير بثوبها البسيط الأسود وملامحها الرقيقة الذكية ، أما الرجلان فقد كان التباين بينهما كبيراً ... فرانكلين ترنت ببشرته الملوحة وكتفيه العريضين وصوته المرتفع ، ودونالد فريزر الخجول المتواضع والعزوف عن الكلام .

ولم يستطع بوارو مقاومة الاغراء ، فلم يتحرك لهذه المهمة دون أن يلقى محاضرة قصيرة فقال :

سيداتى سادتى . انكم تعرفون لماذا نجتمع هنا الآن . أن البوليس يبذل جهده فى سبيل العثور على القاتل ، وأنا كذلك .. على طريقتى ، وهى تختلف عنهم فى بعض الشىء . ولكن يجب على الذين لهم مصلحة خاصة فى هذه القضية وعلى أهل الضحايا كذلك أن يصلوا الى نتائج أفضل .

« نحن أمام ثلاث جرائم : مقتل امرأة عجوز ، وفتاة شابة ، ورجل فى منتصف العمر ، والصلة الوحيدة التى تربط بين هذه الجرائم هى أن الذى ارتكبها شخص واحد ، وبمعنى آخر أن القاتل أقام فى تلك الأماكن الثلاثة ، ورآه البعض بالتأكيد . أن القاتل مجنون وليس هناك أى شك فى هذا ، ولكن فى إستطاعتنا أن نؤكد الى جانب هذا أنه لا شىء فى مظهره الخارجى ولا فى تصرفاته العادية يدل على أنه مجنون وهذا القاتل يحتمل أن يكون رجلاً كما يحتمل أن يكون امرأة ، وسواء كان رجلاً أو امراة ، فهو

يتمتع بذكاء ودهاء كبيرين ، وقد أفلح حتى الآن فى تضليل كل الأبحاث ولدى رجال البوليس معلومات مهمة ولكنهم لم يكتشفوا حتى الآن ما يمكنهم من الاهتداء إليه .

« ومع ذلك فهناك نقاط محددة ... مثال ذلك أن القاتل لم يصل الى بكسهيل فى منتصف الليل ، ولم يجد على الشاطىء فتاة يبدأ اسمها بحرف الباء فى انتظاره .

– هل لابد من العودة الى هذا الموضوع ؟

ألقى دونالد فريزر هذا السؤال .. كأنه انتزع الكلمات من بين شفتيه انتزاعاً . وقال بوارو وهو يتحول إليه .

– نعم يا سيدى . من الضرورى التحرى من كل النقاط . أنك هنا لا لكى نجاملك بأن نرفض مناقشة التفاصيل ، وإنما نحن هنا نعذب قلبك ، إذا اقتضى الأمر ، حتى تتقصى الحقائق . وكما قلت فإن الصدفة وحدها لن تضع بيتى برنارد فى طريق أ . ب . ت ، ولكن هذا الأخير وقع اختياره عليها بعد بحث طويل ، ومعنى هذا أنه كان هناك تعمد وسبق اصرار ، وأنه تعين عليه استكشاف المكان والتأكد من بعض النقاط .... مثال ذلك الساعة المناسبة لقتل المرأة العجوز فى أندوفر ، والاعداد لقتل بيتى ، ومعرفة عادات سير توماس ترنت فى تورستون ، وأنا نفسى مقتنع أننا بقليل من الارادة لن نلبث أن نكتشف المعلومات التى تساعدنا فى معرفة شخصيته .

ولدى احساس بأن بعضا منكم ، أن لم تكونوا انتم الخمسة جميعكم تعرفون أشياء هامة ، دون أى وعى منكم . وان هذه الأشياء سوف تخرج من الظل وتعود إلى اذهانكم وتتجسم ، ولا تلبث أن تتخذ أشكالا محددة تماماً ، تتقطع الجملة التى اذا اخذناها على حدة لا يبدو لها أى معنى ، ولكنها لا تلبث أن تتشكل وتحدد بمجرد أن نجمعها ونضمها بعضها الى بعض .

« واقترح أن يحاول كل منكم أن يتذكر الأحداث التى سبقت وقوع الجريمة ، ولنبدأ يا مستر ترنت .

دعنى أفكر ... فى صباح اليوم الذي قتل فيه أخى خرجت للصيد فى زورق صغير واصطدت ثمانى سمكات كبيرة . كان الجـو جميلاً ، وعدت عند الظهر ، وتناولنا الغذاء . ثم قضيت ساعة القيلولة فى الأرجوحة حتى وقت الشاى . وكتبت بعض الرسائل بعد ذلك ، ثم قضيت الى مكتب بريد بيجنتون بالسيارة القى برسائل فى صندوق البريد . وبعد أن تناولت العشاء أعدت قراءة كتاب لتسيبت كنت قد أعجبت به فى حداثتى .

- أهذا كل شىء ؟ ... فكر جيداً يا مستر ترنت ، عندما ذهبت الى الشاطىء فى الصباح ألم تلتق بأحد فى الطريق ؟

- أوه بلى . التقيت بأشخاص كثيرين .

- هل تتذكر شخصاً معيناً .

- كلا . ليس فى الوقت الحاضر .

- حاول أن تتذكر .

- دعنى أفكر ... إننى شاهدت امرأة ترتدى ثوباً ذا خطوط ... وبرفقتها طفلان ، ورأيتهما على الشـاطىء يلقيان ببعض الحجارة فى الماء وكلباً صغيراً يجرى لالتقاطها ... آه ، نعم ، اتذكر كذلك فتاة شقراء كانت تصرخ وهى تستحم ... هذا غريب .. أن هذه الحقائق الصغيرة تعود الى الذهن كما لو أن صوراً فوتوغرافية ، تمر أمامك .

- أنت وسيط مثالى يا مستر ترنت ... وفيما بعد ... أثناء النهار ... فى الحديقة .. وفى الطريق .

- كدت اصطدم براكبة بسكليت ... اظن أن هذا كل شىء .

تحول بوارو إلى تورا جراى وقال : وأنت يا مس جراى ؟

أجابت الفتاة فى صوت واضح : اننى اهتممت بمراسلات سير توماس ترنت فى

الصباح ... ثم تكلمت مع الممرضة ، وكتبت بضع رسائل بعد الظهر ، ثم رفوت بعض الثياب ... وانقضى اليوم دون أي حادث ، وأويت الى فراشى فى وقت مبكر .

ودهشت اذ لم يلق بوارو عليها أي سؤال آخر ، وانما التفت الى ميجان وقال : وأنت يا آنسة بارنادر ... هل يمكنك أن تحدثينى عن آخر مرة رأيت فيها أختك ؟

– كان ذلك قبل موتها بخمسة عشر يوماً ، وكنت قد قضيت عطلة آخر الأسبوع فى البيت ، وكان الجو جميلاً ، ومضينا معاً الى حوض السباحة بها ستنجز .

– وفيم كان حديثكما ؟

عبست ميجان وهى تستعيد ذكرياتها وقالت : كانت تشكو من قلة ذات يدها ، وقالت أنها اشترت قبعة وثوبين للصيف . وتحدثت عن دونالد قليلاً ، ثم قالت لى أنها لا تميل إلى هيجلى ، الجرسونة الجديدة .

– ألم تتحدث معك عن رجل كان يجب أن تخرج معه ؟ ... معذرة يا مستر فريزر . أجابت ميجان فى لهجة جافة : أنها ما كانت لتطلعنى على شيء كهذا تحول بوارو بعد ذلك الى الشاب ذى الشعر الأحمر والفك المربع وقال : مستر فريزر ... أرجو أن تتكرم وتنبش ذكرياتك ... قلت انك ذهبت الى المقهى فى ذلك المساء لكى تراقب بيتى بارنارد عندما تخرج . ألم تلحظ أى شخص أثناء انتظارك ؟

– كان هناك أناس كثيرون يذهبون ويروحون على طول الشاطىء . ولا أتذكر منهم أحداً بصفة خاصة .

تنهد بوارو وخاطب مارى دورير قائلاً :– لا ريب أنه جاءتك رسائل من خالتك ؟

– نعم يا سيدى .

– والى متى يرجع تاريخ آخر رسالة لها .

- الى قبل مصرعها بيومين يا سيدى .

- وماذا كانت تقول فى ذلك الخطاب ؟

كتبت الى تقول أن شيطانها العجوز عاد يضايقها مرة أخرى ، وأنها طردته بعد أن صفعته على وجهه مرتين ، وأنها تنتظرنى يوم الأربعاء التالى ، وهو يوم أجازتى لكى نذهب الى السينما احتفالاً بعيد ميلادى .

وترقرقت الدموع فى عينى الفتاة المسكينة عند هذه الذكرى ، ولكنها حاولت أن تتمالك نفسها وقالت :

- معذرة يا سيدى . اننى حمقاء إذ أبكى هكذا . ولكننى كنت أستعد أنا وخالتى للاحتفال بعيد ميلادى .

قال فرانكلين ترنت : اننى أفهم شعورك . أن الحقائق الصغيرة تؤثر فينا تأثيراً كبيراً ، خصوصاً اذا كانت لها مناسبتها ... هدية ... أو عيد عائلى ... لقد رأيت حادثة ذات مرة ... صدمت بسيارة امرأة كانت قد اشترت حذاء جديداً لتوها ، ولا أزال أراها حتى اليوم طريحة فوق الأرض وقد انفتح الصندوق وبرز منه الحذاء بكعبه العالى . ومنذ ذلك اليوم لا اذكر هذه الحادثة إلا وأربطه بهذا المنظر المؤثر .

صاحت ميجان فى تأثر مفاجىء :- هذا صحيح ... ومحزن فى نفس الوقت . وقد وقع لى هذا الأمر بعد موت بيتى ، فقد اشترت أمى زوجاً من الجوارب لكى تهديه لها ... فى نفس اليوم الذى قتلت فيه ... ياالأمى المسكينة . كانت تبكى وهى تنظر الى الجوارب وتقول : اننى اشتريتها من أجل بيتى . كنت أريد أسعادها ولكنها ماتت قبل أن تراه .

وتهدج صوت ميجان ، ونظرت الى فرانكلين ترنت وقد جمع بينهما نوع من التعاطف الفجائى ... والأخاء فى الألم .

وقال فرانكلين ترنت وهو يغالب عواطفه : يجب أن نفكر فى المستقبل وأن نرسم

خطة للعمل .. يجب أن نتحد ونضم قوانا عند مجىء الخطاب الرابع ... وحتى ذلك الوقت يمكن لكل منا أن يجرب حظه ... ألديك ما تنصحنا به يا مستر بوارو ؟

قال بوارو : ربما استطعت أبداء بعض الاقتراحات ... قد يكون لدى الجرسونة هيجلى معلومات تفيدنا ، واقترح طريقتين للعمل . أولهما أن تمارس الآنسة ميجان طريقة الهجوم .

قالت ميجان فى ايجاز : لا ريب لأن ذلك يتناسب مع طبعى .

- أرى أن تتشاجرى معها ، فتقولى لها أنك تعرفين أنها كانت تكره أختك ، وأن هذه الأخيرة روت لك كل شىء عنها . وإذا لم أخطىء فإن كلماتك ستثير موجة من الاحتجاجات عندها ، وستصارحك برأيها فى أختك ، وقد نجد فى أقوالها ما يخدمنا فى قضيتنا .

- والطريقة الثانية ؟

- هل أستطيع أن أطلب شيئاً يا مستر فريزر ... هل يمكنك أن تتقرب الى هذه الفتاة ؟

- هل هذا ضرورى ؟

- أبداً ... ولكنها طريقه قد تحملها على الكلام .

قال فرانكلين : ألا تريد أن أهتم أنا بذلك ؟ ... إن لى تجارب كثيرة فى هذا المجال يا مستر بوارو .

قالت توراجراى ساخرة : أراك رسمت لنفسك خطة حتى قبل مجيئك .

انبسطت ملامح فرانكلين ترنت ، أجاب من غير أن يفطن الى لهجتها الساخرة :

- هذا صحيح .

وقال بوارو : الواقع اننى لا أرى ماذا تستطيع أن تفعل فى تورستون فى الوقت الحاضر فإن الآنسة جراى ...

قاطعته تورا قائلة : أعلم يا مستر بوارو اننى غادرت تورستون الى الأبد .

- آه .

قال فرانكلين : لقد تكرمت الآنسة جراى وبقيت لكى تساعدنى فى تنظيم أوراق أخى ، ولكنها آثرت وظيفة فى لندن .

ألقى بوارو عليها نظرة فاحصة ثم قال : وكيف حال الليدى ترنت ؟

توردت وجنتا تورا ، فى حين قال فرانكلين : على أسوأ ما يكون . وبهذه المناسبة أرجو أن تتفضل بزيارتها ، فقد أبدت رغبتها قبل سفرى فى أن تراك . ان حالتها الصحية لا تسمح لها باستقبال أحد ، ولكنك اذا قمت بالسفر على نفقتى طبعاً .

سأذهب لرؤيتها يا مستر ترنت ... هل يناسبك بعد غد ؟

اتفقنا سأخبر الممرضة لكى تعطيها حقنة المورفين لتهدئتها .

وقال بوارو مخاطباً مارى دورير : أما أنت يا بنيتى العزيزة فإننى أظن أنك تستطيعين الافادة من اندوفر ... ففى مقدورك أن تستجوبى الأولاد ...

الأولاد ؟

نعم . فهم فى تلك السن يترددون فى الرد على أسئلة رجال البوليس . أما أنت فهم يعرفونك . ولا ريب أن بعضهم رأى الداخلين الى محل خالتك والخارجين منه يوم الجريمة . وقد يذكرون شيئاً يفيد .

قال فرانكلين ترنت : وما هو الدور الذى تحتفظ به للآنسة تورا جراى ... ولى أنا ، إذا كنت لا تريد منى أن أذهب الى بسكهيل ؟

قالت تورا جراى : مستر بوارو ... من أى مكتب للبريد صدر الخطاب الثالث ؟

- من مكتب بريد بوتنى يا آنسة .

معنى هذا أن أ . ب . ت . يقيم فى لندن .

قال ترنـــت فـــى مقدورنا أن ننصب له كميناً . ما رأيك فى اعلان صغير يا مستر بوارو ؟ ... شيء من هذا القبيل : أ . ب . ت . عاجل هـ . ب . يتعقبك .

مائة جنيه نظير صمت ... ص . ز . هل تفهم فكرتى ؟ ... أنه لن يلبث أن فى الفخ بدون شك

هذا جائز

وقد يأتى بنفسه لكى يتحقق من صحة قولى .

وقالت تورا جراى : هذه فكرة غبية محفوفة بالخطر .

- ما رأيك يا مستر بوارو ؟

- لن نخســر شــيئاً من المحاولة . ولكننى أخشى أن لا يــرد أ . ب . ت وأر يا مستر ترنت ، دون أية اهانة لك ، أنك مازلت تحتفظ بعقلية طالب .

بدا الارتباك على فرانكلين ترنت ، ونظر الى مفكرته وقال :- انتهينا إذن ...

أولاً : الآنسة بارنارد والآنسة هيجلى . ثانياً : مستر فريزر والآنسة هيجلى ...

ثالثاً : الأولاد فى أندوفر . رابعاً : الأعلان .

ونهض ، وبعد دقائق كان أعضاء « الفرقة الخاصة » قد انصرفوا .

* * *

١٩

الليدى ترنت

كان يخيم على كومبايد جو كئيب عندما مضينا إليه للمرة الثانية ، ولكن ذلك راجعا جزئياً إلى أننا كنا فى شهر سبتمبر ، وكان الجو قد تشبع برطوبة الخريف ، وإلى منظر البيت الحزين الذى أغلقت نوافذه ، كلها تقريباً ، بل أن غرفة الاستقبال الصغيرة التى دخلناها كانت تنبعث منها رائحة العفن .

أقبلت ممرضة وهى تصلح كميها المنشيين وقالت : مستر بوارو ... أنا ممرضة الليدى ترنت ، جاءنى خطاب من مستر ترنت يخطرنا فيه بقدومك وسألها بوارو عن صحة المريضة فقالت : لا بأس بها اليوم .

وتنهدت ثم هزت رأسها وقالت : ليس هناك أى أمل فى أن تتحسن حالتها ، ومع ذلك فان العلاج الجديد مفيد والدكتور لوجان راض عنه .

أصحيح انه لارجاء فى شفائها ؟

أجابت الممرضـــة وقد ساءتها هذه الصراحة : أوه ... هذا شىء لا يجب أن تقوله أبداً .

هل سبب لها موت زوجها صدمة عنيفة ؟

كان يمكن أن تكون الصدمة أشد لو أنها كانت فى كامل وعيها وصحتها . أما فى حالتها الراهنة فان المصاب لن يلبث أن تخف حدته .

أغفرى لى ســؤالى هذا . هل كانت شـــديدة التعلق بزوجهـــا .. وهل كانت تحبــه حقاً ؟

أوه ، نعم . كانا زوجين سعيدين . كان المسكين دائم القلق على صحة زوجته ،

فان مرضها من الأمراض المستعصية التى لا يستطيع الأطباء نحوها شيئاً . وقد فقد المسكين كل أمل ، وأظن إنه اضطرب أشد الأضطراب فى البداية .

- فى البداية ؟ ... وبعد ذلك ؟

ماذا تريد . أن المرء يعتاد أسوأ الأمور . كان سيرتاموس يجد عزاءه فى مجموعته ، وكان يختلف الى المزادات من وقت لآخر . وكان متهما فى الآونة الأخيرة فى اعداد كتالوج لها بمساعدة الآنسة جراى .

آه ... ولكن الآنسة جراى غادرت البيت أخيراً .

- نعم . وقد أسفت لذلك كثيراً . ولكن للمريضة نزواتها ، ولا يمكن التغلب عليها عندئذ .

- هل كرهتها الليدى ترنت دائماً ؟

- كلا . أن عواطفها لم تبلغ حد الكراهية على الأقل . بل أظن أنها كانت تميل إليها فى البداية ، ولكننى استغل وقتك فى الثرثرة ، وستفقد مريضتى صبرها .

وتقدمتنا إلى غرفة فى الطابق الأول ، وكانت الليدى ترنت تجلس فوق مقعد وثير بجوار النافذة . وكانت شديدة الهزال والضعف ، ترسم على وجهها ذلك الحزن والشرود اللذين تتسم بهما وجوه كل الذين لقوا الكثير من صنوف الألم والعذاب ، وقالت الممرضة فى صوت واضح :

- ليدى ترنت ... أقدم لك مستر بوارو . وقد قدم تلبية لرغبتك . قالت الليدى ترنت فى غموض وهى تمد يدها : آه ... مستر بوارو !

وقال بوارو : أقدم لك صديقى الكابتن هاستنجز .

صباح الخير : اشكركما على زيارتكما لى .

وأشارت إلينا أن نجلس ومرت لحظة من الصمت خيل لنا فيها أن المرأة المسكينة رحلت الى دنيا من الأحلام ، ولكنها لم تلبث أن غالبت نفسها وقالت :

أنكما أتيتما بسبب زوجى ، أليس كذلك ؟ لم يخطر لنا أبداً أن يقع ما وقع . كنت متأكدة إننى سأمضى قبله ... لأنه كان رجلاً قوياً جداً بالنسبة لسنه . لم يتعرض للمرض أبداً ، بلغ الستين ولكن من يراه كان يظن أنه لم يتجاوز الخمسين بعد ... نعم .. كان قوياً جداً .

وعادت إلى أحلامها من جديد . وكان بوارو يعرف تأثير بعض العقاقير فلم يفقد الأمل . وفجأة عادت الليدى تقول :

نعم . أن قدومكما مكرمة كبيرة منكما . كنت قد رجوت فرانكلين أن يطلب منك الحضور ، وأرجو ألا تسحره هذه المرأة .. فانه ساذج جداً ... وكان كثير الترحال .. أن الرجال لن يتغيروا أبداً .. سيبقون دائماً كالأطفال .. وخصوصا فرانكلين .

قال بوارو : أنه رجل عصبى .

- نعم ... نعم . ولكن له روحاً نبيلة ... والرجال من هذه الناحية بالذات حمقى ... أن توم نفسه ...

وتحطم صوتها ، وهزت رأسها فى انفعال وقالت : لم أعد أدرى ما أقول يا مستر بوارو ، فعندما يعصف الألم الطبيعى بالانسان ينسى كل ما عداه .

أننى أفهم ياليدى ترنت ... أن الروح حبيسة الجسد .

أن الألم ينسينى كل شىء آخر ... لم أعد أذكر لماذا كنت أريد أن اراك .

ألم يكن ذلك لكى تحدثينى عن موت زوجك ؟

موت توم ؟ ... ربما ... يا للمسكين ... أمجنون هو ؟ ... أننى أتحدث عن القاتل . لا يمكن لأحد إحتمال الضجة والسرعة العصرية ... لا ريب أن رأسه تؤلمه أشد الألم ... اننى ارثى له لأنهم سيحبسونه بين أربعة جدران إذا ما ألقوا القبض عليه ... ولكن لا يسعهم أن يفعلوا غير هذا والا قتل آخرين .

وهزت رأسها فى أسى وقالت : أنكم لم تلقوا القبض عليه بعد ؟ .

- كلا .

لا ريب أنه كان يحوم بالبيت فى ذلك اليوم .

كان هناك غرباء كثيرون فى النواجى باليدى ترنت ، فنحن في موسم الأجازات .

نعم . نسيت ذلك . ولكن المصيفون يبقون على الشاطيء ولا يقتربون من البيت .

لم يقترب أى رجل غريب من البيت فى ذلك اليوم .

قالت الليدى ترنت وقد تغير صوتها فجأة : من قال لك هذا ؟

بهت بوارو وقال : الخدم ... والآنسة جراى كذلك ؟

قالت الليدى ترنت فى هدوء : أن هذه الفتاة كاذبة .

سرت الرعشة فى جسدى وأنا جالس ، ورمانى بوارو بنظرة . وعادت الليدى ترنت تقول وهى تضطرب من الحمى :

لم أكن أحبها ... لم أحبها ابداً ... كان زوجى يقول أنها مثالية ، وكان يرثى لها لأنها يتيمة ووحيدة فى الدنيا ، وكان يجدها شجاعة وذكية ، وأعترف أنها كانت تؤدى عملها على أكمل وجه ، ولكننى لا أرى فيم كانت شجاعتها .. أننى طردتها على الفور . وقد جرؤ فرانكلين وزعم أن فى وجودها عزاء لى ، ولكننى أجبته بأننى لا أشعر بالعزاء والهدوء إلا إذا تخلصت منها بأسرع ما يكون . أن فرانكلين أحمق ، ولم أشأ أن أتركه يقع فى حبائل هذه الدساسة . اعطيتها مرتب ثلاثة شهور ولكننى أحتملت بقاءها هنا يوماً آخر . وان للمرأة المريضة ميزة هى أن الرجال لا يترددون فى اطاعتها ، وقد طردها فرانكلين . لا شك أنها رحلت متظاهرة بأنها شهيدة .

ودخلت الممرضة عندئذ فقالت : أهدئى يا سيدتى . أنك تزيدين حالتك سوءا هكذا .

ولكن الليدى ترنت دفعتها بحركة من يدها قائلة : أنك كنت متعلقة بها أنت الأخرى أكثر من غيرك .

أوه ... لا تقولى هذا ياليدى ترنت . أن الآنسة جراى ظريفة جداً ... كانت فتاة خيالية .

صاحت الليدى ترنت أنكم تثيرون حنقى جميعا .

أنها رحلت الى غير رجعة على كل حال .

هزت الليدى ترنت رأسها ولم تنطق . وسألها بوارو : لماذا رميت الآنسة جراى بالكذب منذ قليل .

لأنها كاذبة : ألم تقل أن أحداً لم يقترب من البيت ؟ ...

أما أنا فقد رأيتها ... رأيتها بعينى هاتين ... من هذه النافذة ...

تتحدث مع رجل غريب ، أمام الباب العمومى .

متى ؟

فى اليوم الذى قتل فيه زوجى بالذات ... فى نحو الساعة الحادية عشرة صباحاً .

وكيف كان ذلك الرجل ؟

- كان رجلاً عادياً ... لا يميزه شيء ... كل ما أذكره انه كان يبدو من ثيابه أنه فقير .

وتقلص وجهها لفرط ما تشعر به من ألم وقالت : أرجوكم ... دعونى الآن ... أشعر بأننى متعبة .

وأسرعنا بالانصراف ، وقلت لبوارو ونحن نستقل القطار فى طريقنا إلى لندن :

عجيب أمر هذا اللقاء بين الآنسة جراى وذلك الرجل الغريب .

أم أقل لك ياهاستنجز أننا لابد أن نكتشف شيئاً .

ولكن لماذا كذبت الفتاة وقالت إنها لم تر أحداً ؟

يمكننى أن أذكر لك سبعة أسباب لذلك ... ولكن أبسط شيء هو أن نسألها عن السبب .

وإذا ردت علينا بأكذوبة أخرى ؟

سيكون ذلك أمراً له أهمية وعلينا أن نتقصى الحقيقة عندئذ . أنه من الفظاعة نفترض ان فتاة لها كل هذا الذكاء يمكن أن تتواطأ مع مجنون .

- وهذا رأيى بالذات ... ولهذا فأننى لا افترض شيئاً كهذا .

وبعد بضع دقائق من التفكير قلت وأنا أتنهد : إن الفتاة الجميلة تكون دائماً عرضة لأبشع الشكوك والشبهات فى مثل هذه المواقف .

- ولكن هذا غير صحيح ... أبعد هذه الفكرة عن رأسك .

قلت فى اصرار : بل هذه هى الحقيقة . إن الجميع يؤاخذونها لجمالها .

- أنت أحمق يا هاستنجز من الذى كان يحقد عليها فى كومبايد ؟ ... سير توماس ؟ ... فرانكلين أو الممرضة ؟

- إن الليدى ترنت لم تكن تطيق رؤيتها .

- أنك متسامح جداً مع الفتيات الجميلات يا صديقى . أما أنا فاتعاطف مع السيدات المسنات المريضات . ولعل الليدى ترنت كانت تفهم أكثر من الآخرين . إن زوجها وفرانكلين ترنت والممرضة كانوا لا يفهمون شيئاً ، مثلهم فى ذلك مثل الكابتن هاستنجز .

- بوارو ... أنك تظلم الآنسة جراى .

وادهشتنى أنه غمز لى بعينه وقال : يطيب لى أن اثير حنقك ياهاستنجز ، فأنت دائماً الفارس الشهم الذى يخف لنجدة الفتيات اللاتى يقعن فى الشدة ... بشرط أن يكن جميلات .

لم يسعنى الا أن ابتسم وأقول : أن أمرك مضحك يا بوارو .

- لا يمكننا أن نذرف الدموع دائماً . إن مراحل هذه الفاجعة البشرية تستهوينى أكثر من ذى قبل ... فنحن أمام ثلاث مآس ... بادىء ذى بدء مأساة اندوفر : حياة

مسز آشير التعيسة ... خيبتها وتضحياتها فى سبيل زوجها السكير ، وحبها لابنة اختها ... رواية حقيقية ... ثم تأتى مأساة بكسهيل : قوم بسطاء سعداء ... والابنتان تختلف كل منهما عن الأخرى ، فإحداهما جميلة وطائشة ، والأخرى ذكية وصريحة ... والشاب الأسكتلندى رزين وهادىء ، ولكن الغيرة تكاد تقتله ... وأخيراً مأساة تورستون : الزوجة على ابواب القبر ، والزوج شديد الأهتمام بمجموعته ، ويتفتح قلبه لسكرتيرته الجميلة ، والأخ أصغر سنا وقوى ووسيم جداً ، أكسبته الرحلات البعيدة هالة خيالية .

أترى يا هاستنجز أنه طبقاً لمجريات الحياة ما كان يجب أن تعرف احدى هذه الأسر الثلاث أى شيء عن الأسرتين الأخريين ، وأن كلا من هذه المآسى كان يمكن أن تدورفى مداها دون أن تتأثر بالمأساة الأخرى . إن للقدر نزوات عجيبة طالما أثـارت دهشـــتى يا هاستنجز .

وكان ردى الوحيد عليه أننى قلت : ها نحن قد وصلنا إلى بارلجتون .

وعندما بلغت دايت هافن مانشون قيل لنا إن هناك رجلاً ينتظر بوارو ، وتوقعت أن أرى فرانكلين ترنت أو المفتش جاب ، ولكن ما كان أشد دهشتى عندما وجدت أن ذلك الرجل لم يكن إلا دونالد فريزر .

كان بادىء الأرتباك ، وكان يجد صعوبة فى التعبير عما يريد وبدلاً من أن يحمله بوارو على الأفصاح عن سبب قدومه عرض عليه كأسا من النبيذ وبعض الشطائر . وقال له بعد أن فرغ الشاب من التهام الشطائر والنبيذ .

- أقادم أنت من بكسهيل يا مستر فريزر ؟

- نعم .

- هل أصبت نجاحاً قبل ميللى هيجلى ؟

قال فريزر : ميللى هيجل ... ميللى هيجلى ؟ ... آه ، نعم . جرسونة المقهى ... كلا . أننى لم ارها بعد ولكننى أتيتك .

وسكت دونالد وراح يلوى يديه في انفعال ، وقال أخيراً :- لا أدرى كيف أفسر لك وجودى هنا .

قال بوارو :- أننى أعرف .

- كيف تستطيع أن تعرف ؟

- أنك اتيت إلى لأنك تشعر بحاجتك الى أن تفتح قلبك لشخص غيرك ، وأننى أفهمك ، تكلم يا مستر فريزر .

وأحدثت لهجة بوارو الهادئة اثرها وتأمله فريزر في خضوع وامتنان وقال : هل يجب أن أعترف لك بكل شيء ؟

- طبعاً .

- هل تؤمن بالأحلام يا مستر بوارو ؟

ولم أكن اتوقع سؤالا كهذا . ولكن بوارو لم يبد أية دهشة وقال : نعم . فهل رأيت حلماً ؟

- نعم . وستقول لى أن من الطبيعى أن أحلم ... عن الجريمة .. ولكن الحلم الذى رأيته ليس حلماً عادياً ، فقد رأيت نفس الحلم ثلاث مرات فى ثلاث ليالى متعاقبة ، ويخيل لى يا مستر بوارو أنني على وشك الجنون .

- تكلم . ماذا رأيت ؟!

أمتقع وجه ، دونالد امتقاعا شديداً ، وجحظت عيناه ، والواقع أنه بدا كما لو كان قد أصيب بمس من الجنون حقاً .

- أننى أرى نفس المنظر فى كل مرة .. أمشى على الشاطىء كالمجنون ابحث عن بيتى ... فقد تاهت منى .. هل تسمع ؟ .. تاهت منى ... ويجب أن أجدها بكل وسيلة .. لكى اعطيها حزامها الذي احمله فى يدى .. عندئذ ..

- عندئذ ؟

- يتغير المنظر ، فإذا بى لا أبحث عن بيتى .. لانها أمامى تجلس على الرمل ولا تراني واقترب منها .. اوه .. أن هذا فظيع .. لا أستطيع الاستمرار .

قال بوارو فى قوة : بلى .. بلى . تكلم .

- اقترب منها .. من الخلف ، وفجأة أطوق عنقها بالحزام وأشد .. وأظل أشد .

وكان يتكلم فى صوت يزفر بالقلق ويشق سماعه ، وتشبثت بمقعدى فى حين استطرد هو يقول :

- تختنق .. تموت .. أننى خنقتها .. وتنهار الى الخلف ..وارى وجهها ، واذا بى أرى ميجان بدلا من بيتى .

وارتد الشاب فى مقعده الى الخلف وقد ازداد شحوبا وراح يضطرب . وملأ بوارو كأساً من النبيذ اعطاه اياه له .

وقال الشاب : ما رأيك فى هذا الحلم يا مستر بوارو ؟ .. ولماذا يتكرر ؟

قال بوارو : اشرب .

أطاعه الشاب ثم قال فى صوت أكثر هدوءاً : ما معنى هذا الحلم ؟ اننى لم أقتل بيتى ... وأنت تعلم ذلك تماماً ... وكذلك أنا .

ولم أعرف رد بوارو لأن ساعى البريد طرق الباب فى هذه اللحظة فاسرعت بمغادرة الغرفة .

وما وجدته فى صندوق البريد كان كافيا لكى يقصى عن ذهنى اعترافات دونالد فريزر العجيبة ، وعجلت بالعودة الى الصالون وانا أصيح :

- بوارو ... ها هو الخطاب الرابع .

ووثب من مقعده ، وأنتزع منى الخطاب ، وفضه على عجل .

ووضع الورقة فوق المكتب . وانحنى كل منا فوقها وقرأنا ما يلى : أخفقت كعادتك .. بخ .. بخ ... ماذا ستفعل الآن ؟ ... وماذا يفعل البوليس ؟ ... اين

نذهب المرة القادمة .

مسكين أنت يا مستر بوارو ... أنني أرثى لك .

لا تيأس ... حاول مرة أخرى ... حاول دائماً .

ليفربول ؟ ... كل سيأتي دوره فيما بعد ... عندما نصل الي حرف اللام . أن الحادثة الصغيرة المقبلة ستقع فى مدينة ثورن .. يوم ١١ سبتمبر .

إلى الملتقى .

أ . ب . ت

٢٠

أوصاف القاتل

انتقل العنصر البشرى إلى المحل الثانى فى هذه اللحظة بالذات طبقاً لتعبير بوارو نفسه ، وكأن ذهننا عجز عن تحمل فظاعة الموقف وانتقل فى أثناء ذلك الى مشاعر أخرى مباشرة .

وكنا قد أجتمعنا فيما بيننا على إستحالة القيام بأى شىء قبل مجىء الخطاب الرابع الذى يعلننا فيه أ . ب . ت . عن المكان الذي ينوى أن يرتكب فيه جريمته ، وقد خلق مجيئه جوا من الأرتياح التام .

وبدأ كأن هذا الخطاب المكتوب بحروف المطبعة يسخر منا ويدعونا الى الخروج للصيد .

وكان المفتش كروم ، من إدارة اسكوتلانديارد لا يزال برفقتنا حين أقبل

ـكلـين ترنت والآنســة ميجان بارنارد ، وخيل لى أن كروم لم يرقــه أن يرى
أ مـن الأشخاص الذين تربـط بينهـم القضيـة ، وقـال فى لهجـة
ـمية :

سآخذ معى هذا الخطاب يا مستر بوارو ، وإذ شئت أن تنقل صورة له ... ولكن
و قاطعه قائلاً : كلا لا داعى لذلك

وقال ترنت : ماذا تنوى أن تفعل أيها المفتش ؟

إن شرح ذلك قد يطول كثيراً يا مستر ترنت .

قال ترنت فى حزم : يجب أن نلقى القبض على القاتل هذه المرة ويهمنى أن أقول لك
كونا رابطة من أهالى الضحايا للبحث عن القاتل .

قال المفتش كروم بلهجته الساخرة : آه ... هذا عجيب .

– ارى ايها المفتش أنك تنظر الى الهواة نظرة استخفاف .

– ذلك لانكـم لا تملكـون ما نملكـه نحـن يا مستر ترنت من وسـائل
ستعدادات .

- ولكن دافعنا الانتقام ، وهو دافع كاف .

– آه ... هذا عجيب .

- أتريد أن تنتظر حتى يكبدك ذلك المجنون أ . ب. ت مشاقا لا طاقة لك بها أيها
تش ؟ ... أنك لن تظفر به بسهولة .

قال كروم وقد أحس بحاجة إلى إرضاء فضول ترنت بعد أن جرحه هذا الأخير فى
امته : لقد أخطرنا هذا الفتى قبل الموعد المحدد بوقت كاف . إن يوم ١١ سبتمبر
يقع يوم جمعة من الأسبوع المقبل ، وسنستطيع أن نقوم بدعاية ضخمة فى
صـحف سـيعلم جميـع أهالى ثورن بما هناك ، بحيث أن كل من يبدأ اسـمه
رف الثاء سيكون على حذر . وستكون المدينة بأسرها تحت مراقبة رجال البوليس .

وقد اتخذنا احتياطات منذ الآن . وسيطارد الأهالى القاتل بمعاونة رجال البوليس . ومن حسن الحظ أن أسماء الذين يبدأ اسمهم بحرف الثاء قليلة

قال ترنت فى هدوء : أرى أنك لست رياضياً أيها المفتش .

حدق كروم فيه وقال :- ماذا تعنى يا مستر ترنت ؟

- لا شىء غير أن يوم الجمعة القادم هو يوم السباق الكبير الذى سيجرى فى ثورن .

استطال وجه المفتش واستحال عليه للمرة الأولى أن يقول « آه ... هذا عجيب » واكتفى بأن قال :

- هذا صحيح .. إن هذا يعقد الأمور .

- إن أ . ب . ت . ليس من الجنون كما تظن .

اذهلنا هذا الاكتشاف ، ولزمنا الصمت لحظات . وتمتم بوارو أخيراً : أن صاحبنا هذا داهية حقاً .

قال ترنت : من رأيى أنه سيرتكب جريمته فى ميدان السباق .

نهض المفتش كروم وأخذ الخطاب وخرج وهو يقول : سيفسد هذا السباق كل شىء .

وسمعنا صوت حديث فى الطرقه ، وبعد دقيقة دخلت تورا جراى وقالت فى قلق :-

- أخبرنى المفتش بأن الخطاب الرابع جاء ... أين ستقع الجريمة هذه المرة ؟

كان المطر يهطل فى الخارج ، وكانت تورا جراى ترتدى معطفا أسود وقبعه صغيرة سوداء .

وكانت قد القت يدها فوق منكب فرانكلين ترنت ووقفت تنتظر الرد فقال :

- في ثورن ... يوم السباق الكبير .

واشترك الجميع فى الحديث وكنا ننوي أن نذهب إلى ثورن فى اليوم المذكور ، ولكن جاء السباق فقلب خططنا رأسا على عقب .

وأحسست بهمتى تفتر ، فماذا يستطيع أن يفعل ستة أشخاص رغم كل استعدادهم ؟ .. إن رجال البوليس سينتشرون فى الميدان وسيراقبون كل ركن منه ، فماذا نستطيع أن نفعل نحن الستة ؟

وكأنما قرأ بوارو ما يجول فى خاطرى لأنه قال : لا تيأسوا يا أصدقائى ، ودعونا نواجه الحقائق بنظام وترتيب ، ولنبحث عن الحقيقة داخل أنفسنا ، وليسأل كل منا نفسه : ماذا أعرف عن القاتل ؟ ... وبهذا نستطيع أن نرسم لنا صورة عن الرجل الذى نبحث عنه .

قالت توراجراى وهى تتنهد : أننا لا نعرف عنه شيئاً .

- أنك مخطئة يا آنسة ... أننا جميعا نعرف عنه شيئاً ما ... فكروا جيداً ... أننى واثق أننا سنصل الى شىء .

هز ترنت رأسه وقال :- أننا نجهل عنه كل شىء ... هل هو شاب أم مسن ؟ . أشقر أم أسمر .. لم يره أحد منا ولم نتحدث اليه أننا ادلينا بكل ما نعرف قبل ذلك أكثر من مرة .

- أنكم لم تذكروا عنه كل شىء ... مثال ذلك أن الآنسة جراى قالت لنا أنها لم تتحدث مع أحد يوم موضوع سير توماس .

قالت مس جراى : هذه الحقيقة .

- كلا يا آنسة ... أن الليدى ترنت قالت لنا أنها رأتك من النافذه تتحدثين مع رجل مجهول ، وأنت واقفة بعتبة الباب .

- رأتنى أتحدث مع رجل ؟

وكانت دهشة الفتاة تبدو صادقة . وهزت رأسها وقالت :

لا ريب أن الليدى ترنت أخطأت ..وأننى لم أتحدث مع أحد ... أه ...

وارتفع الدم الى وجنتيها وقالت : أوه ... أننى اتذكر الأن . ما أغبانى ! أننى نسيت هذا الأمر لتفاهته ... أنه بائع متجول يدور بالبيوت لكى يبيع الجوارب . وقد لقيت مشقة فى التخلص منه ... ولكنه رجل مسكين مسالم .

دفن بوارو رأسه بين يديه وراح يحدث نفسه وهو يتأرجح بطريقة عجيبة ، بحيث لزم الجميع الصمت وراحوا ينظرون اليه فى ذهول :

- جوارب ... جوارب ... آه ، فهمت الأن ... جوارب ... أن هى إلا حيلة لدخول بيوت الضحايا ... منذ ثلاثة شهور ... وفي اليوم الماضى أيضاً ... والآن .. أنه وقع فى قبضتى هذه المرة .

واعتدل فجأة وتحول الى وقال : ألا تتذكر ياهاستنجر ؟ ... محل اندوفر ؟ ... عندما صعدنا الى غرفة النوم رأينا على مقعد زوجا جديداً من الجوارب الحريرية . وأننى أعرف الآن ما الذى أثار انتباهى فى اجتماعنا الأخير .

ونظر إلى الآنسة ميجان وقال : أنت التى أثرت انتباهي يا أنسة ، فقد قلت لى أنك وجدت امك تبكى وبين يديها زوج من الجوارب اشترته لاختك المسكينه فى نفس اليوم الذى قتلت فيه .

وراحت عيناه تدور بين الحاضرين وهو يقول : هل تفهمتم ؟ .. نفس الحجة ثلاث مرات . لا يمكن أن يكون الأمر مجرد مصادفة . أحسست أن كلمات الآنسة تثير فى نفسى ذكرى غامضة .. وأعرف ماذا أثارت الآن إن مسز فولر

جارة مسز أشير أشتكت هى الأخرى من الباعة المتجولين الذين يدورون بالبيوت لعرض سلعهم وقد تكلمت بالذات عن زوج من الجوارب . قولى لى يا أنسة ميجان ... هل تعرفين إذا كانت أمك قد أشترت جواربها من المحلات أو من بائع متجول ؟

- أننى اتذكر أنها اشترته من بائع متجول فقد قالت لى أنها ترثى لهؤلاء المساكين الذين يعرضون سلعهم على البيوت .

- وما هى الصلة بين القاتل وبين بائع متجول مسكين ؟

- أكرر لكم أن الأمر لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة أيها الأصدقاء . لقد ارتكبت ثلاث جرائم قتل ، وفى كل مرة دخل بائع متجول بيت القتيل بحجة أنه يبيع جوارب .

وتحول إلى تورا وقال لها : لك الكلمة الآن . أذكرى لنا أوصاف هذا الرجل .

بدأ الأرتباك على الفتاة وقالت : لا أستطيع .. لا أستطيع ... أظن أنه كان يلبس نظارة ومعطفاً باليا .

- بل أفضل من هذا يا آنسة .

- كان محدودب الكتفين .. لا أستطيع أن أقول أكثر من هذا .. أننى لم أهتم به ... كان ينتمى الى تلك الطبقة التى لا تستطيع أن نقول عنها شيئاً .

قال بوارو فى وقار مصطنع : إن سر هذه الجرائم المتتابعة يكمن فى الوصف الذى أدليت لنا به عن القاتل ، لأن ذلك الرجل هو القاتل من غير أى شك ، فهو من هؤلاء الذين لا نستطيع أن نقول عنهم شيئاً ... نعم ، انك وصفت القاتل خير وصف .

* * *

٢١

هذا الفصل لا ينتمى
إلى مذكرات الكابتن هاستنجز

بقى مستر الكسندر بونابرت تاست فى مكانه جامدا . ولم يكن قد مس طعام الأفطار بعد ... تركه حتى برد وظل يحدق فى الصحيفة التى فوق المائدة .

ونهض فجأة وأخذ يمشى فى غرفته جيئة وذهاباً ثم مضى فجلس فوق مقعد بجوار النافذة وتنهد ، ثم دفن رأسه بين يديه .

ولم يسمع الباب وهو يفتح . ووقفت مسز ماربورى ، صاحبة البيت بعتبة الباب وقالت :

- هل تسمح يا مستر تاست ... ولكن ما الخبر ؟ ... هل أنت مريض ؟

رفع تاست رأسه وقال : ليس بى أى شىء يا مسز ماربورى ... أننى ... أشعر باننى لست على ما يرام اليوم .

القت مسز ماربورى نظرة الى « الصينية » وقالت : هذا صحيح ... أنك لم تأكل شيئاً ... أما زلت تشكو من الصداع ؟

نعم .. أشعر أن الغرفة تدور بى .

- إذا كان الأمر كذلك فلا تخرج اليوم .

رفع مستر تاست رأسه على الفور وقال : بل يجب أن أقوم بجولتى ... لا يمكن للعمل أن يتأخر ... أنه هام ... هام جداً .

وارتجفت يداه . وإذ رأته مسز ماربورى على هذه الحال حاولت تهدئته

فقالـت :

- اذا كان ولابد أن تخرج فلا فائدة مـن الجدال طبعا . ولكن هل تذهـب بعـيداً هذه المرة ؟

- كلا ... سأذهب إلى .. (وتردد لحظة ثم قال) ... شلتنهام .

قالت مسز ماربورى : - أنها مدينة جميلة ... ذهبت اليها مرة ... فيها محلات جميلة .

- نعم . أظن ذلك .

وانحنت مسز ماربورى والتقطت الصحيفة التى وقعت على الأرض .

واعتدلت بكل مشقة لأن جسدها البدين أصبح يرفض مثل هذه الرياضة وقالت :

- لا حديث للصحف إلا هذه الجرائم ... أنها تثير أعصابى ... وهى أشبه بجرائم جاك السفاح .

حرك مستر تاست شفتيه ، ولكن لم يصدر منها أى صوت .

وأستطردت المرأة تقول :

- أنه سيرتكب جريمته الجديدة فى ثورن . أننى ارتعد كلما فكرت فى ذلك . لو أننى كنت مقيمة فى ثورن ، ولو أن اسمى يبدأ بحرف الثاء . لركبت أول قطار على الفور ، فأننى لا أريد أن اخاطر بحياتى .

ما رأيك يا مستر تاست ؟

- لا أدرى يا مسز ماربورن ... لا أدرى .

- ثم أن اختياره وقع على يوم السباق ، ولا ريب أنه يعتقد أنها فرصة مناسبة لارتكاب جريمته ، ولكننى سمعت أن مئات من رجال البوليس أنتشروا هناك ، وأنهم ينتشرون فى كل مكان . ولكن يبدو أنك تتألم حقاً يا مستر تاست . هل آتيك بكوب من الينسون ؟ ... لا يجب أن تخرج اليوم .

نهض مستر تاست وهو يقول : بل لابد أن أخرج يا مسز ماربورن ... أنني وفيت بتعهداتي بكل دقة حتى اليوم ، والدقة توحي بالثقة .. عندما أتعهد بالقيام بشيء فأنني أقوم به ، لأن هذه هي الوسيلة الوحيدة للنجاح ... في العمل .

- ولكنك مريض .

- أنني لست مريضاً يا مسز ماربوري ، ولكنني أعاني من بعض المشاكل الخاصة ... ثم أنني أصبت بالأرق الليلة ولم أنم كثيرا ... هذا كل شيء .

واذ رأته مسز ماربوري مصمما أخذت « الصينية » وغادرت الغرفة .

أما مستر تاست فقد سحب حقيبته من تحت الفراش ، ووضع فيها منامة وقميصا وشبشبا ، ثم فتح الدولاب وأخذ منه بضع علب من الكرتون التي توضع فيها الجوارب ، والقى بعد ذلك نظرة على دليل لمواعيد القطارات ، ثم تركه فوق المنضدة وخرج وحقيبته في يده .

وتنهد وهو يجتاز الردهة ، وخرجت فتاه من أحدى الغرف في هذه اللحظة وسألته : ماذا هناك يا مستر تاست ؟

- لا شيء .

- ولكنني سمعتك تتأوه .

سألها مستر تاست على الفور : هل أنت عرضة للهواجس يا آنسة ليلى ؟

- الواقع أنني لا أدري ... هناك أيام يخيل لي فيها أن كل شيء سييء وهناك أيام أخرى أرى فيها أن كل شيء على ما يرام .

- هذا هو ما أشعر به تماماً .

وتنهد مستر تاست مرة أخرى وقال : الى الملتقى يا آنسة ليلى . أن جميع من في هذا البيت كانوا كرماء معي ولا ادرى كيف أعبر لهم عن شكري .

قالت ليلى ضاحكة : كأنك تنوي مفارقتنا .

- كلا ... كلا طبعا .

- الى الملتقى أذن يا مستر تاست ... أين تذهب هذه المرة ؟ هل تذهب الى شاطيء البحر ؟

- كلا ... كلا ... أننى ذاهب الى شلتنهام .

- انها جميلة ، ولكنها ليست أجمل من توركاى ... أننى انوى أن اقضى أجازتى المقبلة فى توركاى ... هل كنت بها عندما ارتكب أ . ب . ت . جريمته الأخيرة ؟ ... أنها وقعت فى توركاى ، اليس كذلك ؟

- بل فى تورستون ، وهى تبعد عن توركاى بعشرة كيلو مترات .

أن الأنفعال شامل المنطقة كلها على كل حال . ومن الجائز انك التقيت بالقاتل أو احتككت به فى الشارع دون أن تدرى .

أبتسم مستر تاست ابتسامة بدت كأنها انقباضة عصبية أثارت دهشة ليلى ماربورى وقال : نعم هذا جائز .

ماذا بك يا مستر تاست ؟ ... هل تشكو من شىء ؟

- كلا ...كلا ... أننى على ما يرام ... الى الملتقى يا آنسة ليلى .

ورفع قبعته وتناول حقيبته وخرج .

قال المفتش كروم لمرءوسه : أعد لى بياناً بجميع مصانع الجوارب الحريرية وآخر بأسماء وكلائها ومندوبيها ...

هل يتعلق الأمر بذلك المدعو أ . ب. ت أيها المفتش ؟

- نعم .

واردف كروم فى ازدراء : هى فكرة من أفكار مستر هركيول بوارو ، لن تأتى بأية نتيجة طبعاً ، ولكن لا يجب أن نهمل أى شىء .

حسناً يا سيدى . أن مستر بوارو أتى بالأعاجيب فى شبابه ، ولكننى اعتقد أنه

أصبح يخرف قليلا الأن .

قال المفتش كروم : أنه دجال ... وعى ... ووسائله تجوز على غيرى ، أما أنا فلا . ولكن لنهتم الأن بما يجب أن نفعل فى ثورن .

قال توم هارديجال وهو يراقص خطيبته ليلى ماربورن : رأيت صاحبك مستر تاست صباح اليوم فى محطة ايستون . كان كعادته ، يبدو كأن هناك ما يعذبه ، ومن رأيى أنه معتوه وبحاجة الى من يعنى به ... أوقع صحيفته فى البداية ثم تذكرته . وقد التقطت التذكرة وأعدتها اليه ولم يكن قد فطن الى أنها وقعت منه . وشكرنى ولكننى لا أطن أنه عرفنى .

قالـت ليلـى : سـمعتك تقول محطـة ايستون ، ولعلك كنت تريد أن تقول بادنجتون .

- بل رأيته فى محطة ايستون .

- هذا عجيب ... لقد قال لى أنه ذاهب الى شلتنهام ، وكان يجب أن يستقل القطار من بادنجتون .

- ولكن تاست العجوز لم يذهب الى شلتنهام . وإنما ذهب إلى ثورن .

- ثورن ؟ .... ولكنه قال أنه ذاهب الى شلتنهام .

- لا ريب أن الأمر اختلـط عليك . فقد ابتاع تذكرة الى ثورن . أن بعـض الناس يحالفهـم الحـظ ، وقد راهنت أنا بعض الدراهم على ما ماير فلاى واود أن يكسب .

- لا أظن أن مستر تاست يختلف الى ميدان السباق . أوه ياتوم .. أرجو أن يقتله ذلك القاتل المعروف باسم أ . ب . ت .

- كان مـن المحتمل أن يقتلـه فى المـرة السابقة ، فقد كان فى توركـاى ، وهـى على مقربـة من تورستون .ولكـن هل كــان فــى بكســهيل عندمـا

قتلـــت تلك الفتاة ؟

قطبت ليلى جبينها وقالت : كان مسافراً فى تلك الليلة ، واتذكر أن امى قالت لى فى الصباح التالى أن مستر تاست لم يأخذ لباس البحر فاجبتها بأن لباس البحر لا أهمية له فى الوقت الحالى ، خاصة اذا عرفت أن هناك فتاة لقيت مصرعها خنقاً فى بكسهيل .

ضحك توم ازاء الفكرة التى مرت بخاطره وقال : إذا كان صاحبك العجوز قد أخرج لباس الاستحمام فلا ريب انه كان ذاهباً إلى شاطىء البحر . ولكن قولى لى ياليلى ، الا يمكن أن يكون هو القاتل ؟

ضحكت ليلى وقالت : مسكين مستر تاست ! ... أنه لن يفكر فى إيذاء ذبابة .

٢٢

١١ سبتمبر فى ثورن

ثورن !

لن أنسى ما حييت ذلك اليوم ... وأعنى به ١١ سبتمبر ... وعندما يتحدث أحد أمامى عن السباق الكبير اتذكر الجريمة على الفور .

وعندما أستعيد ذكرياتى الخاصة فإن أول ما أذكره هو أحساس يفيض بالعجز التام ، فقد كنا جميعاً هناك ، أنا وبوارو وترنت وفريزر وميجان بارنارد وتوراجراى ومارى درويــر ... ولكن ماذا كان فى استطاعتنا أن نفعل ؟

كانت خططنا تستند على أمل واحد ، يقوم على فرصة واهية فى التعرف على

رجل شوهد بين آلاف الأشخاص منذ شهر أو شهرين .

ثم أنه لابد لى أن أقول أن تورا جراى هى الوحيدة التى كانت تستطيع ، أن تتعرف على بائع الجوارب .

كانت الفتاة الشقراء المسكينة قد فقدت جأشها وهدوءها وراحت تلوى يديها ، وتنظر الى هركيول بوارو فى توسل ، وقد غشيت عينيها سحابة من الدموع وتقول .

- لن أستطيع أن أميزه عن غيره من الرجال . لمذا لم انتبه إليه جيداً . ما أغبانى أنكم جميعاً تعتمدون على لكى ارشدكم إلى ذلك الرجل ، ولكننى أخشى أن أخيب أملكم ، فأننى قد لا أعرفه إذا رأيته أمامى ... أننى لا أستطيع تذكر هيئة الأشخاص .

ربت بوارو على كتفها فى هدوء وقال : لا داعى للانزعاج يابنيتى ، تشجعى .. سوف تعرفينه إذا وجدت نفسك أمامه .

قال فرانكلين ترنت: أنك تبنى قصوراً فى الهواء ، ولا أظن أننا سنصل إلى نتيجة ما .

- لا تنس يا هاستنجز أن البوليس يبذل أقصى جهده ، قد تكون وسائل المفتش كروم مثيرة للأعصاب ، ولكن هذا لا يمنع من أنه مفتش كفء . ثم أن الكولونل اندرسون لا يقل عنه نشاطا وذكاء . وقد اتخذا كل الاحتياطات الضرورية لحماية المدينة وميدان السباق ثم أن الصحف حذرت الأهالى بما فيه الكفاية .

هز دونالد فريزر رأسه وقال : من رأيى أن القاتل لن يفى بكلمته هذه المرة ... أنه ليكون مجنوناً تماماً لو أنه حاول أن يرتكب جريمته .

قال ترنت : أنه مجنون لسوء الحظ . ما رأيك يا مستر بوارو ؟ ... هل يتخلى عن اللعبة . أم ينفذ تهديده .

- أن الفكرة متسلطة على ذهنه بحيث لا يستطيع مقاومتها . وعدم الوفاء بكلمته معناه الفشل ، وكبرياءه كرجل معتوه لن تستطيع أن ترضى بذلك .

ولا يزال هناك أمل فى أن نضبطه متلبساً .

هز دونالد رأسه مرة أخرى وقال : سوف يتصرف بدهاء كبير . نظر بوارو إلى ساعته

كانت هذه اشارة بالافتراق ، وكنا قد قررنا أن نتمشى فى الشوارع صباحاً ونقف فى أماكن متفرقة من ميدان السباق بعد الظهر .

وخرجت الفتيات ليتجملن ، وبقى دونالد فريزر أمام النافذة وقد غرق فى أفكاره . وإذا رآه فرانكلين ترنت هكذا خيل إليه أنه لن يسمعه .

فقال لبوارو فى صوت خفيض :

- اسمع يا مستر بوارو . أعرف أنك ذهبت الى تورستون لكى ترى زوجة أخى ، فهل قالت لك ... هل أشارت الى ...

وسكت وقد تملكه الارتباك ، فسأله بوارو فى هدوء : ماذا تعنى ؟

احمر وجه فرانكلين وقال : لا شك أنك تعتقد أن الوقت غير مناسب لكى نتكلم فى المسائل الشخصية .

- أبداً .

- ومع ذلك فأننى أحب أن أضع بعض النقط فوق الحروف ... أن زوجة أخى امرأة ظريفة ... وقد أحسست نحوها دائماً بود كبير ، ولكنها مريضة منذ وقت طويل ... ويعالجونها بمختلف العقاقير ... ولهذا فهى تتوهم أشياء كثيرة عن غيرها من الناس .

قال بوارو وهو يغمز لى بعينه : آه .

ولكن فرانكلين استطرد دون أن يلحظ شيئاً : أننى أعنى تورا ... الآنسة جراى . أن الليدى ترنت تتوهم أشياء كثيرة ... والآنسة جراى جميلة كما تعرف ، والنساء لا

يتسامحن مع بعضهن ، وقد أدت تورا خدمات جليلة لأخى .. . ولم يكف عن الاعتراف بأنه لم يجد سكرتيرة مثلها أبداً ... وكان يبدى نحوها عطفاً كبيرا لا يمكن أن تجد فيه ما يشين . ثم أن تورا ليست من هؤلاء المتآمرات الدساسات ...

قال بوارو : كلا .

- غير أن شيطان الغيرة استولى على زوجة أخى ، ولم يسبق أبداً أن أظهرت مشاعرها ، ولكن بعد موت أخى ، وعندما تكلمنا عن بقاء الآنسة جراى فى عملها ، اعترضت شارلوت كل الاعتراض . ومن رأي الممرضة أنه يجب أن نعزو اعتراضها وصلابتها إلى مرضها ... وإلى المورفين ... وألا نلوم شارلوت وسكت فقال بوارو : وبعد ؟

- اريد أن تفهم أنها طردتها بدون سبب ، وأنها انقادت لنزوة من الغيرة ... انظر ، (وبحث فى جيبه) .... هذه رسالة لى من أخى أرسلها إلى وأنا فى ماليزيا .... وستفهم منها طبيعة العلاقة التى كانت بين توم وسكرتيرته .

أخذ بوارو الخطاب ، وجلس ترنت بجواره وأخذ يشير بأصبعه إلى بعض الفقرات . ويقرأها بصوت عال .

« ... كل شىء هنا يجرى مجراه الطبيعى ، وشارلوت ما زالت تتألم وان كان المها قد خفت وطأته عن ذى قبل ... هل تذكر تورا جراى ؟ ... أنها ظريفة دائماً وفى وجودها بجوارى راحة كبيرة لى ولا أدرى ماذا يكون من أمرى بدونها . أن اهتمامها بأبحاثى لم يتغير ، وتتمتع بذوق سليم ، وتشاركنى اهتمامى بالفن الصينى ، وأننى اهنيء نفسى لأننى وقعت عليها . ولو ان لى ابنة ما كانت تولينى مثل هذا الأخلاص وهذه الرقة ، لقد كانت حياتها عصيبه ، ولم تعرف المرح تقريباً ، ويسرنى أنها استقرت بيننا » .

واستطرد فرانكلين يقول : يمكنك أن تدرك الآن حقيقة مشاعر أخى نحو الآنسة

جراى . كان يعتبرها كابنته . وان من الظلم أن تطردها زوجته بمجرد موته . آن النساء أبالسة حقاً فى بعض الأحيان يا مستر بوارو .

- لا تنس أن زوجة أخيك مريضة جسداً وروحاً .

- هذا صحيح ولهذا أحاول أن أكون متسامحاً . ولكننى أردت أن أريك هذا الخطاب حتى لا ترسم لنفسك فكرة خاطئة عن تورا بعد ما ذكرته الليدى ترنت لك عنها .

قال بوارو وهو يعيد الخطاب إليه : اطمئن .. أننى لا أحكم على الناس بما اسمعه عنهم ... ان لى رأيى الخاص .

قال ترنت : لست نادماً لأننى أريته لك ... آه ... ها قد أقبلت الآنسات ... هلموا بنا لكى نبدأ العمل .

٢٣

هذا الفصل لا ينتمى إلى مذكرات الكابتن هاستنجز

كتم مستر ليدبيتر صيحة ضيق كادت تفلت منه عندما نهض جاره .

واختل توازنه وهو يقف ويمر أمامه بحيث وقعت قبعته منه وانحنى لكى يلتقطها .

كل ذلك فى إحدى تلك اللحظات الحرجة التى يمر بها الفيلم الذى يدور أمامه ، والذى يحرص المرء على ألا يفوته منه شىء لكى يلم بأحداث القصة التى يشاهدها

وراح يحرك رأسه ذات اليمين وذات الشمال ، وهو يتساءل ما الذى يدفع المرء إلى أن ينتقل من مكان إلى آخر ويزعج غيره بهذه الطريقة .

وابتعد الرجل أخيراً ، وتمكن مستر ليد بيتر من مشاهدة المناظر التى تجرى أمامه دون أى أزعاج . وما أن أنتهى الفيلم وعادت الأضواء إلى الصالة حتى أطلق تنهيدة ارتياح .

ولم يكن من عادته مغادرة الصالة فور انتهاء العرض فقد كان لابد له من لحظة طويلة قبل أن يغرق من جديد فى واقع الحياة اليومية وألقى نظرة حوله . كان النظارة قلة ، فقد هرع جميع الأهالى تقريباً إلى ميدان السباق ، ولم يكن مستر ليد بيتر من هواته . وأسرع النظارة إلى باب الخروج ، وكان الرجل الذي يجلس فى المقعد الذى أمامه راقداً ... مسترخيا فوق مقعده ، فامتعض اذ لم يكن يروق له أن يرى أحداً ينام أثناء العرض وقبل أن يصل مستر ليدبيتر إلى الباب ألقى نظرة خلفه فرأى جمهرة من بعض النظارة فى الصاله وشرطيا ... لا ريب أن ذلك الرجل النائم كان ثملاً .

وتردد لحظة ، ولكنه لم يلبث أن خرج فأضاع بذلك أكبر فرصة كان يمكن ان يشاهدها طوال حياته .

فقد قال الشرطى : أظن أنك على حق يا سيدى ان هذا الرجل مريض ...

حسناً ... بماذا تشعر يا صاحبى ؟

وربت بيده على كتف الرجل ولكنه لم يلبث أن ردها على الفور ونظر اليها ثم صاح مرتاعاً : دم :

ورأى فى نفس اللحظة ، تحت مقعد الرجل دليلا لمواعيد القطارات .

* * *

٢٤

هذا الفصل لا ينتمى
إلى مذكرات الكابتن هاستنجز

غادر مستر تاست صالة السينما ، ونظر إلى السماء ثم قال : الجو جميل الليلة . ومضى فى طريقه مسرع الخطى والبسمة تعلو شفتيه . وبلغ فندق « البجعة البيضاء » الذى ينزل به وصعد إلى غرفته وهى غرفة صغيرة تطل على فناء داخلي ، وفيما هو يدفع الباب تلاشت ابتسامته فجأة فقد رأي بقعة فى طرف كمه ، ولمس موضعها بطرف أصبعه فإذا بها لزجة وحمراء ... دم .

ودس يده فى جيبه وأخرجها بشىء طويل رفيع ... خنجر ... كان سلاحه حاداً ولزجاً هو الآخر .

وجلس فوق مقعد وبقى لحظة واحدة جامداً لا يتحرك .

وراح يردد البصر حوله كالحيوان الطريد ، ويمر بلسانه على طرفى شفتيه .

وقال أخيراً : ليس الذنب ذنبى .

وبدأ كما لو كان يتحدث مع شخص آخر ... كما لو كان طالباً يدافع عن نفسه أمام استاذه .

ولعق بلسانه شفتيه مرة أخرى ، ولمس بقعة الدم بطرف اصبعه . ورأى طست الماء فى هذه اللحظة فوق طاولة الزينـة ، فأسرع وافرغ فيه بعض الماء من أبريق فوق الطاولة ، وخلع جاكتته . وغسل الكم ثم شطفه فى عناية كبيرة ، وقال : يا الهى .. لقد أصبح لون الماء أحمر .

وفى هذه اللحظة سمع طرقة على الباب فتسمر فى مكانه . وفتح الباب ودخلت

خادمة وفى يدها ابريق ماء وقالت :

- معذرة يا سيدى ... أننى اتيتك بماء ساخن .

واستطاع تاست أن يتكلم أخيراً فقال : شكراً لك ، أننى غسلت يدى بالماء البارد .

ولكن لماذا قال ذلك ؟ أنه لم يكد يفرغ من قوله هذا حتى نظرت الخادمة الى الطست فأسرع يقول على الفور : أننى جرحت يدى .

وساد صمت .. صمت طويل قطعته أخيراً قائلة : آه ... لا بأس يا سيدى .

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها .

ولم يتحرك مستر تاست من مكانه ، وظل جامداً كتمثال من حجر .

واستطاع أن يتمالك نفسه أخيراً ، فمضى إلى الباب ، والصق اذنه به وارهف السمع ، وهو يتساءل هل هناك من يصعد . ولكنه لم يسمع فيما عدا دقات قلبه .

وتحول فجأة ، وتخلى عن جموده ، فلبس جاكتته ، ومضى إلى الباب على اطراف أصابعه وفتحه . لم يكن هناك أحد .

واستقر عزمه فاندفع فى الطرقه ، وهبط السلم ، وخرج من الباب الخلفى ، وانعطف إلى أول شارع صادفه إلى يساره ، ثم إلى شارع آخر على اليمين . هل يجرؤ على أن يذهب إلى المحطة ؟

ولم لا . سيكون هناك حشد من الناس ، وستكون هناك قطارات اضافية ، وإذا خدمه الحظ فسينجو من ورطته هذه المرة أيضاً .

* * *

٢٥

هذا الفصل لا ينتمى إلى مذكرات الكابتن هاستنجز

راح المفتش كروم يصغى إلى أقوال مستر ليدبيتر التى كان يدلى بها وهو بالغ التأثر .

- عندما أذكر أن ذلك القاتل كان يجلس على مقربة منى طوال فترة العرض يتجمد الدم فى عروقى أيها المفتش .

قال كروم فى غير اكتراث : قل لى كيف حدث هذا ؟ ... تقول إن ذلك الرجل غادر صالة العرض قبل انتهاء الفيلم ، وأنه تعثر وهو يمر أمامك ؟

- إنه تظاهر بأنه تعثر ... أننى ادرك ذلك الآن ... أنه انحنى فوق المقعد الذى أمامى لكى يلتقط قبعته ، ولابد أنه طعن الرجل المسكين بالسكين فى هذه اللحظة .

ألم تسمع شيئاً ؟ ... صيحة أو حشرجة ؟

كلا ... فقد كان اهتمامى كله مركزاً على أحداث الفيلم .

- هل يمكنك أن تذكر لنا أوصافه ؟

- كان رجلا طويل القامة ، يبلغ طوله نحو ستة أقدام ... عملاقاً كبيراً .

- أشقر أم أسمر ؟

- لا أستطيع القول ... أظن أنه كان أصلع ... وكان عابس الوجه .

سأله المفتش : هل كان يعرج ؟

- بلى ... بلى ... اتذكر الآن انه كان يعرج ... كان ملوح الوجه هز المفتش رأسه ثم طلب منه أن يوقع على أقواله وصرفه . وقال بعد لحظة فى لهجة تدل على مدى ما

يشعر به من خيبة أمل :

- لن نستطيع أن نجد شاهداً تافها مثله ... إنه يردد ما يقال له . ومن الواضح أنه لا يعرف أوصاف ذلك الرجل ؟

قال الكولونل أندرسون : أن الطبيب الشرعى فرغ من فحصه . ولكن لنستمع إلى الشاهد التالى .

ودخل شرطى فى هذه اللحظة ، ورفع يده بالتحية وقال : أقبل مستر بوارو وبرفقته رجل آخر يا سيدى . قطب المفتش كروم جبينه ولكنه قال : أوه ... دعهما يدخلان .

٢٦

جريمة ثورن

استقبلنا الكولونيل اندرسون مرحباً وقال : يسرنى أنك أتيت يا مستر بوارو .. ها نحن أمام الجريمة الرابعة ، وهى جريمة تدل علي جرأة القاتل هذه المرة ، فقد انحنى وطعن القتيل فى ظهره .

- آه ... آه ... اذن فقد استخدم السكين هذه المرة .

- أنه يغير طريقته قليلاً ، اليس كذلك ؟ ... الضرب على الرأس أولاً ثم الخنق والطعن أخيراً ... ها هو التقرير الطبى ... إذا شئت أن تقرأه .

سأله بوارو : هل عرفت من هو القتيل ؟

- نعم ، لقد تجاوز أ . ب . ت . حرفاً هذه المرة . فان القتيل يدعى جورج ايرفيلد ويعمل حلاقاً .

تمتم بوارو : هذا عجيب :

وقال الكولونيل : انه أخطأ فى حرف .

وقال كروم : هل تريد أن نستمع إلى الشاهد التالى ؟ ... أنه فى عجلة من أمره .

– دعه يدخل .

ودخل رجل متوسط العمر ، شديد الانفعال وقال فى صوت حاد : لم أر فى حياتى شيئاً كهذا ... ان قلبى ضعيف ... وكان يحتمل أن أموت من الصدمة .

سأله المفتش : ما اسمك ؟

– تورنديك ... ثاديوس ثورنديك .

– ومهنتك ؟

– مدرس بمدرسة هايفيلد للأولاد .

– هل تتكرم فتذكر لنا ما حدث يا مستر ثورنديك ؟

– أستطيع أن أذكر لك ما حدث فى بضع كلمات يا سيدى . انني نهضت فى نهاية العرض ، وكان المقعد الذى إلى يساري شاغراً ، أما التالى له فكان يجلس عليه رجل كان يبدو أنه غارق فى النوم . ولم أستطع أن أمر لأن ساقيه كانتا ممدودتين أمامه فرجوته أن يسمح لى بالمرور . ولما لم يتحرك أعدت عليه القول فى صوت مرتفع ، ولكنه لم يرد ، فهززته من كتفه لكى يصحو ، فازداد جسده ارتخاء ، وحسبت أنه فقد وعيه أو أنه مريض فصرخت بأعلى صوتى « هنا رجل مريض وأقبل الشرطى الملحق بالسينما ، وألقى بيده على كتف الرجل ، ثم رفعها فإذا بها دم ، ورأينا دليلا لمواعيد القطارات تحت المقعد ، صدقونى أيها السادة اننى احسست بانفعال شديد . كان يحتمل أن أموت بالسكتة القلبية ، فإننى أشكو من داء القلب منذ سنين حدق الكولونيل اندرسون فى الرجل مليا ثم قال له : اعتبر نفسك سعيداً يا مستر ثورنديك ... انك

كنت تجلس بعيداً عن ذلك الرجل بمقعدين ، أليس كذلك ؟

- الواقع انني جلست في البداية بجوار القتيل ، ولكنني لم ألبث أن غيرت مكاني بعد ذلك ، وانتقلت إلى مكان آخر خلف مقعد شاغر .

- أنك تشبه القتيل طولاً وقامة تقريباً ، وتلف عنقك بكوفية من الصوف مثله .

قال مستر ثورنديك في جفاء : مازلت لا أفهم .

- أصغ إلى جيداً اذن ... انى أحاول أن أقول لك أنك محظوظ . فعندما تعقبك القاتل اختلط عليه الأمر ، من الظهر ، وأراهن يا مستر ثورنديك انك انت الذى كنت مقصودا بالقتل .

وإذا كان قلب مستر ثورنديك قد تحمل الصدمة حتى اللحظة ، فانه سرعان ما انهار أمام هذا النبأ ، وتهالك الرجل فوق مقعد ، وفتح فمه ، واحمر وجهه ، وقال لاهثا .

- ماء ... كوب ماء ...

وجىء له بكوب من الماء ، راح يجرعه في بطء ولم يلبث أن عاد إلى لونه الطبيعي وهتف :

- أنا ؟ ... ولماذا ؟

قال كروم : من رأيى أن هذا هو التفسير الوحيد المعقول .

- هل تعتقد أن ذلك الرجل ... ذلك الشيطان ... ذلك المجنون المتعطش لسفك الدماء ، تبعني ليسدد إلى طعنة من خنجره في الوقت المناسب ؟

- تماماً .

صاح المدرس محنقاً : لماذا بحق السماء ؟

- وهل نستطيع أن نعرف ما يدور في ذهن المجانين .

قال مستر ثورنديك وقد هدأ أخيراً : الحمد لله . ونهض واقفا ، وقد بدا عليه أنه

شاخ عشر سنوات ، وقال : إذا كنتم قد فرغتم منى فاننى أود أن أعود إلى البيت ، فانى لست على ما يرام .

- كما تشاء يا مستر ثورنديك . سأرسل معك شرطياً لكى تعود الى بيتك سالما .

وألقى الكولونيل أندرسون إلى المفتش كروم نظرة لها معناها ، فأسرع هذا الأخير بمغادرة الغرفة خلف مستر ثورنديك .

وقال الكولونيل : أخشى أن تقع جريمتان هذه المرة .

وعاد المفتش كروم وقال : اننى أصدرت تعليمات للمفتش رايس وسيضع حراسة مشددة على البيت .

قال بوارو : هل تعتقد أن أ . ب . ت سيعيد الكرة حين يتحقق من خطئه ؟

أجاب أندرسون : هذا محتمل ، فان أ . ب . ت رجل منظم ومرتب ، وستثور ثائرته عندما يرى أنه شذ عن برنامجه .

هز بوارو رأسه فى تفكير ، وعاد الكولونيل يقول محنقاً : وددت لو أن أعرف أوصافه الحقيقية ، فاننا حتى الآن لم نتقدم خطوة واحدة منذ اليوم الأول .

قال بوارو : تذرع بالصبر .

- أراك متفائلاً يا مستر بوارو فهل أستطيع أن أعرف السبب ؟

- أن القاتل لم يقدم على أية هفوة حتى الآن ، ولكنه لن يلبث أن يرتكب حماقة ما .

قال المفتش كروم ساخراً : أعلى هذا تبنى الآمال ؟

ودخل شرطى فى هذه اللحظة وقال : مستر بول ، صاحب فندق البجعة البيضاء هنا يا سيدى ومعه فتاة ... ويقول أن لديه أقوالاً هامة .

- دعهما يدخلان ... على الرحب والسعة .

ودخل مستر بول ، وهو رجل بدين متبلد الذهن بطىء الحركة ، تفوح .. من فمه

رائحة البيرة ، ومعه فتاة سمينة واسعة العينين تضطرب لفرط الانفعال .

وقال الرجل : أرجو ألا أزعجكم أيها السادة ولكننى رأيت أن أسرع اليكم لأن ماري تريد أن تدلي اليكم ببعض المعلومات .

قال اندرسون : اقتربى يابنتى . ما اسمك ؟

- مارى يا سيدى ... مارى ستراود .

- اننا نصغى اليك يا مارى .

نظرت مارى إلى مخدومها ، وقد ارتسمت فى عينها نظرة ضياع ، فأسرع مخدومها الى نجدتها وقال :

- انها هى التى تحمل الماء الساخن إلى النزلاء عادة ، ولدينا الآن ستة منهم ، أقبلوا بسبب السباق . والآن ، تكلمى يابنتى واذكري لهؤلاء السادة ما رأيت ... ليس هناك ما تخشينه الآن .

تنهدت مارى وقالت دفعة واحدة : طرقت الباب فلم أسمع رداً ، ولولا ذلك ما دخلت . وفتحت الباب ، ورأيت النزيل يغسل يديه . وامسكت لكى تسترد نفسها فقال أندرسون : استمرى يابنتى .

- ولما قلت له أننى أتيته بالماء الساخن ، قال انه غسل يديه بالماء البارد ، ونظرت إلى الطشت عندئذ فإذا بالماء أحمر اللون يا سيدى .

واردفت تقول : ... وكان منظره غريبا بحيث استولى على الخوف سألها اندرسون على الفور : ومتى كان هذا ؟

- فى نحو الخامسة والربع يا سيدى .

صاح أندرسون : أى منذ أكثر من ثلاث ساعات ... لماذا لم تأتيا على الفور ؟

أجاب بول : لم أكن أعرف شيئاً من هذا يا سيدى . ولكن عندما سمعنا بنبأ الجريمة . قالت مارى أن الطشت الذى بغرفة النزيل قد يكون به دم . فلما سألتها عن

السبب ذكرت لى القصة كلها . وشككت فى الأمر ، وصعدت إلى الغرفة فلم أجد بها احداً . ورأيت عندئذ أن من الأوفق أن تأتى مارى وتذكر لكم ما حدث .

أمسك المفتش كروم ورقة وقال : هل تستطيعين أن تدلى الينا بأوصاف هذا الرجل ... لا يجب أن نضيع دقيقة .

قالت مارى : أنه معتدل القامة محدودب الظهر قليلا ويلبس نظارة ؟

– وبذلة غامقة اللون وقبعة من اللباد ... وزرى الهيئة .

ولم تستطع أن تضيف المزيد .

أصدر المفتش أوامره على الفور ، وسرعان ما جاءت المعلومات التى يريدها فقد رؤى الرجل وهو يخرج من الباب الخلفى ، ولم يكن يحمل حقيبة ولا أى شىء آخر فقال :

– الحقيبة ... ربما مازالت أمامنا فرصة .

وأرسل رجلين إلى الفندق عادا بعد عشر دقائق وقال أحدهما : قد أحضرت معى سجل القيد .

واقتربنا جميعا يدفعنا الفضول ، وقال الكولونيل أندرسون : أ . ب . تاز أوتاش .

وقال كروم فى لهجة لها مغزاها : أ . ب . ت .

قال أندرسون : والحقيبة ؟

– هى حقيبة كبيرة يا سيدى مشحونة بعلب من الكرتون بها جوارب حريرية .

نظر كروم إلى بوارو وقال : اننى أهنئك لقد أصدقتك حاستك .

* * *

٢٧

هذا الفصل لا ينتمى
إلى مذكرات الكابتن هاستنجز

كان المفتش كروم موجودا فى مكتبه عندما صلصل جرس التليفون فتناول السماعة وسمع صوتاً يقول :

- أنا جاكوب يا سيدى . لدى هنا شاب أدلى إلى بقصة أظن أن من الأوفق أن تستمع اليها .

تنهد المفتش . كان يأتى كل يوم أكثر من عشرين شابا بحجة أن لديهم معلومات عن أ . ب . ت ، بعضهم معتوهون مسالمون ، والبعض الآخر يتمتعون بكامل قواهم العقلية ، ولكنهم يعتقدون بسلامة نية أن المعلومات التى لديهم على جانب كبير من الأهمية ، وربما كان العكس . وكان الرقيب جاكوب مكلفاً بالتحقق من ذلك وبمعنى آخر بعدم الاهتمام إلا بالحالات الهامة فقط .

- حسناً يا جاكوب ...

وبعد بضعة دقائق دخل جاكوب قائلاً .

مستر توم هارديجان ولديه معلومات تتعلق بصاحبنا أ . ب . ت .

نهض المفتش وبسط يده للشاب فى رقة وقال : صباح الخير يا مستر هارديجان ... تفضل بالجلوس ، هل تدخن ... خذ سيجارة ... تفضل .

جلس توم وردد البصر حوله . كان يظن أن المفتش شخصية هامة ، ولكنه أحس بخيبة أمل حين وجد أمامه رجلا عادى المظهر كغيره من الرجال وقال المفتش :

- يبدو أن لديك معلومات هامة تريد الادلاء بها ... اننى مصغ اليك .

قال توم فى شىء من الانفعال : من الجائز ألا تكون لمعلوماتى اية قيمة ، فهى تقوم على مجرد فكرة خطرت لى ، وأخشى أن أضيع وقتك .

- سوف نرى . تكلم .

- أنا خطيب فتاة تؤجر أمها غرفا مفروشة فى كومدن ، واحدى هذه الغرف يقيم فيها منذ عام رجل يدعى تاست .

- وما هى أوصافه

- يبلغ حوالى ستين عاما من العمر ، ويكاد يكون مخنثاً ، وهو يعيش بمفرده ، والمعروف عنه على كل انه مسالم وغريب الأطوار ، ولم يكن استغرب أمره لولا نقطة لفتت انتباهى .

- وما هى ؟

لقد صارح خطيبتى بأنه ذاهب الى شلنتهام ولكنى رأيت مستر تاست فى محطة ايستون ، ثم استطرد يقول :

- ولك أن تعتقد ما تشاء يا سيدى ، ولكن أثارتنى هذه الواقعة جداً ، لأن خطيبتى ليلى كانت قد ذكرت لى أنه راحل إلى شلنتهام كما أكدت أمها لى ذلك هى الأخرى . ولم أعلق على الأمر أهمية فى ذلك الوقت ، ولكن ليلى تمنت ألا يقع مستر تاست بين يدى أ . ب . ت وألا يقتله هذا الأخير فى ثورن . وقد شاءت الصدفة أن يكون مستر تاست فى تورستون يوم ارتكاب الجريمة الأخيرة وأردت أن أداعبها فسألتها إن لم يكن قد ذهب إلى بكسهيل فى المرة السابقة ، فأجابتنى بأنها لا تدرى وإن كل ما تعرفه هو أنه مضى إلى شاطىء البحر فى ذلك اليوم ، فقلت لها إنها لتكون مصادفة عجيبة لو اتضح انه هو أ . ب. ت فأجابتنى بأن الرجل المسكين لا يمكن أن يفكر فى ايذاء ذبابة ولم أفكر فى أمره بعد ذلك ولكن الصحف ناشدت جميع المواطنين بعد جريمة ثورن بالادلاء بكل ما يعرفون عن رجل يدعى تاز أوتاش ، وذكرت أوصافاً تكاد تكون اشبه بأوصاف مستر تاست . وما أن استطعت أن اتحرر من عملى

حتي أسرعت إلى ليلى وسألتها عن الحروف الأولى لأسماء النزيـل الذي لديهم ، فلم تتذكرها بادىء الأمر ولكنها لم تلبث أن قالت أنها أ . ب . ت . ، وحاولنا بعد ذلك أن نعرف إن كان قد ذهب إلى أندوفر فى اليوم الذى وقعت فيه الجريمة هناك ، ولم نلبث أن تحققنا أنه كان مسافراً فى ذلك اليوم .

كان المفتش كروم قد أبدى اهتماماً كبيراً بأقوال الشاب ، وراح يدون ، ما بين لحظة وأخرى بعض الملاحظات . وقال بعد أن فرغ توم :

- هل هذا كل شىء ؟

- نعم يا سيدى . وأننى أقدم معلوماتى هذه لعلها تؤدى إلى شىء على الرغم من أننى أرجو ...

واضطرم وجهه فقال المفتش : انى أشكرك كثيراً . أن معلوماتك هذه طفيفة ، ويمكن أن تكون التواريخ مجرد مصادفات ، وكذلك تشابه الأسماء ومهما يكن فلابد لنا من تحرى الأمر . هل مستر تاست موجود فى البيت الآن ؟

- نعم يا سيدى .

- ومتى عاد ؟

- فى نفس الليلة التى وقعت فيها جريمة ثورن .

- وماذا يفعل منذ ذلك الوقت ؟

- إنه يبقى فى غرفته جزءاً من النهار . ومسز ماربورى تجده غريب الاطوار ، فهو يلتهم جميع الصحف التى تصدر ، فيهبط فى ساعة مبكرة من الصباح ويشترى الصحف ثم يخرج عند هبوط الليل ، ويشترى صحف المساء . وتقول مسز ماربورى أنه يحدث نفسه أكثر الأوقات .

- وما هو عنوان مسز ماربورى ؟

وقال المفتش بعد أن ذكر له توم العنوان : شكراً لك . سأذهب هناك اليوم ، ولا داعى لأن انصحك بالكتمان إذا اتفق والتقيت بمستر تاست . ونهض واقفا ، وشد على

يد الشاب ، وقال له : اشكرك مرة أخرى . إلى الملتقى يا مستر هارديجان .

وجاء جاكوب بعد لحظات وقال مستفهماً : حسناً ... أظن أننا وقعنا على القاتل هذه المرة .

- هذا جائز . ولكن لابد من التحقيق من بعض النقاط أولاً . ارسل رجلين إلى كومدن لمراقبة البيت ، واحرص على عدم اثارة خوف صاحبنا هذا ، فانني أريد أن أتحدث اليه ... أظن أن من الأفضل أن تأتوا به هنا لكى أستمع إلى أقواله .

وفى الخارج ، كان توم قد لحق بليلى ماربورى ، وكانت تنتظره على ضفاف التايمز فسألته تقول : حسناً ياتوم ؟

- انني قابلت المفتش كروم الذى يقوم بالتحقيق فى القضية ، ولست أراه أهلا بها .

- وماذا قال لك ؟

وروى لها توم فى ايجاز الحديث الذى دار بينه وبين المفتش ، وقالت ليلى بعد أن فرغ :

- إذن فهو يعتقد أن مستر تاست هو القاتل ؟

- إنه يشك فى امره ، وسينتقل لاستجوابه .

- مسكين مستر تاست .

- ولماذا ترثى له ؟ ... إذا كان هو أ . ب . ت حقاً فانه يكون قد ارتكب أربع جرائم .

تنهدت ليلى وهزت رأسها قائلة : هذا فظيع .

- هلمى بنا لكى نتناول الغذاء يا حبيبتى . إذا صح حدسى فستتحدث الصحف عني وعنك وعن أمك وقد تنشر صورنا .

- أوه يا توم .

وأمسكت بذراع خطيبها فى انفعال كبير . وقال الشاب : ما رأيك فى مطعم كورنر هاوس ... حسنا ، هلمى بنا أذن .

- أرجو أن تمهلنى دقيقة واحدة ... يجب أن أتكلم فى التليفون أولاً .

- مع من ؟

- مع صديقة لى كنت قد تواعدت معها .

وعبرت الشارع ودخلت كشكا للتليفون ، وعادت إلى خطيبها بعد ثلاث دقائق مضطربة الوجنتين وقالت :

- هلم بنا الآن .

* * *

أعاد مستر تاست السماعة مكانها فى بطء والتفت إلى مسز ماربورى ، وكانت تنظر إليه فى فضول . وسألته قائلة :

- لم يسبق أن طلبك أحد فى التليفون يا مستر تاست .

- نعم . هذا صحيح .

- أرجو ألا تكون هناك أنباء سيئة .

- كلا . كلا .

وقال لنفسه : ما أشد فضول هذه المرأة ... وقعت عيناه على أنباء الزواج والمواليد فى احدى الصحف فقال :

- وضعت أختى مولودا ... ولداً .

ولم تكن له أخت ... بل لم يكن له أهل . وصاحت مسز ماربورى : أوه ... هذا نبأ سعيد . اننى دهشت جداً عندما طلبتك هذه المرأة فى التليفون . خيل لى فى بادىء الأمر أن الصوت صوت ابنتى ليلى . ولكنه كان أكثر حدة وقوة . اننى أهنئك يا مستر تاست . هل هذا أول مولود لأختك أم أن لها أولاداً آخرين ؟

- كلا . هذا هو المولود الأول ... والأخير ... ولكن يجب أن أسرع ... إنها تنتظرنى ... وإذا أسرعت فقد أستطيع اللحاق بالقطار قبل قيامه .

صاحت مسز ماربورى تقول وهو يصعد السلم : هل سيطول غيابك يا مستر تاست ؟

- أوه ، كلا ... يومان أو ثلاثة لا أكثر .

وأسرع إلى غرفته ، وعادت مسز ماربورى إلى غرفتها وهى بالغة التأثر تفكر فى المولود الصغير العزيز .

وفجأة أحست بوخز الضمير ... أفلم يحاول توم وليلى الايعاز بأن مستر تاست هو ذلك القاتل المجنون المعروف باسم أ . ب . ت ، وذلك لا لشىء إلا لأن الحروف الأولى من اسمه الثلاثى تطابق الحروف الأولى من اسم القاتل ، ولأنه سافر صدفه فى نفس الأيام التى وقعت فيها تلك الجرائم . وقالت تحدث نفسها :

- لا ريب انهما لا يؤمنان بما يقولان ، وأرجو أن يحمر وجهاهما خجلا . فان مجرد طفل لاخت مستر تاست أبعد عن قلب المرأة الباسلة كل شك فيما يتعلق بنزيلها ، وتمتمت تقول : أرجو أن لا تكون المسكينة قد تألمت كثيراً .

وهبط تاست السلم فى هدوء وحقيبته فى يده . ووقعت عيناه على التليفون ، فتذكر الحديث القصير الذى دار بينه وبين محدثته المجهولة .

- أهذا أنت يا مستر تاست ؟ ... أظن أنه يجب أن أقول لك أن أحد مفتشى ادارة اسكوتلانديارد فى الطريق اليك .

ولكن بماذا أجاب ؟ ... أنه لا يدرى ... شيئاً مثال ذلك بلا ريب : شكراً لك يابنيتى ... ما أكرمك حقاً ؟

لماذا كلمته ؟ ... هل خمنت ؟ وكيف عرفت أن أحد المفتشين فى طريقه إليه ؟ ... ولماذا غيرت صوتها وهى تتحدث اليه ؟

لا ريب أنها تعرف ، ولكن إذا كانت قد عرفت فلماذا ؟ ... ؟ ... من يدرى ...

أن النساء أمرهن عجيب . أن بين ضلوعهن قلباً قاسياً وكريماً فى نفس الوقت . ألم يسبق أن رأى ليلى تطلق فأراً من المصيدة ذات يوم ؟ ... انها ذات قلب كريم ، وجميلة فوق ذلك .

وتوقف . بجوار الدولاب الذى يحتوى على المعطف والمظلات ... لو يستطيع ؟ ... ولكنه سمع صوتاً خافتا يصدر من المطبخ فقال لنفسه : كلا ... أن الوقت لا يتسع لذلك ، فقد تخرج مسز ماربورى فجأة وتراه ، وفتح الباب ولم يلبث أن وجد نفسه فى الخارج .

أين يمضى ؟

٢٨

فى اسكوتلانديارد

تم اجتماع جديد بيننا ، أنا وبوارو ومدير البوليس والمفتش كروم . وقال مدير البوليس : كانت فكرتك فى التحرى عن المندوبين الذين يبيعون الجوارب رائعة .

بسط بوارو يديه وقال : كان الأمر فى غاية الوضوح ، فلم يكن معقولاً أن يكون ذلك الرجل وكيلاً عادياً يحاول الحصول على طلبات بالجملة كان يبيع جواربه بنفسه مباشرة .

قال القومسير يسأل المفتش كروم :- هل انتهيت من التحقيق ؟

- نعم . وقمت بتحرياتى فى تورستون وبيجنتون وتوركاى ، وأعددت كشفاً بالأشخاص الذين عرض عليهم جواربه . ويجب أن أعترف أنه كان يعمل بنظام

وترتيب ، فقد نزل بفندق بيت ، وهو فندق صغير أمام محطة ثورن ، وعاد في الساعة العاشرة والنصف من ليلة الجريمة ، ولا ريب أنه استقل قطار التاسعة والدقيقة السابعة والخمسين ، وبلغ ثورن في العاشرة والنصف ، ولم يلحظه أحد لا في القطار ولا في المحطات فقد كان اليوم يوم جمعه وكان القطار مزدحماً بهواة السباق .

وقد ذهبنا الى العنوان الذى ذكره لى مستر هاريجان ، وهناك قيل لى أن مستر تاست خرج منذ نصف ساعة على أثر مكالمة تليفونية ، وهى أول مكالمة له منذ اقامته فى هذا البيت .

قال مدير البوليس : شريك له من غير شك .

قال بوارو :- هذا بعيد الاحتمال ... أن ذلك ليكون عجيباً ... إلا إذا ... تحولنا جميعاً اليه مستفهمين ، ولكنه هز رأسه ، واستطرد المفتش :- تفتيش دقيق فى الغرفة التى كان يقيم فيها لم يعد لدينا أقل شك ، فقد عثرنا على صندوق من الورق الخطابات من نفس النوع الذى استخدمه أ . ب . ت ، وعلى كمية كبيرة من الجوارب ... كما عثرنا على علبة بها ثمانية دلائل لمواعيد القطارات طبعة أ . ب . ت . بين علب الجوارب .

قال المدير :- هذا دليل قاطع .

وأردف المفتش فى انتصار :- ثم أننى أكتشفت شيئاً آخر ، فإننا لم نجد أثراً لخنجر فى غرفته ، ولم يكن من المعقول طبعاً أن يحتفظ به فى غرفته ، ففتشنا البيت ولم نلبث أن وجدناه فى دولاب المعاطف والمظلات بردهة البيت . كان فى جيب أحد المعاطف ، وكان ملوثاً بالدم .

قال مدير البوليس : هذا عمل طيب . لم يبق أمامنا غير شىء واحد .

- ما هو ؟

- هو القاتل نفسه .

قال المفتش فى ثقة كبيرة - سوف نلقى القبض عليه .

- ما رأيك يا مستر بوارو .

كان بوارو غارقاً فى أفكاره ، فأجفل وقال :- معذرة ؟ ... ماذا قلت ؟

- إننا نأمل أن نلقى القبض على القاتل فى وقت قريب ... فما رأيك ؟

- طبعاً . بدون شك .

كان يبدو شارد الذهن بحيث أننا نظرنا إليه جميعاً فى فضول :

- هل هناك ما يضايقك يا مستر بوارو ؟

- نعم ... إننى أبحث عن السبب ... عن الدافع .

قال المدير : ولكننا نواجه معتوهاً يا صديقى .

تدخل كروم فقال : إننى أفهم وجهة نظر مستر بوارو ، وهى وجهة صائبة . أن القاتل يقدم على القتل مدفوعاً بدافع معين ، وأظن أننا نواجه فى هذه القضية عقدة نقص بالغة الحد ، يذكيها اعتقاد بالاضطهاد والتعذيب ، ولا ريب أن صاحبنا هذا يعتقد أن مستر بوارو مخبر سرى مكلف بمطاردته بصورة خاصة .

لم ينطق بوارو واكتفى بأن ابتسم وانفض الاجتماع .

وقال المدير ونحن ننهض : أصبحت المسألة مسألة أيام قلائل كما تقول يا كروم .

قال كروم : كان فى مقدورنا أن نقبض عليه منذ وقت طويل لو أنه كان طبيعياً فى مظهره وتصرفاته . إننا ضايقنا كثيراً من الأبرياء فى الأيام الأخيرة .

وقال المدير : إننى أتساءل أين يمكن أن يكون مختفياً فى هذه اللحظة .

* * *

٢٩

هذا الفصل لا ينتمى
إلى مذكرات الكابتن هاستنجز

وقف مستر تاست أمام محل لبيع الخضر وأصناف البقالة ، ونظر الى الرصيف المقابل ... لم يكن هناك أى شك .

فقد كانت هناك لافتة فوق المحل عليها هذه الكلمات .

" مسز آشير ... سجائر وصحف » .

وعلى باب المحل نفسه لافتة صغيرة عليها كلمة « للايجار » وهز رأسه فى بطء ومضى فى طريقه .

لقد أصبح الموقف لا يحتمل ... لا يحتمل خاصة وأنه لم يبق معه أية نقود ... أنه لم يذق شيئاً طوال اليوم ، وأصبحت معدته تشكو الجوع بشكل فظيع .

واستولى عليه الدوار . وتوقف أمام أحد محال بيع الصحف ووقعت عيناه على عنوان ضخم :

جريمة أ . ب . ت . القاتل لا يزال طليقاً .

حديث مستر هركيول بوارو .

وقال يحدث نفسه :- هركيول بوارو ... أتراه يعلم ؟

وتابع طريقه وهو يقول لنفسه :- من الحماقة أن أقف أمام هذا العنوان ... إننى لا أستطيع أن أتسكع هكذا الى ما لا نهاية .

وراح يمشى على غير هدى ، وهو يرمى نفسه بالغباء .

لقد كان غبياً طوال عمره ، وأثار سخرية الناس ، ولا يجب أن يلوم الا نفسه ... ولكن أين يذهب ... لقد هده التعب ، ولم تعد قدماه تقويان على حمله .

ورفع رأسه ورأى أمامه كلمتين : قسم الشرطة .

وقال مكشراً : هذا عجيب !

ودخل . وما كاد يجتاز الباب حتى ترنح وهوى ورأسه الى الأمام .

٣٠

هركيول بوارو يسأل

ذهب الدكتور طومسون وكبير المفتشين جاب فى أحد أيام نوفمبر لزيارة بوارو فى مسكنه وابلاغه نتيجة التحقيق القضائى فى قضية الكسندر بونابرت تاست .

وكان بوارو يشكو من نزلة برد بسيطة ، ولهذا لم يحضر التحقيق وقال جاب :

– أنه سيقدم للمحاكمة ، وستعين له المحكمة محامياً للدفاع عنه . إن وكيل النيابة لوكاس يريد أن يفرغ من القضية على عجل لكى يهدىء الرأى العام . ومهما يكن فإننى أظن أن محامى المتهم قد يطالب بتخفيف الحكم استناداً الى أن المتهم مجنون .

هز بوارو كتفيه : أن القضاء لا يبرىء مجنوناً ، والبقاء فى السجن أطول مدة ممكنة أفضل من الموت شنقاً على كل حال .

قال جاب : اذا تمكن المحامى من التركيز على جريمة بكسهيل فسوف ينهار الاتهام من أساسه . ولكن لو كان مصمما على أن يحصل على حكم بالادانه .

تحول بوارو الى طومسون وسأله :- ما رأيك يا دكتور ؟

- فى تاست ؟ ... الواقع أننى لا أدرى ماذا أقول ... يبدو أنه متمالك لكل قواه العقلية : ومهما يكن فهو فريسة للصرع .

قلت : لقد أدهشنى النهاية كثيراً .

- هل تعنـــى وقوعـــه فى قســـم الشـــرطة فى اندوفر والأزمة التى اعقبـت ذلك ؟

لم يكن فى الإمكان اختلاق نهاية أكثر فظاعة لهذه المأساة البشعة ... إن أ . ب. ت . عرف دائماً كيف يرعى أموره .

سألت : هل يمكن أن يرتكب شخص جريمة قتل دون أن يدرى ؟ إن فى أقواله لمسة كبيرة من الصدق .

ابتسم الدكتور طومبسون وقال :- لا تخدعنك مثل هذه الأقوال المسرحيـة ...

« أقسم بالله » ... من رأيى أن تاست يعرف تماماً أنه ارتكب هذه الجرائم .

قال جاب : عندما ينكر الانسان بمثل هذه القوة فإننى أشك فى براءته .

وقال طومبسون : أما عن سؤالك الذى القيته على فالمعروف أن المصاب بالصرع ، اذا مشى وهو نائم يمكن أن يقدم على أى عمل دون أن يدرى ، ولكن ذلك العمل لا يجب أن يتعارض مع ارادته وهو فى حالة الصحو على كل حال . ومهما يكن فإننى لا أصـدق أن تاســت ارتكب جرائمة دون أن يدرى . كان فى الامكــان أن أؤيد هذا الرأى لو لم تكن هناك الخطابات ، فإنها تدل على التعمد والاعداد لكل جريمة من هذه الجرائم .

قال بوارو :- مازلنا نجهل السبب فى هذه الخطابات .

- أيزعجك هذا الأمر ؟

- طبعاً . فقد أرسلت الىّ ، وتاست مصر على التزام الصمت فيما يتعلق بها ، وطالما لم أعرف السبب فى إرسالها فإننى سأعتبر أن القضية لم تنته بعد .

- نعم . إننى أفهم وجهة نظرك . ولكن ألا يمكن أن تكون قد اهتممت بذلك الرجل فى قضية سابقة ؟

- كلا .

- قد يكون اسمك هو الدافع .

- اسمى ؟

- نعم . أن تاست يحمل ثقل اسمين مشهورين ، ولعلها نزوة من أمه حين أسمته أسكندر بونابرت ، وقد تكون عقدة النقص ناشئة منهما ... الاسكندر الذى لم يعرف الهزيمة أبداً والذى غزا العالم ... وبونابرت الامبراطور العظيم ... ورجلنا هذا يبحث عن غريم فى مستواه ... ولا يجد أمامه غير هركيول ... هركيول البطل .

- إن رأيك هذا له مغزاه يا دكتور .

- أوه ... هى فكرة طرأت لى لا أكثر ... يجب أن أنصرف الآن .

طابت ليلتكم .

وانصرف الطبيب . وبقى جاب وسأله بوارو :- هل يزعجك دليل النفى هذا .. ؟

قال المفتش : طبعاً . لكننى لا أصدقه على كل حال ، لأننى أعرف أنه لا يمكن أن يكون صحيحاً ، غير أن من الصعب تفويضه . أن سترانج هذا رجل بغيض .

- ما شكله ؟

- انه فى الأربعين . مهندس فى التعدين ، يغالى فى تقدير نفسه ... أصر على الادلاء بأقواله قبل رحيله الى شيلى ، ظناً منه أنه يستطيع تسوية كل شيء فى لحظة

واحدة .

قلت : لم ألتق أبداً برجل مغرور مثله .

قال بوارو فى تفكير أنه من ذلك النوع الذى لا يعترف بالخطأ أبداً :- ولن يرجع عن أقواله لأى سبب فهو يصر على أنه التقى بتاست فى فندق وايتكروس بايسنبورن مساء ٢٤ يونية . قال أنه أحس بالوحدة تثقل عليه فمضى الى تاست وتبادل الحديث معه واتضح له أنه محدث لبق وبعد أن تناولا العشاء معاً قضيا الوقت فى لعب الدومينو ، ويقول أنه يهوى هذه اللعبة وأنه سره أن وجد في تاست زميلاً بارعاً . وقد استمرا يزاولان لعبتهما هذه أربع ساعات متوالية ولم يفترق الا قبيل منتصف الليل بعشر دقائق . واذا كان تاست قد تواجد فى فندق وايتكروس بايستبورن فى منتصف الليل ، فلا يعقل أبداً أن يكون فى بكسهيل ، وأن يخنق بيتى بارنارد فيما بين منتصف الليل والواحدة صباحاً من نفس اليوم .

قال بوارو : يبدو هذا غير معقول فى الواقع ... أنها مشكلة عويصة .

قال جاب : وكروم حائر لا يفهم شيئاً .

- والمدعو سترانج يصر على أقواله ؟

نعم . ومن المستحيل أن نجد فيها ثغرة . واذا فرضنا أن سترانج التقى بشخص آخر غير تاست ، فلماذا يدعى ذلك الشخص أنه تاست ؟ لا يمكن أن يكون شريكاً له ، لأن المجنون لا يتخذ له شركاء فهل قتلت الفتاة بعد ذلك ؟

ولكن الطبيب أهل للثقة ، وهو واثق من تشخيصه ، ثم أنه لابد لتاست من بعض الوقت لكى يغادر الفندق بايستبورن ويذهب إلى بكسهيل ، خصوصاً وأنها تقع على بعد عشرين كيلو متراً تقريباً .

قال بوارو : نعم . هذا أمر يدعو إلى الحيرة .

اذا اردت الحق فلا يجب أن نعلق أية أهمية على أقوال المدعو سترانج ...

أن تاست هو الجانى فى جريمة ثورن . وجاكتته الملوثة بالدم والخنجر لا يدعان أى شك فى ذلك وبمثل هذين الدليلين لا يمكن لأية هيئة من المحلفين أن تبرئه ومن هذا يتضح أن تاست هو الذى ارتكب جريمة ثورن ، وجريمة تورستون ، وجريمة أندوفر . ولا ريب أنه هو الذى ارتكب جريمة بكسهيل . وأن كنت لا أدرى كيف فعل .

وهز رأسه ونهض وقال : عليك الدور الآن يا مستر بوارو . أن كروم لا يفهم شيئاً . فدع خلايا مخك التى تكثر الكلام عنها تعمل ، وأرنا كيف أستطاع تاست أن يرتكب جريمة بكسهيل .

وقلت بعد انصراف جاب : حسناً يا عزيزى بوارو : أما زالت خلايا مخك فى نفس المستوى المعروف عنها .

رد بوارو على سؤالى بسؤال آخر فقال : قل لى يا هاستنجز ... هل تعتبر أن هذه القضية انتهت ؟

- طبعاً . أننا القينا القبض على الجانى ، وغلك الأدلة التى تدينه ، وان كانت تنقصنا بعض النقاط .

هز بوارو رأسه وقال :- القضية انتهت ... انتهت ... أنك متعجل ياهاستنجز .

أن القضية هى الرجل ، وما لم نعرف كل ما يتصل بهذا الرجل بالذات فإن السر سوف يبقى على غموضه ... لا تفتخر بالنصر لأننا القينا القبض عليه .

- ومع ذلك فقد عرفنا عنه الكفاية .

- بل أننا نعرف عنه شيئاً ... أننا نعرف أين ولد ، ونعرف أنه اشترك فى الحرب ، وأصيب بجرح فى رأسه ، وأنه سرح من الجيش بسبب الصرع ، ونعرف أنه يقيم فى غرفة مفروشة ببيت مستر ماربورى منذ نحو سنة ، وأنه يقضى حياة هادئة طيبة ،

وينتمى الى تلك الطبقة من الناس التى لا يهتم بها أحد . ونعرف كذلك أنه ارتكب بذكاء سلسلة من الجرائم ، وقتل دون رحمة أو تمييز ، وانه ارتكب ، على الرغم من ذلك بعض الحماقات . ونعرف أيضاً أنه لم يدع التهمة تقع على غيره بدافع طيبته ، وأنه اذا كان يريد الاستمرار فى جرائمه فلم يكن هناك ما يمنعه من أن يدع غيره يتحمل وزر جرائمه . هل تفهم الآن ياهاستنجز ؟ ... إن هذا الرجل هوة من المتناقضات ... غباء ودهاء ... قسوة وكرم ... يجب أن نكتشف العامل الأساسى الذى يوفق بين ازدواج هذه الشخصية .

آه .. اذا كنت ستنظر إليه من الناحية النفسية ...

ألم أحاول منذ البداية أن أفهم روح هذا المجرم ؟ ... اعترف اننى لم أفهمها بعد . اننى شديد القلق ياهاستنجز .اننى اريد أن أعرف لماذا ارتكب هذه الجرائم ، وكيف اختار ضحاياه .

- بالترتيب الهجائى .

- وهل بيتى بارنارد الوحيدة التى يبدأ اسمها بحرف الباء فى بكسهيل ... بيتى بارنارد ... أن لدى فكرة بخصوصها ... ولكن ...

ولزم الصمت لحظة . ولم الق عليه أى سؤال .

والحقيقة اننى لم ألبث أن غرقت فى النوم .

وعندما صحوت أحسست بيد بوارو على كتفى وسمعته يقول : أنك تجلب لى الحظ يا صديقى . ووجودك معى يلهمنى .

- وبأى شىء الهمتك هذه المرة ؟

- كنت أسأل نفسى عندما تذكرت عبارة نطقت أنت بها مبدياً ملاحظة قيمة . ألم أقل لك أن لك موهبة ، وهى انك ترى ما يفقأ العين ... أنها ملاحظة عظيمة لم أهتم بها فى حينها .

- وما هي هذه الملاحظة العظيمة التي تتكلم عنها ؟

- أن كل شيء يبدو لي واضحاً تماماً الآن ... وأجد الرد على كل أسئلتي ... لماذا مسز آشير ؟ ... ولماذا سير توماس ترنت ، ولماذا جريمة ثورن ... ولماذا هركيول بوارو ؟

- هل تتكرم وتشرح لي الأمر ؟

- ليس الآن ... انني بحاجة الى بعض المعلومات أولاً ... وستأتيني بها « الفرقة الخاصة » وما إن أعرف الرد على سؤال معين حتى أذهب الى أ . ب . ت ... سيجد كل منا نفسه أمام الاخر أخيراً ... أ . ب . ت . وهركيول بوارو ... الغريمان ؟

- وعندئذ ؟ ...

- سوف نتحدث عندئذ . ولتعلم ياهاستنجز أنه ليس هناك أخطر من الحديث مع ذلك الذي يريد أن يخفي شيئاً . لقد قال فيلسوف فرنسي أن الحديث اختراع بشري لمنع الانسان من التفكير ... وهو كذلك وسيلة أكيدة لاكتشاف ما يحاول أخفاءه . إن المخلوق البشري لا يستطيع أن يقاوم لذة الحديث والتعبير عن شخصيته ... والحديث فرصة وحيدة لذلك .

- وماذا تنتظر من تاست ؟

ابتسم هركيول بوارو وأجاب :- كذبة ... كذبة تكشف لي كل الحقيقة .

* * *

٣١

الكسندر بونابرت تاست

لم أحضر المقابلة التى تمت بين بوارو والكسندر بونابرت تاست ، ذلك الرجل العجيب ، فقد استطاع بوارو بفضل معارفه وصلاته برجال البوليس وبفضل الظروف الخاصة التى ارتكبت فيها الجرائم ... استطاع الحصول على تصريح بزيارة المتهم ، ولكن لم يمتد هذا التصريح لى ، ومن وجهة نظر بوارو كان الضرورى أن يرى ذلك الرجل وجها لوجه .

ولكنه روى لى تفاصيل هذه المقابلة بكل دقة فيما بعد ، بحيث أننى أنقلها الآن على الورق كما حدثت تماماً ، وكما لو أننى كنت حاضراً . بدا مستر تاست أكثر تكوما ، وراح يشد أطراف جاكتته فى انفعال . ولزم بوارو الصمت لحظة ... مكتفياً بالجلوس والتحديق فى الرجل الذى أمامه . ولا ريب أن المواجهة بين هذين الغريمين كانت رهيبة بعد كل المآسى التى وقعت ، وأننى لأرتجف كلما تذكرتها .

ولكن بوارو لم يكن يهمه غير شىء واحد هو أن يفلح فى التأثير على غريمه إلى حد ما .

وقال أخيراً فى رفق : هل تعرف من أنا ؟

هز الآخر رأسه وقال فى رفق : كلا . كلا . إلا إذا كنت رسولاً موفداً من قبل المحامى .

وقد تكلم تاست فى لهجة مهذبة وفى غير اكتراث ... كان يبدو كأن هناك ما يشغل ذهنه .

- أنا هركيول بوارو .

قدم صديقى نفسه فى هدوء ، وانتظر تأثير كلماته على غريمه ، ولكن مستر تاست رفع رأسه وقال :

- آه : ... هذا عجيب .

نطـق بهذه العبارة تماماً كما يفعل المفتش كروم ، ولكن دون أن يكـــون فى لهجتـــه أى شـــىء من الازدراء .... وعاد يقـــول بعد دقيقة فى شىء من الفضول .

- هذا عجيب .

ورفع رأسه وحدق فى بوارو :

وقابل المخبر البلجيكى نظرة تاست بكل ثبات ، وأحنى رأســـه مرتين فى رفق وقال :

- أنا الرجل الذى ارسلت إليه تلك الخطابات .

وتلاشى التأثير على الفور ، فقد خفض مستر تاست عينيه ، وقال محنقاً عابس الأسارير :

- إننى لم أكتب اليك أبداً . لم أرسل اليك أى خطاب ... كم مرة ينبغى أن أقول ذلك .

- إذا لم تكن أنت الذى كتبها فمن يكون ؟

- عدو لى من غير شك . أن لى أعداء كثيرين ، وهم جميعاً يتآمرون ضدى . هذه مؤامرة كبيرة .

لم ينطق بوارو بشىء واستطرد مستر تاست : كنت دائماً ضحية .

- حتى فى حداثتك ؟

بدأ مستر تاست كأنه يفكر ثم قال : كلا ، كلا . ليس تماماً . كانت أمى تعبدنى ،

ولكنها كانت شديدة الطموح ، ولهذا السبب اطلقت علي هذين الاسمين العجيبين . كانت تتصور أننى سأبنى لنفسى مكاناً هاماً فى الحياة . وكانت تحثنى دائماً على أن أؤكد شخصيتى وتحدثنى عن قوة الارادة ، وتزعم أن كلا منا سيد مصيره وتؤكد أننى أستطيع أن أفلح فى كل ما أقوم به من أعمال .

وسكت بضع لحظات ثم قال : وكانت المرأة المسكينة تخدع نفسها . ولم ألبث أن أدركت ذلك . فإننى لم أخلق لكى أتألق فى الحياة . إنما كنت أثير الانتباه برعونتى وغبائـى ، كنـت خجولا وجباناً ، وكنت فى المدرسة اتعرض لسخرية أقرانى بسبب اسمى ... كنت ضعيفا فى كل شىء ... فى الدراسة وفى اللعب .

وهز رأســه فى حزن وقال : الحمد لله على أن أمى ماتت صغيرة ، ولم تر ما أعانيه ، وإلا استولت عليها الحسرة . حتى فى المدرسة التجارية كنت متأخراً ، واستنفذت وقتا أطول لكى أتعلم الضرب على الآلة الكاتبة والاختزال . ومع ذلك فإننى لم أكن أبله أبداً ... لا أدرى إذا كنت تفهمنى .

ورمى محدثه بنظرة كلها توسل فقال بوارو : إننى افهمك جيداً ... استمر .

- ومجرد فكرة أن الجميع يروننى غبياً حطمت معنوياتى أخيراً . وحدث نفس الشىء فيما بعد ... فى المكاتب التى التحقت فيها .

قال بوارو : ولكن ماذا حدث فيما بعد ... أثناء الحرب ؟

انبسطت أسارير مستر تاست فجأة وقال : أعترف لك بأننى لم أكن فى حياتى كلها بأسعد مما كنت أثناء الحرب ... وأثناء وجودى فى الميدان على الأقل ... أحسست لأول مرة بأننى رجل كغيرى من الرجال ... فقد كنا جميعاً فى الهم سواء . والواقع أننى لم أتصرف اسوأ من الآخرين .

وتلاشت ابتسامته فجأة وقال : ثم أصبت فى رأسى . لم تكن إصابة خطرة ، ولكننى لم ألبث أن اكتشفت أننى أصبحت عرضة للأزمات ، وكانت تمر بى أوقات لا أدرى ما الذى كيف أفعله خلالها ، نسيان تام ، ووقعت على الأرض مرة أو مرتين ،

ولكننى لا أعتقد أن ذلك كان سبباً كافياً لكى يفصلونى من وظيفتى ... كلا ، لم يكن ذلك عدلاً .

سأله بوارو : وبعد ذلك ؟

- التحقت بوظيفة فى مكتب ، وكنا نكسب قوتنا بسهولة فى ذلك الوقت ، ولم يكن هناك ما أشكو منه . وغنى عن البيان أن أقول أن المرتب كان ضئيلا ، ولم يكن هناك أى أمل فى الترقية . أما الموظفون الآخرون فكانوا يرتقون ، وبقيت أنا أتخبط ، وتزعـــزع موقفى مع ارتفاع نفقات المعيشة ، والمفروض أن يكون الانسان حسن الهندام . وكان مرتبى يكاد يفى بنفقاتى الضرورية عندما عرضت على هذه الشركة أن أكون مندوبا لها بمرتب ثابت مضافا إليه العمولة .

قال بوارو فى رفق : لعلك عرفت أن هذه الشركة تنكر هذه الواقعة . لم يعرف غضب مستر تاست حداً وهو يقول : هذا دليل على أنها ضالعة فى المؤامرة . لا ريب أن هؤلاء الناس يتآمرون ضدى هم الآخرون . واستطرد : أن لدى دليلاً ... دليلاً مكتوباً على أنها ألحقتنى بالعمل كمندوب لها ، وقد زودتنى بتوجيهات خاصة وبقائمة للمدن والأشخاص الذين يجب أن أمر بهم .

- ولكنه ليس دليلاً مكتوباً - أنها عبارة عن بضع أوراق مكتوبـة على الآلة الكاتبة .

- الأمر سيان . إنها شركة كبيرة ، ولديها موظفون يكتبون على الآلة الكاتبة وكل مراسلاتها تتم على الآلة الكاتبة .

- ألا تعرف يا مستر تاست أن فى الامكان الاستدلال على نوع الآلة الكاتبة ؟ .. أن كل الرســائل مكتوبة على آلة واحدة ، وهذه الآلة ملكك انت وقد وجدوها فى غرفتك .

- إنما أرسلتها إلى الشركة عندما كتبت إلى وألحقتنى بالعمل لديها .

- ولكن هذه الرسائل والأوراق مكتوبة على الآلة الكاتبة التى عثروا عليها عندك ،

وذلك يدل على أنك أنت الذى كتبتها وأرسلتها لنفسك .

- كلا ، كلا ... كل هذا جزء من المؤامرة التى تحاك ضدى .

وأردف : ثم أن الرسائل التى أرسلتها إلى الشركة لابد أنها كتبت على الة كاتبة من نفس نوع الآلة التى عندى .

- ودليل أ . ب . ت ... لقد وجدوا نسخاً كثيرة منه فى غرفتك .

- أننى لا أدرى عنهــا شيئاً ... كنت أعتقد أن كــل العلــب تحتــوى على جــوارب .

- ولماذا وضعت علامة أمام اسم مسز آشير فى قائمة مدينة أندوفر .

- لأننى كنت أنوى أن أبدأ بها ... فقد كان لابد لى أن ابدأ بشخص ما ... إننى لم أرتكب هذه الجريمة ... أننى برىء ... وأنت مخطىء ... ثم أرجو أن تفكر قليلا فى تلك الفتاة التى قتلت فى بكسهيل . كنت ألعب الدومينو فى ايستبورن فى تلك الليلة . لابد لك من أن تسلم بهذا .

نطق بالعبارة الأخيرة فى انتصار ، فقال بوارو فى لهجة معسولة :

ليكن . ولكن من السهل أن يخطىء المرء فى يوم ، أليس كذلك ؟ ... وإذا كنت تصر ونتشبث بهذا القول كما يفعل زميلك مستر سترانج فإنك لن تعترف أبداً بهذا الخطأ . أما التوقيع فى سجل الفندق فإن من الســهل أن يكتب الأنسان تاريخاً زائفاً وهو يوقع باسمه ، ولن يفطن أحد إلى ذلك .

- أؤكد لك أننى لعبت الدومينو فى تلك الليلة وبقيت ألعب حتي الساعة الثانية عشرة إلا عشر دقائق مساء .

- يبدو لى أنك تجيد هذه اللعبة .

دهش مستر تاست لهذا السؤال غير المتوقع وقال : أظن ... أظن ذلك .

- إنها لعبة تحتاج إلى تفكير وذكاء كبير .

- أوه ... أنها لعبة شائقة ... شائقة جداً . وسبق أن لقيت رواجاً كبيراً بين الموظفين فى فترة الظهر ... كان يلتف حولها أناس لا يعرف بعضهم البعض ويتصادفون واغتصب ابتسامة وقال : وإننى أتذكر رجلا ... لم أنس أمره بعد لأنه ذكر لى شيئاً أثار دهشتى ، فبعد أن تناولنا القهوة اشتركنا فى لعبة الدومينو ، وأقسم لك أننى بعد عشرين دقيقة خيل لى أننى أعرف عنه كل شىء .

سأله بوارو : وماذا قال لك ؟

تجهمت أسارير مستر تاست وقال : الحقيقة أنه سخر منى . فقد تكلم عن خطوط اليد ، وأكد لى أن مصير كل منا مكتوب فى يده . وآرانى يده والخطوط التى تشير فيها إلى أنه أفلت من الموت فى الماء والواقع أنه نجا مرتين من الغرق . ثم تناول يدى بعد ذلك ، وتنبأ لى بأشياء عجيبة . قال لى إننى سأعرف شهرة كبيرة فى انجلترا كلها قبل أن أموت ، وأن الجميع سيتحدثون عنى ... ثم ... أردف ...

وهنا خفت صوته ، فسأله بوارو وهو يحدق فيه مليا كما لو كان يريد أن ينومه مغنطيسيا : ماذا ؟

حوّل مستر تاست عينيه عن عينى بوارو ، ثم عاد ينظر إليه كالأرنب المذعور ، وقال وهو يضحك :

- قرأ فى يدى أننى سأموت ميتة عنيفة ... ربما فوق المشنقة ... ولكنه أردف يقول عندما رأى سحنتى تتغير أن الأمر كله مجرد مزاح من جانبه .

وسكت تاست ، وفارقت عيناه عينى بوارو ، وراحت تدور إلى اليمين وإلى اليسار بطريقة عجيبة ، ثم قال :

- رأسى ... إننى أتألم ... أتألم كثيراً ... أحياناً لا أدرى ... لا أدرى ... وتهالك فوق مقعده .

وانحنى بوارو فوقه ، وتكلم فى صوت هادىء ثابت فقال : ولكنك تعلم أنك أنت الذى ارتكبت هذه الجرائم ، أليس كذلك ؟

رفع مستر تاست رأسه ، ونظر إلى وجه محدثه ، ولم يعد يبدى أية مقاومة ، وبدأ أنه ينعم بسلام عجيب وقال : نعم . أعرف ذلك .

واستطرد بوارو : ولكننى لا أخطىء إذا قلت لك أنك لا تعرف لماذا ارتكبتها ؟

هز تاست رأسه وأجاب : الواقع أننى لا أعرف .

٣٢

بوارو يتكلم

كان اهتمامنا كله مشدودا نحو بوارو ونحن فى انتظار قصته النهائية عن جرائم أ . ب . ت .

بدأ قصته فقال : منذ البداية وأنا أتساءل عن سبب هذه الجرائم ، ومنذ أيام قال لى هاستنجز أن دورينا انتهى بالقاء القبض على تاست فقلت له أن السر يبقى قائماً طالما لم نعرف لماذا ارتكب أ . ب . ت جرائمه ، ولماذا اختارنى أنا بالذات لكى أكون غريما له .

« لا يكفى أذن أن نقول أنه مجنون ، فاننا إذا زعمنا أن رجلا يقتل لا لشىء إلا لأنه مجنون فحسب ، فإن ذلك يكفى لكى يكون غباء تاماً . فإن المجنون يتصرف فى كل ما يقوم به بكل منطق ويعقل كالرجل السليم تماماً ، ولا خلاف بينهما إلا أن دوافع الأخير تكون مشوهة ، ومثال ذلك أننا إذا رأينا رجلا يجلس القرفصاء

فى الشارع لا يغطيه إلا أزار ، فإن هذا يبدو لنا عجيباً ، ولكن إذا عرفنا أن ذلك الرجـل يحسـب نفسـه المهاتمـا غانـدى فإن تصرفه يبـدو لنا سـليماً ومنطقياً .

وفى هذه الحالة التى تهمنا بالذات علينا أن نتصور شخصاً اختل عقله ، بحيث بدا له أن من المعقول أن يرتكب أربع جرائم وأكثر . وأن يعلن عن كل جريمة قبل ارتكابها بخطاب يرسله إلى هركيول بوارو .

وصديقى هاستنجز يمكن أن يقول لكم مدى اضطرابى عندما جاءنى الخطاب الأول ، فقد اشتممت فيه شيئاً مريباً جداً .

قال فرانكلين ترنت فى لهجة جافة : الواقع انك لم تخطىء .

- ومع ذلك أخطأت فى بداية الأمر ، لأننى لم أعلق أهمية ما على إحساسى هذا فقد حسبته مجرد حدس أو تخمين ، ونظر إليه البوليس على أنه دعابة . وعلى الرغم من ذلك فقد أخذت الخطابات مأخذ الجد ، وأقتنعت بأن جريمة قتل سترتكب فى مدينة أندوفر ، ونفذ أ . ب . ت . وعيده كما تعلمون .

واستحال علينا اكتشاف القاتل ، ولم يكن فى جعبتى غير سهم واحد وهو أن أفهم عقلية القاتل .

كان لدى بعض المعلومات . الخطاب وهو الجريمة والقتيلة ، ولكن بقى شيئان مجهولان ، وهما الدافع والسبب فى إرسال الخطاب .

قال ترنت مقترحاً : لعله كان يهدف إلى الدعاية . وأردفت توراجراى : أضف إلى ذلك عقدة النقص .

- كانت هذه هى الفكرة التى خطرت لى بادىء الأمر . ولكن لماذا أنا بالذات ؟ لماذا هركيول بوارو؟ أنه كان يستطيع أن يحظى بدعاية أكبرلو أنه أرسل الخطاب إلى اسكوتلانديارد أو إلى أحدي الصحف اليومية . ربما تمتنع الصحيفة عن نشر الخطاب

فى بادىء الأمر ، ولكن قبل ارتكاب الجريمة الثانية يكون أ . ب . ت . قد حصل على كل دعاية ممكنة من الصحافة فلماذا بوارو إذن ؟ ... هل يحمل نحوى ضغينة ما ؟ ... أحسست فى الخطاب الأول إنه يكن عداء نحو الأجانب ، ولكننى لم أجده سببا كافياً لكى يبرر تصرفاته .

وقتلت بيتى بارنارد فى بكسهيل بعد مجىء الخطاب الثانى . وأصبح واضحا كما تنبأت بأن الجرائم ترتكب بترتيب هجائى ، ولكن هذا التفسير الذى بدا أنه يفسر كل شىء للجميع بقى غامضاً بالنسبة لى ، بأننى لم أفهم الدافع الذى يدفع أ . ب . ت لارتكاب جرائمه ، تململت ميجان بارنارد على مقعدها وقالت : ألا يوجد جنون جنائى وميل للقتل ؟

تحول بوارو اليها وقال : أنت على حق يا آنسة . هناك جنون جنائى ، ولكن شهوة القتل لا تتفق اطلاقاً مع الحالة التى نحن بصددها . فإن المجنون الذى تستبده شهوة القتل يحاول أن يقتل أكبر عدد من الضحايا ، وهذه الشهوة تصبح عنده ضرورة ، ولهذا يبذل جهده لتضليل رجال البوليس بدلا من البحث عن الشهرة . وإذا نحن تأملنا الجرائم المختارة ، أو على الأقل ثلاثا منها ، لأننى لا أعرف شيئاً عن مستر ايرسفيلد أو عن مستر ثاد يوس ثورنديك ، فإننا نرى أن القاتل كان بمقدوره الافلات من العقاب دون أن يثير أية شبهة حوله . كان رجال البوليس سيشتبهون فى فرانز آشير ودونالدفريزر وميجان بارنارد وربما فى مستر ترنت ... هؤلاء هم الذين كان سيشتبه فيهم رجال البوليس ، حتى إذا لم تتوافر الأدلة الكافية على إدانتهم ، وما كان ليخطر لهم ابداً أن يفكروا فى الاشتباه فى رجل مجهول ، فلماذا يصر القاتل على الاعلان عن نفسه هكذا ؟ وهل كان من الضرورى أن يترك دليلاً لمواعيد القطارات من نوع أ . ب . ت . على مقربة من كل قتيل ؟ ... أتراه كان منقاداً لحقد عجيب يتصل بهذا النوع من الدليل ؟ وحتى ذلك الوقت استحال على أن أفهم نفسية القاتل . ربما كان نبيلاً فلم يشأ أن يؤخذ شخص برىء بجرمه .

وعلى الرغم من أنه استحال على فهم السبب الرئيسى فقد عرفت أخيراً بعض النواحى فى طبيعة القاتل .

- مثال ذلك ؟

أول شيء حب ذلك الرجل للترتيب والنظام . كان يحاول قبل كل شيء ارتكاب جرائمه متتبعاً الحروف الهجائية . ولكنه لم يكن يتبع أى ذوق خاص فى اختيار ضحاياه فهناك اختلاف بيّن بين مسز آشير وبيتى بارنارد وسير توماس ترنت . ولم يكن يهمه نوع القتيل ولا سنه ولا طبقته الاجتماعية . وكانت هذه النقطة تدعو إلى الدهشة لأن الرجل يقتل عادة بدون تمييز عندما يريد أن يتخلص من كل الذين يعترضون طريقه . ولكن طريقة الحروف الهجائية تؤكد لنا أن أ . ب . ت . لا تنطبق عليه هذه الحالة ، ثم أن المجنون يختار طبقة خاصة من الضحايا ، وغالباً ما تكون هذه الضحايا من جنس مخالف لجنسه هو بالذات ، والافتقار إلى الترتيب فى جرائم أ . ب . ت . بدأ يتناقض كلية مع حرصه على اتباع حروف الهجاء .

ثم أن اختيار دليل مواعيد القطارات بصفة دائمة دلنى على أن صاحبنا يهوى السكك الحديدية ، وهى ظاهرة شائعة عند الرجل أكثر منها عند المرأة ، فان الصبية يتعلقون بالقطارات أكثر من الفتيات . ومن ذلك استنتجت أن مدارك صاحبنا لم تتوسع من الناحية الثقافية ، وأنه لا يزال يحتفظ بعقلية ولد صغير .

واتانى موت بيتى بارنارد بايضاحات أكثر ، فقد حملتنى الطريقة التى لقيت بها مصرعها على التفكير ، وألتمس معذرتك يا مستر فريزر ، فقد خنقها القاتل بحزامها بالذات ، ومن هذا نفهم أنها كانت على صلات ودية به . وعندما عرفت أنهم كانوا يعتبون عليها نزقها وطيشها ارتسمت فى ذهنى صورة . كانت بيتى بارنارد فتاة جميلة لعوباً ، تحب سماع كلمات الثناء والمديح من الرجال . وإذا كانت قد خرجت مع أ . ب . ت فذلك لأنه كان وسيماً جاداً ويتمتع بجاذبية كبيرة . وانني أرى وأنا

جالـــس هنا مشهد الشاطىء . ويبدى الرجل إعجابه بالحزام فتخلعه بيتى لكى تريه أياه ويطوق به عنقها ويقول لها مازحاً « سأقتلك » وتضحك ولكنه لا يلبث أن يشد الحزام .

هب دونالد فريزر مرة واحدة وقد امتقع وجهه وصاح : مستر بوارو ... أرجوك .

أتى بوارو بحركة من يده يهديء بها من روعه وقال : اننى فرغت ولن أزيد ... لننتقل الآن إلى الجريمة التالية . وهى مقتل سير توماس ترنت ... هنا يعود القاتل ويستخدم طريقته الأولى ، فيضرب ضحيته على رأسها بالة ثقيلة .

« لم تأت جريمة تروستون بأى عون ولم يخدمنا الحظ أبداً . فقد وصل الخطاب إلى متأخراً ومنعنى بذلك من اتخاذ التدابير فى حينها . ولكنه عندما أخطرنى بجريمة ث أعددت خطة واسعة للدفاع بخيث لم يعد فى استطاعة أ . ب . ت . المضى فى جرائمه بدون عقاب وثمة شيء آخر ، فقد ظهرت قصة الجوارب ، وكان لا يمكن أن يكون ظهور رجل يبيع الجوارب على مسرح الجريمة فى كل مرة مصادفة . وكان من الطبيعى أن نستنتج أن ذلك الرجل هو القاتل . ومع ذلك فاننى أقول أن أوصاف ذلك الرجل كما أدلت بها الآنسة جراى لم تكن تتفق أبداً مع الفكرة التى رسمتها فى ذهنى عن قاتل بيتى بارنارد .

وأتناول النقاط الأخرى الآن فأقول أن جريمة رابعة تقع ، وأعني بها مقتل جورج ايرسفيلد . وكل الدلائل تشير إلى وقوع غلطة ، فإن طعنة الخنجر كان المقصود بها رجلا له نفس هيئة وقامة جورج ايرسفيلد يدعى ثاد يوس ثورنديك .

وهكذا تدور عجلة الحظ ، وتتجمع الحقائق ضد أ . ب . ت . ويكتشف أمره ويطارد ، ويلقى القبض عليه أخيراً .

« وكما قال هاستنجز انتهت القضية .

« ربما انتهت من وجهة نظر الجمهور ، فإن الجانى فى السجن ، ولا شك أنه سيدفع

دينه للمجتمع ، وستتوقف سلسلة الجرائم وينتهي الأمر

« ولكنها لم تنته بالنسبة لى ، باننى لا أعرف شيئاً ... لا أعرف شيئاً إطلاقاً طالما إننى أجهل السبب فى ارتكاب هذه الجرائم ، وفوق ذلك فهناك الدليل على أن تاست لم يقتل بيتى بارنارد

قال فرانكلين ترنت . لقد حيرتنى هذه النقطة .

قال بوارو : وأنا كذلك . فقد ثبت بالدليل القاطع وجود مستر تاست فى مكان آخر يبعد بكثير عن بكسهيل فى الوقت الذى قتلت فيه الفتاة ... وما دام قد ثبت ذلك فلابد ... وهنا ارتسمت فى ذهنى نظريتان .

لنفترض يا أصدقائى أن تاست ارتكب الجرائم الثلاث أو ت و ث وأنه لم يرتكب جريمة ب

- ولكن ذلك لا يمكن أن يكون يا مستر بوارو ؟

أتى بوارو بحركة من يده ، فارضا الصمت على ميجان بارنارد وقال : الزمى الهدوء يا آنسة . إنى أبحث عن الحقائق وكفانى أكاذيب لنفرض أن أ . ب . ت . لم يرتكب الجريمة الثانية . إنها وقعت كما تعلمين فى صباح يوم الخامس والعشرين من الشهر ، وهو نفس اليوم الذى وصل فيه أ . ب . ت . لارتكاب جريمته . لنفرض أن شخصاً آخر سبقه ، فماذا يفعل فى هذه الحالة ؟... هل يرتكب جريمة ثانية أم يسكت ويقبل الجريمة التى قدمها له غيره هدية ؟

صاحت ميجان : مستر بوارو ... أن مثل هذا الافتراض يثير الضحك ... فإن الجرائم الأربع ارتكبها شخص واحد .

استطرد بوارو دون أن يحفل بها : مثل هذه النظرية من شأنها توضيح نقطة هى الفرق بين شخص مستر تاست بصفته غير جدير اطلاقاً بأن يخلب قلب فتاة ويفتنها وبين شخص قاتل بيتى بارنارد . ومن المعروف أن هناك قتلة ينتهزون فرصة جرائم

غيرهم . وجاك السفاح ، كما نعلم ، لم يرتكب كل الجرائم التى نسبت إليه .

ولكننى أجد نفسى أمام صعوبة كبيرة ، فحتى مقتل بيتى بارنارد كتمنا الحقيقة عن الصحف ، فإن جريمة أندوفر لم تحظ الا باهتمام بسيط ولم تذكر الجرائد أى شىء عن دليل مواعيد القطارات ، ومن هنا يتضح أن الرجل الذى قتل بيتى بارنارد تمكن من معرفة التفاصيل التى لا يعرفها إلا اناس قلائل ، وهم أنا ورجال البوليس وبعض أهالى أو جيران مسز آشير .

ارتسمت الحيرة على وجه الجميع ، وقال دونالدفريزر فى تفكير : أن رجال البوليس رجال كغيرهم على كل حال ، وبينهم شبان وسيمون ...

وأمسك عن الكلام ونظر إلى بوارو مستفهماً فهز هذا الأخير رأسه فى هدوء وبساطة وقال :

- كلا . إن الأمر أبسط من هذا بكثير . كنت أتحدث عن نظرية ثانية .

« لنفرض أن بيتى بارنارد قتلها رجل آخر غير تاست ، أفلا يمكن أن يكون ذلك الرجل هو الذى قتل الآخرين كذلك ؟

صاح ترنت : ولكن هذا غير معقول .

- لماذا ؟ فى تلك اللحظة فعلت ما كان يجب أن أفعل فى البداية . فحصت الخطابات التى جاءتنى من زاوية أخرى . كان فيها شىء يزعجنى ، فقد أحسست أنها زائفة تماما كما يكتشف الخبير زيف لوحة .

« وكنت قد اعتبرتها حتى ذلك الوقت صادرة من مجنون . ولكننى انتهيت الآن إلى استنتاج مختلف ، فان الأمر الذى يبعث الشبهة فى هذه الخطابات هو أن الذى كتبها رجل عادى .

صحت : كيف هذا ؟

- كانت هذه الخطابات زائفة ... تماماً كزيف اللوحة الزيتية لأنها كانت ملفقة ...

تريد أن تبدو وكأن الذى كتبها رجل مجنون مهووس بالقتل ، فى حين أن الواقع غير ذلك . قال فرانكلين ترنت : هذا الاستنتاج ليس له أي معنى .

- عليك أن تفكر قليلا . لأى غرض ارسلت إلى هذه الخطابات . لكى تثير اهتمامى بمرسلها وبجرائم القتل . بدا لى ذلك غير معقول فى البداية ، ولكننى لم ألبث أن فهمت . كان من شأنها أن تثير الاهتمام نحو جرائم قتل كثيرة . ألم يقل شكسبير أن الغابة تحول دون رؤية الأشجار ؟ ... وأين يمكن أن نخفى دبوساً ؟ ... بين غيره من الدبابيس طبعاً ؟ ... ومتى لا تثير جريمة قتل خاصة اهتمامك ؟ ... إذا وقعت بين سلسلة من الجرائم الأخرى .

كنت أواجه قاتلا ذكيا على قسط كبير من الدهاء والجرأة ... مقامراً حقيقياً ... كلا . لا يمكن أن يكون مستر تاست هو الذي ارتكب كل هذه الجرائم . أن الذى ارتكبها رجل من طراز آخر ، له عقلية صبيانية . والدليل على ذلك تلك الخطابات التى كتبها بأسلوب الأولاد ووجود دلائل السكك الحديدية ... رجل يروق للنساء ويزدرى الحياة البشرية ، ولا يقيم لها أى وزن ... رجل يقوم بالضرورة بدور رئيسى فى إحدى هذه الجرائم .

« عندما ترتكب جريمة قتل ما هى الأسئلة التى يلقيها البوليس ؟ ... أين كان أهل القتيل ساعة الموت ؟ ... ومن الذى يستفيد من موته ... ماذا يفعل الجانى لكى يبعد عنه التهمة ... يدبر لنفسه دليل نفى يثبت بواسطته أنه كان موجوداً فى مكان آخر غير مكان الجريمة وقت ارتكابها . وهذه الطريقة غير سليمة تماماً لأنها تتعرض للخطر ، فماذا يفعل صاحبنا ؟ . أنه يبتدع طريقة خيالية ... ويخلق مجنوناً مهووساً بالقتل .

« تعين على أن أدرس كل جريمة من هذه الجرائم دراسة وافية للكشف عن أكثر الأشخاص تعرضا للشبهة . فى جريمة أندوفر كان هناك فرانز آشير ، ولم أتصور أبداً أن يقدم ذلك السكير على هذه الخطة . أما جريمة بكسهيل فإن دونالد فريزر لا يمكن أن

يقتل بدافع الغيرة لأنه شاب رزين . هادئ ، وفى الجرائم الغرامية يجب استبعاد التعمد وسبق الاصرار . ثم أن فريزر كان قد حصل على أجازته فى شهر أغسطس وكان يتعذر عليه أن يمضى بعد ذلك إلى تورستون لكى يقتل سير توماس ترنت . وما أن بدأت أفكر فى جريمة تورستون حتى أحسست بأننى أطأ أرضا صلبة .

« ان سير توماس يملك ثروة طائلة فمن الذى يرثه ؟ ... زوجته . ولكنها امرأة على أبواب الموت ولن تستمتع بها إلا لفترة قصيرة ثم يؤول كل شىء بعد ذلك إلى أخى زوجها

وتحول بوارو فى بطء ونظر إلى فرانكلين ترنت وقال : تأكد عندئذ أن الرجل الذى اشتبه فيه منذ وقت طويل فى عقلى الباطن ، والرجل الذى أعرفه باسم فرانكلين ترنت ما هما إلا شخص واحد .

« وان جرأته وإقدامه وحياة المغامرات التى عاشها وتزمته لوطنه انجلترا الذى تنم عنه سخريته بالأجانب وشكله الوسيم وعدم اكتراثه ... أن شابا هذه طبيعته لا يتعذر عليه أن يغزو قلب جرسونة فى مقهى ... وهو إلى جانب كل هذا يتمتع بذهن صاف مفرط الدقة . ألم يرسم خطة دقيقة لكل ما يحتمل أن يقوم به أ . ب . ت . اليوم من حركات ؟ ... وروحه الصبيانية التى أشارت اليها الليدى ترنت وغرامه بالروايات الخيالية ... ما أن اكتشفت فى مكتبة سير توماس رواية باسم مغامرات بعض الصبية فى السكك الحديدية من تأليف أ . نسبيث حتى لم يعد لدى أى شك فى أن أ . ب . ت الذى أرسل إلى الخطابات وارتكب أربع جرائم قتل هو نفسه فرانكلين ترنت .

قهقه ترنت وقال : ما هذه البراعة ؟ ... وماذا تفعل بصديقنا تاست وقد ألقى البوليس القبض عليه متلبسا بيديه الملوثتين بالدم ، والدم على كم سترته ، والخنجر الذى خبأه فى البيت الذى يقيم فيه ... فى مقدوره طبعاً أن يفكر أنه ارتكب هذه الجرائم ... قاطعه بوارو قائلاً : انك مخطىء بأنه اعترف .

بهت ترنت وقال : ماذا ؟

قال بوارو : نعم . ما أن تحدثت معه حتى أدركت أنه يعتقد أنه مذنب .

-- أولا يرضيك اعترافه هذا يا مستر بوارو ؟

- كلا . فانني ما أن رأيته حتى أدركت أنه لا يمكن أن يكون القاتل فهو لا يتمتع بالقوة ولا بالجرأة ولا بالذكاء لكى يدبر تلك الجرائم . انني اشتبهت دائماً فى أن القاتل له شخصية مزدوجة ، وأرى الآن أنه كان هناك فعلا شخصان ... المجرم الحقيقى ، الماكر ، المخادع ، الجسـور والقاتـل المزعـوم ، الغبى ، والمتردد والقابل للتأثر بسهولة .

نعم ، قابل للتأثر ... هذه هى الكلمة التى يتلخص فيها سر تاست لم يكن يكفيك أن تبعد الشبهة عنك فى جريمة خاصة بأن ترتكب سلسلة من الجرائم ، ولكن كان لابد لك من كبش فداء أيضاً .

ولا ريب أن هذه الفكره نولدت فى ذهنك على اثر لقاء طارىء فى مقهى مع ذلك الرجل العجيب ذى الأسماء الرنانة ، وبنيت خططك عندئذ لكى تقتل أخاك .

- آه ... حقاً ؟ ولأى سبب ؟

- لأنك فكرت فى المستقبل فى وجل ...ودون وعى منك كشفت عن خبيئة نفسك فى اليوم الذى عرضت على فيه خطاباً أرسله اليك أخوك يخبرك فيه عن مشاعره نحو تورا جراى . كان يمكن أن تكون هذه المشاعر أبوية فحسب ، أو لعله كان يفضل أن تبدو كذلك . مهما يكن فانك أحسست بالخطر ... فما يدريك أن سير توماس قد يبحث بعد موت زوجته عن العزاء والسلوى عند هذه الفتاة الظريفة ، وأن الأمر ينتهى عندئذ كما ينتهى عادة فى مثل هذه الأحوال بالزواج . وزادت مخاوفك بمجرد أن رأيت الفتاة ، ولا ريب أنك قاض قدير تعرف كيف تميز النفس البشرية الطماعة . وسواء كان ذلك صوابا أو خطأ ، فانك أدركت أن الآنسة جراى طموحه ، وأنها لن تدع الفرصة تفلت

من بين يديها لكى تغدو الليدى ترنت ، وكان أخوك يتمتع بصحة جيدة وقوة طبيعية غير عادية . وكان فى الامكان أن ينجبا أولاداً ويتبخر بذلك أملك فى أن ترث ثروة أخيك

لم تكن حياتك إلا حلقة متصلة من خيبة الأمل .. لم تفلح فى أى شىء ولم يخدمك الحظ ، وأصبحت تغار كل الغيرة من أخيك . وأعود فأقول وانك تفكر فى طريقة تستطيع بها التخلص منه التقيت بمستر تاست ، وبلقائك به تولدت فى ذهنك الفكرة ، ورأيت من اسمه الرنان ومن الصرع الذى ينتابه من وقت لآخر وصداعه المستمر وشخصيته التافهة وانطوائه على نفسه انه الأداة المثلى لأغراضك . وانبثقت فكرة الحروف الهجائية فى ذهنك ، وكان الحروف الأولى للاسم الثلاثى لتاست نقطة البداية لمشروعك خصوصاً وأن اسم أخيك يبدأ بحرف التاء وهو نفس الحرف الذى يبدأ به لقب تاست وشملت تاست فى خطتك لكى تقع الشبهة عليه ، والواقع أنك لم تكن تظن أن فكرتك هذه ستكون لها هذه النتيجة الباهرة .

وقمت باعداد خطتك ببراعة تامة ، فكتبت لشركة من شركات الجملة باسم تاست ، وطلبت كمية كبيرة من الجوارب ، ودسست بينها عدداً من دلائل مواعيد القطارات طبعة أ . ب . ت . ثم أرسلت إليه خطابا مكتوباً على الآلة الكاتبة كان المفروض أن الشركة هى التى أرسلته اليه تعرض عليه مرتبا ثابتا ونسبة من البيع ، ثم دبرت أمرك بطريقة بارعة ، بحيث أعددت كل الخطابات الأخرى ، قبل أن تقدم اليه الآلة الكاتبة التى استخدمتها ولأن عينيك وقعتا فيها على محل مسز اشير ، ورأيت أنها تعمل وحدها فى المحل ، وكانت هذه الجريمة بحاجة إلى الجرأة والاقدام وإلى كثير من الحظ .

ولكنك غيرت طريقتك فى حرف الباء ، فإن النساء اللاتى يدرن محلاتهن بمفردهن أصبحن يتوخين الحذر ، وأعتقد أنك رحت تختلف إلى المقاهى ، تضحك مع هذه ، وتمازح تلك ، حتى اهتديت إلى ضالتك التى تفى بأغراضك .

كانت بيتى بارنارد هى نوع الفتاة التى تبحث عنها بالذات ، وقد خرجت معها مرة

أو مرتين . وزعمت لها أنك متزوج لا تستطيع مرافقتها إلى الأماكن العامة .

وإذ تنتهى من اعداد خطتك كما تشتهى ، تبدأ العمل فترسل إلى تاست قائمة بأسماء الأشخاص الذين يجب أن يعرض عليهم بضاعته فى أندوفر ، وتطلب منه أن يمضى اليها فى موعد محدد ، ثم ترسل إلى الخطاب الأول موقعاً باسم أ . ب . ت .

وفى اليـوم المضـروب تذهب إلى أندوفر ، وتقتل مسز آشير ، من غير أن يراك أحد .

وتنفذ الجريمة الأولى على أحسن ما يكون .

أما الجريمة الثانية فانك تدبر أمرك لكى ترتكبها فى اليوم السابق فى الواقع . وأنا على يقين من أن بيتى بارنارد قتلت فى اليوم الرابع والعشرين من شهر يولية قبل منتصف الليل بكثير .

وننتقل الآن إلى الجريمة أن أوجه لصديقى هاستنجز المديح الذى يستحقه لملاحظة بسيطة أبداها ، ولم أحفل بها فى حينها .

فقد قال لى أن الخطاب أرســل خطأ إلى عنوان آخر عمداً . ولم يخطىء فــى قوله هذا .

فى هذه النقطة التافهة الرد على السؤال الذى طالما حيرنى ، وهو لماذا أرسلت الخطابات إلى هركيول بوارو ، المخبر السرى بدلا من أن ترسل مباشرة إلى ادارة اسكوتلانديارد . وقد حسبت أن هناك سببا خاصاً لذلك .

ولكننى أخطأت فى هذا الظن ، وإذا كانت الخطابات قد أرسلت إلى أنا ، فذلك لأن خطتك كانت تقوم أساساً على أن الخطاب الذى يرسل إلى عنوان خاطىء تتأخر هيئة البريد فى تسليمه إلي صاحبه ، وذلك ريثما تهتدى اليه ، فى حين أن الخطاب المرسل إلى ادارة اسكوتلانديارد لا يمكن أن يتأخر بأى حال من الأحوال . ولهذا كانت حاجتك الملحة فى ارسال الخطابات إلى شخص ما . وقد وقع اختيارك على بالذات لأننى

شخصية معروفة ، ولأنك كنت واثقاً أن همى الأول سيكون اطلاع ادارة اسكوتلانديارد على هذه الخطابات ، ثم أنك بطبيعتك الانجليزية المتزمتة طاب لك أن تسخر من رجل أجنبى

واعترف انك قمت بدورك على أكمل وجه ... وايت هورس ... وايت هافن ... خطأ طبيعى . وكان هاستنجز وحده من الذكاء بحيث كشف الخدعة ، ورأى الأمر على حقيقته .

وكان لابد أن يتأخر الخطاب طبعا ، وأن يصل البوليس إلى مكان الجريمة بعد وقوعها ... وسهلت لك النزهة الليلية التى يقوم بها أخوك الأصغر ، وأحدث الخوف من أ . ب . ت . التأثير المطلوب فى الجمهور فلم يخطر لأحد أن يشتبه فيك .

وبموت أخيك وصلت إلى هدفك ، ولم تعد بحاجة إلى ارتكاب جرائم قتل أخرى ولكن إذا توقفت هذه الجرائم دون سبب معقول فإن الحقيقة قد تظهر .

وكان كبش الفداء ، وتعنى به مستر تاست قد قام كما يجب بدور الرجل الخفى التافه الذى لم يلحظ أحد وجوده فى كل من هذه الجرائم الثلاث ، واننى أفهم ما انتابك من ذعر عندما لم يلحظه أحد فى كومبايد ، وعندما نسيت الآنسة جراى أمره تماماً .

وبجرأتك المعهودة تعلن عن ارتكاب جريمة قتل أخرى ... ولكن يجب أن يفتضح أمرها هذه المرة .

ويقع اختيارك على مدينة ثورن تكون مسرحاً لجريمتك الجديدة .

وخطتك بسيطة جداً ،فان وجودك فى هذه المدينة سيبدو وكأنه صدفه ، أما مستر تاست فستبعث به الشركه إلى ثورن . وتقوم خطتك على أن تتبعه ، وأن تختار اللحظة المناسبة لكى تضرب ضربتك . ويسير كل شىء كما تتمنى ، ويمضى مستر تاست إلى السينما ، وتجلس بعيداً عنه ببضع مقاعد ، وتطعن رجلاً يغط فى نومه فى الصف الذى أمامك ثم تدس الدليل تحت مقعده وتدبر أمرك بحيث تصطدم بمستر تاست

في هدوء أثناء خروجه والصالة ما تزال غارقة فى الظلام ، وتنتهز الفرصة فتمسح الخنجر فى كمه ثم تدسه فى جيب معطفه .

ولكنك لا تزعج نفسك هذه المرة بالبحث عن ضحية يبدأ اسمها . بحرف ث وتظن ، ولك الحق أن الجميع سيعتقدون أنك أخطأت ، خاصة وأن صالة السينما لابد وأن يكون فيها شخص يبدأ اسمه بحرف الثاء ، وسيظن الجميع أنه هو الـذى كان مقصـوداً بالقتل .

ولنتأمل القصة الآن وجهة نظر أ . ب . ت المزعوم ، وبمعنى آخر مستر تاست .

« أنه لا يبدى أى اهتمام بجريمة أندوفر ، وتذهله جريمة بكسهيل كل الذهول ، فقد كان موجوداً بجوار مكان الجريمة فى ذلك الوقت ، ثم جاءت جريمة تورستون ، وكتبت الصحف العناوين الضخمة : جريمة أ . ب . ت من أندوفر ... وجريمة أ . ب ت . فى بكسهيل ... وها هى الآن جريمة ثالثة على مقربة ... ثلاث جرائم ، وكان هو موجوداً فى مسرح الجريمة كل مرة والمصابون بالصرع غالباً ما تكون رءوسهم فارغة ، ولا يتذكرون ما أتوا به من أعمال . ولا تنسوا أن تاست رجل عصبى شديد الحساسية من السهل التأثير عليه .

ولا يلبث أن يأتيه الأمر بالذهاب إلى مدينة ثورن ... حيث يجب أن تقع الجريمة التالية للمدعو أ . ب . ت . ويشعر تاست أن القدر يثقل عليه ، فيفقد جأشه ، ويتصور أن صاحبة البيت تشتبه فيه ، فيزعم لها أنه ذاهب إلى شلنتهام .

ومع ذلك فانه يذهب الى ثورن مدفوعا بواجبه المهنى . ويقضى بعد الظهر فى السينما ويغفو بضع لحظات .

ولكم أن تتصوروا مدى فزعه حين يرى الدم على كم سترته ، وحين يخرج من جيبه جنجراً ملوثاً بالدم ... كل هواجسه تتحول عندئذ إلى يقين فظيع .

انه القاتل ... يتذكر آلام رأسه ، والأوقات التى ينسى فيها كل شىء أنه هو

الكسندر بونابرت تاست . المجنون القاتل .

ويتصرف بعد ذلك كما يتصرف أي رجل طريد ويعود إلي لندن . وفى غرفته يعتقـد أنه أصبـح فى أمان . ألم يقل أنه ذاهب إلي شلنتهام . ولكن الخنجر مازال معه . وهذه حماقة لا نغتفر . فيخفيه فى دولاب الردهة

وذات يـوم تأتيه مكالمه يقال له فيها انهم قادمون للقبض عليه . .. فيبادر بالهرب . ويهيم فى الطرقات ... ولكن لماذا يقع اختياره على أندوفر ؟ لا ريب لأنه يريد أن يرى المكان الذي ارتكبت فيه الجريمه . والجريمة التى ارتكبها هو على الرغم من أنه لا يتذكر شيئاً عنها .

لم تعد معه نقود . وانهكت قواه . وتقوده قدماه إلى قسم الشـرطة ويتهـم مستر تاست بأنه ارتكب هذه الجرائم الا أنه راح يجهر ببراءته . متشبثا بالدليل الذى يبعد عنه تهمة الجريمة الثانية

وكما قلت لكم . أدركت على الفور أن تاست لم يكن مذنبا . وأن اسمى لم يدله على شىء . ولكننى من ناحية أخرى . أدركت أنه يعتقد أنه هو القاتل

وعندما اعترف لى بجرمه إزداد يقينى من نظريتى الأولى .

قال فرانكلين ترنت . كل هذا غير معقول .

هز بوارو رأسه وقال : مستر ترنت . انك لم تكن تخاطر بشىء طالما بعدت الشبهة عنك . ولكن ما أن اشتبهت فيك حتى تيسر لى أن أجمع الأدلة .

أدلة ؟ .

نعم فقد عثرت فى دولاب بكومبايد على العصا التي استخدمتها فى جريمتى أندوفـر وتورســتون . وهى عصا عادية لكن يدها ثقيلة ضخمة . انتزع جزء من خشبها واستبدل برصاص مذاب وقد وضعت صورتك بين بعض الصور الأخرى

وتعرف عليها رجلان رآك كل منهما وأنت تخرج من صالة السينما . فى حين أن الجميع كانوا يعتقدون أنك فى ميدان السباق ، وكذلك تعرفت عليك الآنسة هيجلى وجرسونة أخرى فى مطعم ذهبت إليه أنت وبيتى لتناول العشاء فى الليلة التى لقيت فيها مصرعها . وهناك شىء آخر وهو الأسوأ . فانك لم تتوخ كل الحرص وتركت بصمه لأحد أصابعك فوق الآلة الكاتبة التى أرسلت لتاست ، ولم يكن مفروضا أن تقع هذه الآلة بين يديك . لو أنك كنت بريئاً .

بقى ترنت جامداً لحظة ثم قال : هكذا ! ... إنك ربحت يا مستر بوارو ... ومهما يكن فقد جربت حظى .

وبسرعة عجيبة أخرج مسدساً من جيبه ألصق فوهته بجبينه ، وأطلقت صيحة وارتددت رغماً عنى فى انتظار سماع الطلقة . ولكننى لم أسمع أى دوى وإنما سمعت تكة خفيفة ، واتسعت عينا ترنت ، ونظر إلى المسدس مذهولا ، ثم أطلق سبة .

وقال بوارو : لا داعى يا مستر ترنت . ألم تلحظ أننى ألحقت بخدمتى خادماً جديداً اليوم . أنه صديق لى برع فى فن السرقة وقد سرق مسدسك من جيبك ثم أعاده بعد أن أفرغه ، دون أن يثير انتباهك .

صاح ترنت وقد احمر وجهه غضباً : أيها الأجنبى الحقير .

- أوه ... قل عنى ما تشاء يا مستر ترنت . ولكنك لن تفلت من المشنقة . انك قلت لمستر تاست أنك نجوت من الغرق مرتين ، فهل تعرف معنى ذلك ؟ .. معناه أنه قدر لك أن تموت شنقاً .

- أيها ...

ولم يدر ماذا يقول واصفر لونه ، ولوح بقبضته مهدداً .

وخرج رجلان من رجال البوليس من الغرفة المجاورة كان أحدهما مستر كروم ، وتقدم منه وقال :

- أنذرك بأن كل ما تنطق به سوف يستخدم ضدك أثناء محاكمتك .

قال بوارو : انه نطق بما فيه الكفاية .

ثم تحول إلى ترنت وقال : انك تزهو بأنك انجليزى ، أما أنا فأنى أرى أنها جريمة غير خليقة بأى انجليزى ، فهى جريمة حقيرة يندى لها الجبين .

٣٣

النهايـــة

أطلقت ميجان بارنارد تنهيدة عميقة وقالت : لا أستطيع أن أصدق ذلك .. أهذا صحيح ؟

نعم يا آنسة . لقد انتهى الكابوس .

نظرت ميجان الى بوارو وقد اصطبغ وجهها ، فى حين تحول صديقى البلجيكى الى رونالد فريزر وقال :

كـــان آخر ما تخشـــاه الآنسة ميجـــان أن تكون أنت الذى ارتكبت الجريمـــة الثانية .

قال فريزر فى هدوء : أنا نفسى اعتقدت ذلك لحظة .

بسبب الحلم ؟

واقترب بوارو منه وقال فى صوت خفيض : أن هذا الحلم مبعثه سبب حقيقى .. كانت صورة إحدى الأختين تمحى من ذاكرتك شيئاً فشيئاً تاركة مكانها للأخرى . إن الانسة ميجان احتلت من قلبك المكان الذى كانت تحتله أختها ، ولكن ضميرك أبى أن

تخون تلك التى ماتت ، فحاولت أن تطرد الحب الجديد وأن تقتله . هذا هو تفسير حلمك .

استقرت عينا فريزر على ميجان فقال فى رفق : لا تخشى النسيان . ستجد ألف فضيلة فى الآنسة ميجان . أن لها قلبا عظيماً .

انبسطت أسارير فريزر وقال : انك على حق .

ورحنا نلاحق بوارو بأسئلتنا نحاول أن نفهم منه هذه النقطة أو تلك ، وأخذ يرد علينا فى هدوء وصبر كبيرين . وأخيراً قلت فى تفكير :

- كانت البصمة هى الضربة القاضية يا بوارو ، فقد انهار ترنت وتلاشت عجرفته بمجرد أن تكلمت عنها .

ضحك بوارو وقال : الواقع أن للبصمات فائدتها فى بعض الأحيان .

ثم أردف وهو يبتسم : اننى انما تكلمت عنها لكى أرضيك فحسب يا صديقى .

- لم تكن البصمة حقيقية إذن يا بوارو ؟

أجاب : كلا يا صديقى . لم تكن هناك بصمات على الأطلاق ... !!

أقبل مستر الكسندر بونابرت تاست لزيارتنا بعد أربعة أيام . وبعد أن شد على يد بوارو ، وحاول أن يشكره بطريقة غبية خرقاء اعتدل وقال :

- هل تعرف أن إحدى الصحف عرضت على مائة جنيه لكى اكتب لها ملخصاً وجيزاً عن قصة حياتى ؟ ... الحق اننى لا أدرى ماذا أفعل .

قال بوارو : لو أننى مكانك لما رضيت بمائة جنيه . أطلب خمسمائة وكن حازماً ، ولا تكتف بصحيفة واحدة .

- هل تظن أننى استطيع حقاً ؟

قال بوارو يشجعه وهو يبتسم : نعم يا صديقى . ألست مشهوراً ؟ لا حديث فى انجلترا كلها إلا عنك أنت .

اعتدل مستر تاست وانبسطت أساريره وقال : الواقع أنك على صواب ... المجد ... فى كل الصحف ... سأعمل بمشورتك يا مستر بوارو . أن هذا المال يأتى فى الوقت المناسب . سأقوم بأجازة وسأقدم لليلى ماربورى هدية زواج ... إنها فتاة ظريفة ... ظريفة جداً .

ربت بوارو على كتفه وقال : حسناً . قم بأجازة واستمتع بالحياة ولكن اسمع منى نصيحة أخيرة ... اذهب لاستشارة طبيب عيون . لا ريب أن أوجاع رأسك سببها عيب فى النظارة ، فغير عدستها .

- هل تظن أنها هى السبب فيما أشعر به من ألم ؟

- نعم إننى على يقين من ذلك .

شد مستر تاست علي يد بوارو فى حرارة وقال :

لا جدال فى أنك رجل عظيم يا مستر بوارو .

تمــــت

مجموعة قصص أجاثا كريستى

ترجمة الاستاذ / محمد عبد المنعم جلال

جريمة فى العراق
العميل السرى
أدلة الجريمة
اختطاف رئيس الوزراء
قتيل فى المترو
الرسائل السوداء
التضحية الكبرى
ذكريات
سر التوأمين
جريمة ممثلة
اللغز المثير
القاتل الغامض
جريمة فوق السحاب
الجريمة المعقدة
المتهمة البريئة
الجريمة الكاملة
مغامرات بوارو
الساحرة
ابواب القدر
القضية الكبرى

مكتبة معروف اخوان
اسكندرية - ٤ ش سعد زغلول - ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة - ٤٢ ب ش رمسيس - ت :

اله
بالمملكة
مكتبة
ت : ٧